
دعوة الحق
شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية
إن هذه أمتكم أمة واحدة
15th C.H.
15eS.H.
القرن ١٥ هـ

بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر

• السنة 8 أعداد لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه.

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 7
السنة 21

محرم / صفر 1401
نوفمبر 1980

هذا العدد

يتضمن هذا العدد ابحاثا ودراسات ومقالات تتنوع شكــلا وتتوحد مضمونا وغرضا وغاية . واذا كان الطابع المغربـي بارزا من خلال مواد العدد ، فان القصد من ذلك ، وكما لا يخفــى على قرائنا ، الاسهام بجهد مخلص فى اظهار دور المغرب ورسالتــه ومسؤولياته التاريخية عبر الاجيال ، سواء فى التثقيف والتنوير، او فى الدفاع والحماية والانتصار لكلمة الحق ، او فى ابــلاغ صوت الاسلام الى الناس كافــة .

ونعتقد ان التركيز على هذا الجانب لا يخرج بنا من دائرة الاعلام الاسلامي ، التي تلتزم داخلها هذه المجلة بواجبها الصحافي والفكري والثقافي ، ذلك ان العناية بالموضوعــات التاريخيــة والادبية عامة ، ومن الزوايا التي نختار النظر منها الى القضايــا المطروحة ، لا يمكن ان تكون الا عاملا مساعدا فى حركة التنوير الاسلامي التي تتحمل وزارة الاوقــاف والشؤون الاسلاميــة مسؤوليتها الوطنية والدينية فى النهوض بها ودفعها وامدادهــا بعناصر الدوام والاستمرار .

وفى كل عدد ، نفرغ وسعنا من اجل الاقتراب اكثر مــن موضوعات نعتقد انها محور الصراع الفكري فى البلاد الاسلامية عامة ، وذلك سواء عمدنا الى الاسلــوب المباشر فى الطــرح والتناول والمعالجة ، او اعتمدنا توصيل الافكــار عبر قنــوات ادبية وثقافية نجزم انها نافعة وموصلة لما نريد من راي وفكــرة ومبدا واقتناع .

ولا ينبغي ان نغفل فى هذا الصدد عن طبيعة العمل الاعلامي فى اطار مجلة فكرية ذات ثقل وامتداد وتاثير وصيت ذائع ، ذلك ان الصحافة الفكرية فى العالم الاسلامي ، وخاصة منهـا تلــك التي تحترم خطها والتزامها ووفاءها لمبادئها وتنزع نحو الجدية والرصانة ومراعاة مستويات رفيعة من الانتــاج ، تصادف فى طريقها عادة صعوبات ليس مردها الى الجهاز المشرف او الجهة الناشرة ، بقدر ما تعود الى طبيعة الوظيفة التي تنهض بها ، ومن ذلك — مثلا — التاخير فى الصدور بين الحين والآخر ، وعــدم التمكن من استيعاب اكبر ما يمكن من المواد فى العدد الواحد .

ومع ذلك ، فان هذا العدد مرآة للفكر ، ومنبر للــراي ، ونافذة على العالــم ...

ولا نزيــد ....

عبد القادر الادريسي

الثمن : 5 دراهـم

بسم الله الرحمن الرحيم

معركتنا اليوم والغد

الافتتاحية :

●● لعل ابرز ما تميز به مطلع القرن الخامس عشر الهجري المواجهة الحادة والسافرة مع قوى البغي والعدوان التي لم تعد تتخذ اشكالا من المداراة واللف والدوران كالعهد بها دائما . فلقد ابانت هذه القوى عن وجهها ونزلت الى ساحة الصراع والصدام بسلاحها المكشوف تبغي الاطاحة بمكانة الاسلام وتسعى الى الاضرار بمصالح شعوبه وترمي الى التآمر الشامل ضد الامة الاسلامية فى مشرق العالم الاسلامي ومغربه .

لقد بدات الحرب العلنية ضد الاسلام تفرض تحديات جديدة امام المسلمين لا قبل لهم بها ، وتلزمهم بتغيير وسائل دفاعهم عن انفسهم ووجودهم وعقيدتهم وحضارتهم . واتضحت من جراء ذلك ، معالم المرحلة الجديدة من تاريخ المواجهة الابدية بين الاسلام والجاهلية وبين الايمان والكفر وبين الحرية والكرامة والعبودية والمذلة . وبذلك تحددت مسؤوليات العالم الاسلامي على نحو يجعل النهوض بالواجب المقدس فريضة لا يتنصل منها الا من اراد ان يدير ظهره لهذه الامة وفضل ان يتعامل مع اعدائها وخصومها والحاقدين عليها .

وفى ذلك الخير كله وتزكية للروح والنفس ، لانه بقدر ما تتضح ملامح المرحلة الحضارية وتتكشف خيوط المؤامرة الدولية بقدر ما يسهل على المسلمين فى كل مكان اعداد خططهم واحكام اعمالهم لرد العدوان ومقاومة الدسائس والمناورات .

● وللفكر مجال للتحرك فى هذه الساحة الصاخبة المشتعلة . وللدعاة الى الله دور ينبغي أن ينهضوا به ، ولذوي الضمائر الحية والافكار النيرة والنوايا الحسنة مسؤولية تلقيها على عاتقهم طبيعة المواجهة وخصوصية المعركة وخطورة الظرف . فليس مطلوبا اليوم الاشتغال بسفاسف الامور على الصعيد الفكري وافراغ الجهد فيما لا يعود بفائدة او

●● ولو لم تكن لنا عقيدة لالتمسناهـا التماسا ، ولـو لم نكـن مسلمين لاعتنقنا الاسلام من جديد ، فهو وحده سبيل القوة والنصـر ، والمناعة والظفر ، والحصانة والوقاية ، فلا مجال لنا للتحرك خارج دائرة الاسلام ، وان انحرفنا عن قصده تهنا وضعنا وتفرقت بنا السبـل ، وان طلبنا العزة والعلو فى الارض بحق فى غير عقيدة الاسلام انقلبت علينـا الدائرة وانحسرنا وانحدرنا الى اسفل سافلين . فلا عزة البتـة بغيـر الاسلام ، ولا قوة الا قوته ، ولا سلاح سوى سلاحه . وأي مكابرة او عناد فى هذا المجال انما هو ضرب من الجنون ان لم تقل الخيانـة العظمـى والضلال المبين والخسران الكبير .

ولقد جربنا ما شاءت لنا اهواؤنا ان نجرب من عقائـد ومذاهـب وايديولوجيات على مدى القرن الماضي فما نفعتنا فى شيء ، ولم تزدنا الا تاخرا وضعفا وتشتتا ، ولم نظفر من ورائها بطائل اللهم الا الامعـان فى الغواية والاغراق فى الضلالة والمبالغة فى التخاصم والتنافر والتنابـز بالالقاب والتراشق بالسهام بل التقاتل بالمدافع والدبابـات والطائـرات والصواريخ وناهيك بالاقلام والميكروفونات .

● ولم يبق الا الاسلام . تلك هي القاعدة الذهبية التي لا تزيدها الايام الا نصاعة وسطوعا ولمعانا . والاسلام ليس طقوسا وترانيم وادعيـة ومراسيم ، ولكنه دين الحياة والقوة والحضارة والعلم والغلبـة فى كـل شان من شؤون الدنيا . ولذلك فان الاسلام الذي ينفـع فى المواجهـة الضارية انما هو اسلام الله ، والاسلام الذي جـاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن الله سبحانه وتعالى . وهو دين الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، وشريعة الله الخالدة التي كتب لها النصر الازلي والعلو الابدي والتمكين الدائم الذي لا ينقطـع . ومـا سوى ذلك مما يروج فى دنيانا اليوم من نحل وملل ومذاهب ضالة وعقائد منحرفة ليس سوى أوهام وضلالات وشطحات ما أنزل الله بها من سلطان.

●● هي معركة اليوم والغد ، قوامها الاسلام الحق ، وسلاحهـا الدين القيم ، وساحتها الارض جميعها . فلا تفريط وتطرف ، ولا غلو ولا تقاعس ، ولا تزيد ولا تشدد ، وانما هو الصراط المستقيم ، والمحجـة البيضاء ، وقصد السبيل ، وهداية ورحمة وتسامح ومحبة ، واخوة فى الله وتواص بالحق وتواص بالصبر . ومن يفسد علينا ديننـا ، فانمـا يفتح ثغرة فى صفنا ، علم بذلك ام لم يعلم ، والامر سيان .

معركة تحت راية القرءان . تلك هي الحقيقة الاولى ، التي تصغـر امامها كل الحقائق . فمن وعاها وادرك مدلولهـا ، استمسك بالعـروة الوثقى ، ومن فاته وعيها وادراكها فامره الى نفسه التي ابت الحق وزاغت مـع الهـوى .

وتلك هي وظيفة الفكر الاسلامي ، وهذا دوره فى الصراع المحموم الدائر على اشده بين الحق والباطل . فهل نرقى نحن معشر رجال الفكر والقلم الى هذه الذروة من الاحساس بالمسؤولية ؟ .

نفع على الامة فى حربها المتعددة الميادين مع اعـــداء الحـــق والانسان والسلام ، وانما المطلوب ، وبالحاح شديد العمل على تنويـــر الافهـــام وتبصير العقول وشحذ الهمم وحفز الارادات وانارة الطريـــق وتوضيــح معالمها امام الاجيال الجديدة لئلا تقع فريسة الضياع والتيه او الاغراق فى التطرف والغلو فى الدين وفهم الحقائق على غير وجههـــا الحقيقـــي او الانسياق مع دعاة الهدم وهم قوم نشيطون دائبون لا تعوزهـــم وسائـــل الاغراء وادوات التضليل واساليب الاحتيال والاستحـــواذ على مختلـــف الفئات والطبقات واصناف البشر .

●● واذا كانت جسامة واجب التصدي للمؤامـــرات العسكريـــة والديبلوماسية والاقتصادية تقع على عاتق الحكومات الاسلاميـــة ، فان من باب اولى ان يتحمل المفكرون والعلماء ورجال الدعوة والاعلاميون فى مختلف فروع الاعلام مسؤولياتهم باعتبارهم قادة الفكر واعلام النهضـــة ورواد المسيرة الحضارية والفكرية لهذه الامة . وفى هـــذه الحالـــة ، لا يقبل ان تضيع الجهود فى الخلافات المذهبيـــة والصراعـــات الفقهيـــة والحزازات الشخصية والاجتهادات الفردية والنزاعات الذاتيـــة وما الى ذلك من ضروب الخلاف وانواع الفرقة واصناف التمزق والتشرذم التي تمهد الطريق امام جحافل العدو لتحتل الارض والعقل وتفسد العقيـــدة والضمير وتسلب الافراد والجماعات قوة المقاومة وطاقـــة المواجهـــة وصلابة التحـــدي .

● ان امتنا امام امتحان عسير ان تقاعست وتراجعـــت وترددت فشلت واخفقت وازدادت تقهقرا وتخلفا واندحارا ، وان صمدت وصبرت وصابرت وجاهدت تحت راية القرءان والسنة حق لها ان تعيش كريمـــة عزيزة الجانب تهابها الامم وتحسب لها الحساب الذي تستحـــق . وليس ثمة مجال للتردد ، فاما اقتحام جسور واقدام شجاع واندفاع قـــوي ، واما انهزام وتراجع وانسحاب وتفريط فى حق الله . وليس هناك مكـــان للمنهزمين والمنسحبين والجبناء فى عالم يفترس فيه القوي الضعيـــف ويسحقه سحقا ويمحقه محقا . وليس فى الامر من مبالغة ، وانما هـــو الواقع الحي الذي تنطق به احداثنا المعاصرة وتترجمه ظروفنا الدوليـــة وتعكسه سياسة العصر فى اجلى صورة من صور الشناعـــة والفظاعـــة والاجرام الذي دونه اي اجرام .

● امتحان امتنا يملي عليها التدبر — فى ايمان ووعي وانضباط — فى دورها الاسلامي واستيعاب مضامين رسالتها الحضارية . ومن ثم فان سلاح المعركة ، او فى مقدمة سلاح المعركة على الاطلاق اسلام وقـــوة ، وايمان ووحدة ، ويقين وتضامن ، ودين واقتصـــاد ، وعقيـــدة فى الله وتفوق فى العلم ، وثقة فى نصر الله ونبوغ فى الارض ، وتمسك بتقوى الله وتدبر فى تصريف امور الحرب والسلم ، والبنـــاء والتعميـــر ، فى شتى مجالات حياتنا ومرافق دنيانا .

ذاك هو التحدي الفكري الذي يضؤل امامه كل تحد .

● وهذه المجلة ، التي ارادها جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه باصدارها مع مطلع عهد الاستقلال اسلامية فكرية ثقافية اصيلة ، تفتح صدرها للاقلام المؤمنة لتقول كلمتها ، وتنصر دينها وتقيم الحجة لاسلامها . وهي منبر فكري آن الاوان لينتقل من طور الى آخر في اطار التوجيهات السديدة التي ما فتىء مجدد العصر امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ينير لنا بها الطريق نحو الاسهام الحضاري الواسع الميادين المتعدد الجوانب المتنوع الاغراض حتى نؤدي رسالة المغرب في الاشعاع الاسلامي والتواصل الثقافي والامتداد الفكري على هدى وبصيرة ، وبحكمة ومسؤولية .

●● فلنكن في مستوى مسؤولياتنا ، نحمي كرامة الفكر ونذود عن اصالته ونبلغ رسالته الى الناس كافة ، والى اجيالنا الصاعدة خاصة .

دعوة الحق



للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

كان الاسطول المغربي في البحر الابيض المتوسط خـلال القـرن السادس الهجري اول اسطول له وزن دولي في منطقة تعتبر اعظم منطقة بحرية في العالم وكان المغرب يشعر آنذاك بجسامة المسؤوليـة التـي يتحملها كدولة تخولها قوتها رسالة تطهر المنطقة من الشوائب التي كانت من جملتها (القرصنة البحرية) فلذلك شكل الموحدون (مليشية ملاحية) لايقاف التيارات الجارفة التي بدات تعصف بحبل الطمانينة والهدوء في اعظم مسار بحري رسمي تركزت في مياهه المبادلات الاقتصادية وعناصر التلاقح الفكرية والحضارية وكانت (الحروب الصليبية) تلطخ الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط حيث تجمع مرتزقة من بقع مختنقة فـي اوربا لتقويض كيان السلام الذي حفظه الاسلام منذ ظهوره ، وجاء (صلاح الدين الايوبي) فرد المياه الى مجاريها بعد فترة من الفوضى فجرت في المنطقة بركانا من الدماء وقد احس الخليفة الايوبي بفضل روحه العسكرية الوثابة بمدى خطورة الموقف وبضرورة تكتل شقي العروبة في شرق البحر الابيض المتوسط وغربه ولمس قوة الاسطول المغربي كدعامة حتمية للحفاظ على التراث الاسلامي والعربي في المنطقة فاستنجد بالخليفـة الموحدي الذي كانت مجرد اصداء اسطوله العتيد في المتوسط تثير الرعب في قلوب المرتزقة الذي تشتت فلولهم قبل ان يهب الاسطول المغربي لانجاد شواطيء فلسطيـــن .

وقد جدد جلالة الحسن الثاني ملك المغرب هذه الرسالة عندمـا تفضل فقبل الاشراف على لجنة القدس في ظرف عصيب لم يسبـق ان اجتازه العالم الاسلامي منذ العهد الصليبي :

فما هو هذا الاسطول الذي زعزع الصليبيين في تلك العصور .

قال ابن خلدون (1) « وكانت لهم فى المائة الخامسة الكرة بهذا البحر (او الرومى) وضعف شان الاساطيل فى دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشىء من أمره لهذا العهد بعد ان كان لهم به فى الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف فى اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربى من هذا البحر لهذا العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان قائد الاسطول به لعهد لمتونة بنى ميمون(2) رؤساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد المومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الى المائة من بلاد العدوتين جميعا ، ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم احمد الصقلى ... الى ان قال : « وانتهت اساطيل المسلمين على عهده فى الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه .. » وهنا اشار الى ان صلاح الدين الايوبى ملك مصر والشام تتابعت اساطيل النصارى ضد ثغور الشام لم تقاومهم اساطيل الاسكندرية فاوفد الايوبى ليعقوب المنصور عبد الكريم ابن منقذ من بيت بنى منقذ ملوك شيزر الخ استنجادا بالاسطول المغربى .

وهكذا ظل العرب وحدهم مدة طويلة سادة البحر الابيض المتوسط (3) ، وكان فى الاسطول الاندلسى فى عهد الناصر الاموى مائتان اثنتان من السفن ومثله فى افريقية باشراف قائد الاسطول (4) ، والواقع ان الاسطول المرابطى كان له جولات فى المتوسط وكان قائده ايام يوسف بن تاشفين فى الجواز الاول الى الاندلس هو داود بن عائشة ، واحمد بن ميمون (5)، وعلى بن ميمون الذى كان اميرا للبحر AMIRAL فى عهد يوسف نفسه بينما ولى احمد بن عمر المعروف برقم الاوز جملة من الاسطول المرابطى فى عهد ولده على (6) ، وقد خلدت اغنية رولان ROLAND نشاط المرابطين فى البحر وتحدث (الفونسو السابع) عن وصول غارات الاسطول المرابطى الى بلاد الشام (7) ، وعلى بن عيسى هو قائد الاسطول المرابطى الذى كانت قطعه تتردد بين العدوتين (8).

وقد انشا عبد المومن القطائع عام 557 هـ 1161 م فى سواحل العدوة والاندلس فصنع منها زهاء مائتى قطعة اعد منها فى مرسى المعمورة بحلق البحر على وادى سبو بمقربة سلا مائة وعشرين قطعة . وقد بلغت هذه القطع 400 (9) ، ورؤساء البحر فى العهد الموحدى هم : عبد الله بن سليمان قائد الاسطول الموحدى فى عهد عبد المومن (10) ؛ واحمد الصقلى قائد الاسطول الموحدى اسره النصارى

---

(1) العبر — المجلد الاول — القسم الثانى ص 456.

(2) ذكر ابن خلدون فى تاريخه (ج 6 ص 161) احمدبن ميمون قائد اسطول المرابطين عام 416 هو الذى غزا صقلية وكذلك محمد بن ميمون .

(3) (جوستاف لوبون — حضارة العرب — الطبعة الفرنسية ص 284) .

(4) (البيان لابن عذارى ج 2 ص 237) .

(5) (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 236 و ج 7 ص24 ح) .

(6) (الادريسى فى النزهة) .

(7) (دوزى تاريخ الاسلام) .

(8) (ابن عذارى ج 3 ص 21 طبعة الرباط) .

(9) حسب ابى زرع (ج 2 ص 164) والاستقصا ج1 ص 158 و ج 2 ص 128 .

(10) (ابن عذارى ج 3 ص 32) .

واستخلصه صاحب صقلية ثم لحق بتونس واجاز الى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المومن بالمبرة والكرامة واجزل الصلة وقلده امر اساطيله (11) . وكان ابو العباس الصقلي ايضا رئيس اسطول اشبيلية (12) . غانم بن محمد ابن مردنيش ، عينه الخليفة يوسف عام 575 هـ / 1179 م قائدا لاسطوله (13) . ويحيى بن ابى زكرياء الهزرجي قائد الاسطول الموحدى عام 600 هـ / 1203 م الذى ذهب لقتال ابن غانية وكان على راس الجيش ابو محمد عبد الله بن ابى حفص الهنتاتى فلقيه بجبل (تاجورة) من نواحي (قابس) واوقع به (14) . وابو العلاء الكبير قائد اساطيل البرين فى عهد الناصر الموحدى وكانت تحتوى على جميع اجفان العدوة والاندلس (15) .

وذكر اندرى جوليان (16) فى (ص 413) ان (يوسف البربرى) الذى استخدمه (روجير الثانى) ملك صقلية على سفنه قد عين اميرالا من طرف الامير ابى يعقوب يوسف الموحدى فجعل من اسطول الخليفة الموحدى اعظم اسطول فى البحر المتوسط اما اسطول سبتة فكان قائده عام 720 هـ / 1320 م هو (محمد ابن على ابن الفقيه ابى القاسم) شيخ آل العزفى وذلك بعد ان اشرف على الاسطول قائد البحر (يحيى الرنداحى) (17) وقبله (ابو العباس الرنداحى) الذى اعان ابا القاسم على تملك سبتة عام 647 هـ / 1259 م (18) على ان (عليا بن خلاص) صاحب سبتة هو الذى انشا اسطولا عام 643 هـ / 1245 م فغرق عند خروجه من سبتة فى طريقه الى البيعة لابى زكرياء الحفصى (19) وقد امر (عبد الله بن جامع) اسطول سبتة (20) وابن جامع هذا قد خلف (غانما بن محمد ابن مردنيش) قائد الاسطول الموحدى المرابط فى سبتة الذى اسره النصارى عام 576 هـ / 1180 م (21) وكان (ابن عبد السلام ابو عبد الله الكومى) هو ايضا قائد اسطول سبتة وعندما حدث الخلاف بين يعقوب المنصور المرينى وابن الاحمر عام 673 هـ / 1279 م تجمعت بمرفا سبتة اساطيل منها خمس واربعون قطعة لابى حاتم العزفى واثنتا عشرة لابن الاحمر انطلقت من (المنكب) والمرينى و (مالقة) وخمس عشرة قدمت من (بادس) وسلا واثفا التحمت مع اربعمائة قطعة للعدو نملكتها واسرت قائدها (الملند) الذى نقل اسيرا الى فاس (23) وكان (ابو الحسن بن كماشة) قائد البحر بسبتة عام 709 هـ / ايام استيلاء بنى الاحمر على المدينة الذى تقبض عليه آنذاك تاشفين بن يعقوب بامر من السلطان ابى الربيع سليمان بن ابى عامر عبد الله ابن يوسف المرينى (24) وعندما عاد ابو الحسن المرينى عام 750 هـ / 1349 م من تونس بعد مقام طال عاما ونصف عام وبعد ان عقد لابنه ابى الفضل نزل اسطوله بمرسى بجاية بعد خمس ليال من اقلاعه من تونس ثم ابحر من جديد فتكسرت اجفانه وقذف الموج بالسلطان على حجر قرب الساحل من بلاد (زوادة) حيث تداركه جفن من بقية الاساطيل وكانت الاساطيل (حسب نفح الطيب) نحو الستمائة

---

(11) (العبر المجلد الاول — القسم الثانى ص 457) .
(12) (ابن عذارى ج 3 ص 117) .
(13) (الاستقصا ج 1 ص 161) .
(14) (الاستقصا ج 1 ص 189) .
(15) (ابن عذارى ج 3 ص 234 طبعة الرباط) .
(16) تاريخ افريقيا الشمالية .
(17) الاستقصا ج 2 ص 55 .
(18) (ابن عذارى ج 3 ص 400 طبع بالرباط) .
(19) (الاستقصا ج 1 ص 203) .
(20) (ابن عذارى ج 3 ص 117 طبعة الرباط) .

غرقت كلها وهلك من اعلام المغرب نحو اربعمائة عالم منهم (محمد بن سليمان السطى) شارح (الحوفى) و (محمد بن الصباغ المكناسى) وابـو العبـاس (الزواوى) وقد ذكر الابى فى شرح مسلم عنـد كلامه على احاديث العين ان مصاب هذا الاسطول بنظرة كان معروفا بتلك الديار (25) وكان (ابـن مرحون زيد) هو قائد اسطول بجاية أيام الحفصيين وقد شارك (26) بست عشرة قطعة بحريـة فـى (وقعة طريف) عام 740 هـ / 1339 م ، اما الاسطول المرينى فقد كان رئيسه عام 757 هـ / 1356 م هو محمد بن يوسف المعروف بالاكم من امـراء بنـى الاحمر (27) وقد ورد وصف هذا الاسطول فى رحلة ابى عنان المرينى المسماة « فيض العباب » لابراهيم ابن عبد الله المعروف بابن الحاج مع ذكر اسماء بعض رؤسائه وشاراته واعلامها وموسيقاهم ومـن قواد الاسطول المرينى (ابو اسحاق البطروجى نور الدين الاشبيلى تلميذ ابن طفيل) (28) وابن شلطور محمد قائد اسطول المنكب والمزداد بمـراكش (29) امـا الاسطول السعدى فلم يكن له دور كبير فى الحروب ولكنه استناد ماديا من هجمات القراصنـة علـى شواطىء الاندلس وكان وجوده يشكل وسيلة ضغط على اسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تذكران ما قام به الاسطول فى عهود المرابطين والموحدين والمرينيين وكان قد مر قرنان اثنان على انهيار الاسطول المرينى فى عهد ابى الحسن فكانت المحاولة الجديدة عام 956 هـ 1549 م جديرة باثارة الانتباه وقد اصبح القراصنة يعيشون فى البحار وفى مراسى المغرب فرابط القرصان من اتراك الجزائر فى العرائش حيث امتدت اوكـار قرصانية فى موانىء اخرى كتطوان وبـادس بل ان القرن الخامس عشر شهد استيلاء البرتغاليين على معظم المراسى فى مصبات الانهار المغربية الامر الذى حال دون قيام اسطول مغربى وقد بدأ ذلك باحتلال سبتة عام 818 هـ / 1415 م فلهذا حاول (محمـد الشيخ السعدى) تكوين اسطول بحرى بالاضافة الى وحدات كانت فى ملك رؤساء تطوان وبادس فقام ورش بحري بالريف قرب غابات البلوط والارز والصنوبر وورش آخر فى سلا وقد بنيت اربعة مراكب فى بادس واربعة اخرى فى سلا عام 956 هـ / 1549 م بالاضافة الى مركبين مجدافيين او شراعيين وثلاثـة مراكب مجدافية وطلب محمد الشيخ من ابى حسون الوطاسى امير بادس التعاون معه على صنع مائة مركب ومائة اخرى مسطحة لنقل الجند ولكن ابا حسون لم يكن يثق بالسلطان السعدى فغر الى (مليلية) فى نفس السنة ولعل السعديين كانوا يستهدفون من اسطولهم تحرير الجيوب البرتغالية الثلاثة التى كانت تقاوم خلال الحصار نظرا لما يتوارد عليها من امدادات من جهة البحر ولكن الحرب التى نشبت بين المغرب والجزائر عام 959 هـ / 1551 م وتهديد الاتراك للمغرب حال دون استمرار السعديين فى تعزيز اسطولهم فاضطروا الى مساعدة الاسبان ضد الاتراك .

ففى عهد عبد الله الغالب بالله كان الاسطول الحربى يتوفر على نحو ثلاثين مركبا بلغت الاربعين

---

(21) ابن عذارى ج 3 ص 117 طبعة الرباط .
— البيان المغرب ج 1 ص 105
— المن بالامامة ص 516
— الاستقصا ج 2 ص 136
(22) (البيان لابن عذارى ج 4 ص 203) .
(23) (الاستقصا ج 2 ص 25) .
(24) (الاستقصا ج 2 ص 49) .
(25) الاستقصا ج 2 ص 84
(26) الاستقصا ج 2 ص 66 .
(27) الاستقصا ج 2 ص 99 .
(28) (الاستقصا ج 2 ص 124) .
راجع ابراهيم البطروجى) .
(29) (الدرر الكامنة ج 4 ص 278) .
(30)

عند بداية ثورة الاندلسيين فى جبال غرناطة عام 976 هـ / 1568 م ومهما يكن فان الاسطول احتفظ بهذا العدد من القطع عام 985 هـ / 1577 م فى عهد المولى عبد الملك ولم يكن اسطول دايات الجزائر اكثر عددا ولكنه كان اجود نظرا لتقلص التقاليد البحرية بالمغرب خلال قرنين ومع ذلك فالمهم هو **شعور الملوك السعديين بان تعزيز وضعهم فى افريقيا والبحر المتوسط لا يمكن ان يتم بدون اسطول اذ بفضل هذا الاسطول اضطر البرتغاليون الى الجلاء عام 957 هـ / 1550 م عن مراكز قوية فى الساحل المغربى مثل اصيلا والقصر الصغير** ويظهر ان المنصور السعدى استعاض عن سياسة التوسع عبر المتوسط وخلال الاندلس بالتوسع جنوبا نحو الصحراء والسودان لهذا لم يعد للاسطول وجود بالمغرب فى القرن التاسع عشر الميلادى اذا استثنينا اسطول القراصنة بجمهورية سلا والرباط فى الفترة المتراوحة بين 1040 هـ / 1630 م و 1050 هـ / 1640 م حيث بلغت وحداته الحربية نحو الثلاثين امتد نشاطها القرصنى الى « تيرنوف » Terre - Neuve وايرلندا والجزر الخالدات (30) .

ولم يكن لاحمد المنصور فى سلا عدا ثمانية مراكب لمحاربة الاسبان (31) وقد اشار صاحب تاريخ الدولة السعدية الى الاسطول السعدى فى العرائش وسلا وكان (محمد زرقون بن على) هو قائد اسطول المنصور السعدى فى النيل بالسودان (32) وحاول مولاى زيدان بعد معاهدة 1610 م / 1010 هـ بين المغرب وهولندا تكوين اسطول يجلب بنايته من هولندا وقد صنعت بالفعل قطع اولى لهذا الاسطول هى ثلاث سفن وقيل خمس كما وصل الى آسفى اربعة مراكب (33) وقد هاجم الاسبان هذا الاسطول فاغرقوا باخرتين فى سلا (34) نعم فى عام 1019 هـ / 1610 م توجه القائد (احمد بن عبد الله) الى (روتردام) فى نفس المركب الذى نقل الى المغرب سفير مولاى زيدان حمو بن بشير وقد رافقه (ساموبل بالاش) وكذلك الترجمان (موشى بالاش) وقد استقبل السفير من طرف مجلس الولايات العامة بمحضر الامير (اورانج) وقدم اوراق اعتماده الى المجلس وطلب تزويد السلطان بعدة سفن حربية فوافق المجلس على ذلك وقرر انشاء ثلاثة او اربعة مراكب من حمولة مائتى طن مع تجهيزها بالملاحين والمدافع وقد اقترح السفير اقتراض هولندا مبلغ مليون ونصف مليون كما فعل قبله حمو بن بشير دون تحديد العملة (الدوكا أو الفلوران او الاوقية) والواقع ان الهدف الاساسى من السفارة هو امضاء معاهدة تحالف وتجارة تضمن حرية الدخول للجانبين فى مراسى البلدين مع امكان تزويد المغرب بالرصاص والسفن والعتاد وقد امضيت فى 24 دجنبر 1610 م 1019 هـ من طرف السفير وساموبل بالاش من جهة وثلاثة مندوبين عن الولايات المتحدة من جهة اخرى ولعل هذه السفارة هى اعظم سفارة مغربية لهولندا فى عهد السعديين لانها اسفرت عن توقيع اول معاهدة بين البلدين ضمنت عدم تصادم مراكب البلدين فى البحر وعدم بيع نهب القراصنة ضد السفن الهولندية فى اسواق المغرب وقد اصدر مولاى

---

(31) (دو كاستر 5 ق 1 انجلترا م 1 ص 504) .
(32) (ص 53) .
(33) (درة الحجال ج 1 ص 313) .
(34) دو كاستر — ص 1 ، هولندا م 2 عام 1612 فرنسا م 2 عام 1611 .
(35) (ص 2 س 534 — فرنسا) .

زيدان اوامره بتسريح الاسرى الهولنديين بالمغرب وكانت هذه اول مره توقع معاهدة حقيقية بين المغرب ودولة مسيحية لذلك شكلت هذه المعاهدة حدثا عظيما فى الاوساط الاوربية ويظهر انه بعد ان طلب السلطان مولاى زيدان من هولندا ان تصنع له اربع سفن عاد مطلب منها عام 1621 م / 1031 هـ بناء فرقاطتين اى حراقتين (37) وقد وجهتا الى المغرب بخفارة بارجة حربية عام 1622 م ولكنهما وصلتا الى مياه انجلترا وعادتا لعدم استطاعتهما مواجهة امواج عرض المحيط اما بخصوص المراكب الاخرى فى (المتوسط) فقد نقل محمد داود فى تاريخ تطوان (38) عن رحلة (محمد بن على الرافعى) الى الحجاز ان المؤلف نزل بجزيرة (رودس) التركية فى مركب الرئيس (محمد عروج) فوجد فى الجزيرة ثلاثين سفينة منها واحدة فيها خمس طبقات و 75 مدفعا من النحاس وان تلك السفن صنعها السلطان محمد خان بالقسطنطينية .

اما الاسطول العلوى فاول من وضع الاسس لبناء اسطول وطنى قوى هو السلطان سيدى (محمد ابن عبد الله) الذى كان للمغرب فى عهده — حسب الناصرى — خمسون سفينة منها ثلاثون حراقة (او فرقاطة) بقيادة ستين رئيسا او ضابطا يشرفون على خمسة آلاف بحار والفين من الرماة الا ان الرحالة (هوست) اوصل عدد هذه المراكب الى اثنى عشر فقط وقد انحدرت عام 1180 هـ / 1766 م الى عشرة حسب شينى CHENIE (39) ويظهر ان الاسطول العلوى ارتفع بعد بضع سنوات اى 1185 هـ / 1771 م الى عشرين قطعة وهكذا شرع السلطان سيدى محمد بن عبد الله منذ بداية عهده فى صنع مراكب فى (دار الصناعة) بابى رقراق جهز كل واحد منها ببطاريات يبلغ عدد مدافعها ما بين 26 و 36 على ان بعض المراكب مثل الحراقة التى كانت تحت امره (الرايس الطرابلسى) بلغ عدد مدافعها خمسة واربعين وكانت بتطوان ايضا دور لصناعة السفن فى العهد العلوى **وقد وجه السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى كل من (السويد) و (انجلترا) شبانا من مدينة الرباط للتدريب على بناء السفن والمراكب (40)** كما وجه ستمائه رجل من آية عطا بالصحراء واربعمائة من تافيلالت الى طنجة للتمرن على المناورات البحرية (41) .

وفى نفس الفترة كانت بعثة من الخبراء الاتراك تقوم بتكوين رماة فى الجيش المغربى وفى عام 1789 م اواخر ايام السلطان سيدى محمد بن عبد الله كانت البحرية المغربية تتكون من 6 الى 8 فركاطات تحتوى على مائتى فجوة للمدافع بالاضافة الى 14 الى 18 مدفعا و 12 (غليونة) وهى مراكب شراعية صغيرة وفى اول عهد مولاى سليمان عام 1208 هـ / 1793 م بلغت عشر فراكيط واربع قلعية شراعية واربعة عشر غليون وتسعة عشر مركبا مدفعيا مجهزة بستة آلاف بحار ممتاز وفى عام 1299 هـ / 1820 م ثلاث قلعيات واربعين مدفعا وثلاثة عشر مركبا مدفعيا (41) **وكانت البحرية الملكية تتوفر عام 1793 م / 1208 هـ عند اعتلاء المولى سليمان اريكة العرش على عشر حراقات (او فرقاطات) واربع قلعيات (اى سفن شراعية ذات قلوع) واربعة عشر غليونا (اى سفن**

(36) دو كاستر ج 1 ص 521 — 526 .
(37) (ص 371) (دو كاستر — س ۱ . السعديون ج 3 ص 188) .
(38) دو كاستر ج 1 ق 1 ص 519 (هولندا (دو كاستر — السعديون — السلسلة الاولى . راجع حق تملك حطام السفن وفى العهد السعدى
(39) مذكرة القنصلية الفرنسية العامة — الدار البيضاء عام 1943 ص 103) .
(40) تاريخ الرباط — كايى CAILLÉ
(41) (وصف وتاريخ المغرب — كودار ج 1 ص 156) .

شراعية صغيرة) مثل التي كان الهولنديون يستعملونها للصيد وتسعة عشرة من زوارق الصيد المجهزة بالمدافع كل ذلك بتعزيز من ستة آلاف بحار من الملاحين ذوى الشهرة والصيت (42) وقد اعترض الاسطول المغربى عام 1217 هـ / 1803 م الاسطول الامريكى المحاصر لطرابلس تلك هذا الحصار ثم مد اسطولنا عمارة ثانية (43) (راجع رسالة المولى سليمان لامير ليبية يوسف باشا (محمد المنونى — دعوة الحق — عدد 4 العام الثانى عشر) وكانت مدة اجتياز البواخر لعرض البحر الفاصل بين فرنسا والمغرب يتطلب فترة طويلة فقد قطعت السفينة الفرنسية التى حملت سفير فرنسا لدى المولى اسماعيل سانت — الون ST OLON فى مايه 1693 ثمانية وعشرين يوما بين فرنسا وفرضة تطوان (44) وكانت السفن تدعى احيانا باسم خاص مثل (غراب دار الصنعة) الذى تحدث عنه خالد البلوى فى رحلته (تاج المفرق) حيث ركب فيه من المرية الى الحج عام 735 هـ / 1334 م فنقله من المرية الى هنين وقد تطور على نفس النسق الاسطول الرحمانى (1243 هـ / 1827 م) بين المد والجزر الى عام 1322 هـ / 1904 اى قبيل الحماية حيث كانت للمغرب سفن حربية منها « الحسنى » و « سيدى التركى » و « التريكى » و « البشير » (45) ويتعزز اليوم هذا الاسطول الملكى بصورة سيصبح معها قديرا على مواجهة مختلف تيارات التجارة البحرية وذلك بسفن ضخمة تمخر عباب البحار والمحيطات لتنقل البضائع المغربية الى جميع انحاء العالم لا سيما وان 98 ٪ من المبادلات الخارجية تتم بالطرق البحرية وقد اشرف صاحب الجلالة الحسن الثانى بنفسه على تكوين الاسطول المغربى الحديث .

المغاربـة ومهنـة الملاحـة

ان المغاربة لم يكونوا « بحريين » فهم لم يكونوا يهتمون كثيرا قبل اليوم بفن (الملاحة البحرية) حتى فى المراسى نفسها ومعظم التراجمة — حتى الذين يوصفون بأنهم سلاويون انما هم اعلاج اجانب اما سكان العدوتين فالقليل منهم هم الذين تعاطوا هذه المهنة التى اسبغ نطاقها نوعا ما بعد توارد الاندلسيين خلال القرنين التاسع والعاشر المهجريين على مصب ابى رقراق وكان لهذه الملاحة نظامها وقوانينها التى كانت تحاول أن تكفل حرية البحار ذلك ان حماية الاشخاص وامتعة التجار مهما تكن جنسياتهم كانت فى نظر المغاربة شيئا طبيعيا وضروريا للتجارة الى حد انها كانت تخول لجميع الاجانب « حتى ولو كانت المعاهدات تسمح للحكومة المغربية بانكارها » ذلك ما اكده لاطرى LATRIE الذى ابرز أن روح العطف والحسنى والنزاهة التى اتخذت الحكومة المغربية ازاء التجار الاجانب قد تجلت فى التشريعات المتعلقة بالتهريب وكذلك فى التدابير المنصوص عليها فى المعاهدات فحتى اذا لوحظ انتهاك القانون فان الجمارك تتقاضى رسومها كما لو ان السلع قدمت بصورة عادية الى الديوانة ولكن العقوبة تكون آنذاك ادبية (46) من أن التاجر الذى يدخل سلعة خفية

(42) نفس المصدر ص 156 .
(43) (محمد بن على الدكالى — جريدة المغرب رقم 346) .
(44) وثائق دوكاستر — ص 2 . الفلاليون — فرنسا م 4 ص 1 (1693 — 1698) .
(45) الاستقصا ج 4 ص 183 .
(46) كما لاحظ (بيركولوطى) .
(الفصل 27 ص 123) .

ويكشف عمله » يفقد سمعته وشرفه فلا يحظى بعد ذلك بثقة العرب » ولم تكن هنالك مدرسة لتخريج الربابين بمعنى الكلمة اللهم الا المدارس التطبيقية وهى (الصناعة) بباب المريسة بسلا ودار الصناعة بتطوان واوريش الذى اسسه العلويين قبالة جامع حسان بالرباط ، ولعل اول مدرسة حملت هذا الاسم هى (متحف الاوداية) الذى كان يتخرج فيه ربابنة البحر وقد عرفت هذه المدرسة منذ عام 1309 هـ / 1891 م (47) وكان لكل مركب او سفينة ربانها او رئيسها (ويسمى الريس) كما كان لبعض الموانى قائد يشرف على البحرية فى نطاق عمالته كما كان الحال بتطوان حيث اشرف على البحرية بها القائد احمد لوقاش المعروف عند الاسبان وقد ولى الخليفة الناصر الموحدى السيد عبد الله بن طاع الله على قيادة البحر بعد ان كان قد عينه قبل واليا على جزيرة ميورقة ومن هؤلاء الرؤساء والربابين : العربى حكم الرباطى رئيس البحر ايام سيدى محمد بن عبد الله(48) وكذلك العربى المستارى والرايس عواد السلوى وقنديل (ص 177) وهو غير قنديل محمد السلوى رئيس المركب الذى كان فى ملك المولى اسماعيل وقد اسر فى فرنسا وافتدى عام 1688 م / 1100 هـ (49) الكوار الرباطى رئيس البحر فى عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله .

مصادر فى البحر والبحرية

كناش فى أمور البحر وهو تقييد ما دخل فى يد عبد الهادى العسرى من جبة الفشتيلية ابتداء من عام 1183 هـ / 1769 م يشتمل على قائمة بحارة الرباط وسلا واجورهم وموارد مراسى المغرب المودعة فى بيت المال بباب القصبة بالرباط من عام 1183 الى 1227 هـ (160 ورقة) خع ـ 1409 د (الاصل بالمكتبة الناصرية بسلا) .

— لواقح الاسرار فى حديث البحر والاسفار فى توضيح الرسالة الفتحية فى صنعة الرياس لعبد الله مبكانى الرباط (عاش فى عهد السلطان مولاى سليمان) مخطوط فى مكتبة الاستاذ عبد الله الجرارى.

— « زينة التحر بعلوم البحر » لابراهيم التادلى الرباطى تحدث فيها عن سير سفن الشراع والبواخر خع 1747 د .

— البحرية والطبجية فى الرباط تاريخ الضعيف (ص 470 — 476) .

— عجائب البحر لابن عفيون محمد بن ابى بكر الغافقى الشاطبى (584 هـ / 1189 م) .

— تاليف فى الملاحة البحرية خم 7817 .

— تاريخ الاسطول العربى محمد ياسين الحموى دمشق — مطبعة الترقى 1945 (147 ص) .

— تاريخ تطوان لمحمد داود ج 4 ص 226 مقدمة ابن خلدون ج 1 ص 416 .

— مظاهر يقظة المغرب الحديث محمد المنونى ج 1 ص 63 .

— اسطول الاندلس (اسبانيا المسلمة — ليفى بروفنسال ص 153 و 248).

---

(47) تاريخ الرباط لكايبى ص 393 .
(48) دو كاستر ق 2 : العلويون (ص 340 — 344) (ق 2 — فرنسا م 3 ص 172) .
(49) تاريخ الضعيف ص 177 .

مصادر مغربية في موسوعة

المواهب اللدنية

– ١ –

للأستاذ سعيد أعراب

ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن ابى بكر القسطلانى ، من العلماء الموسوعيين القلائل، كان فقيها ، محدثا ، نحويا ، لغويا ، مقرئا ، مؤرخا (1) ، وكتابه : « المواهب اللدنية ، بالمنح المحمدية » من اوسع كتب السيرة ، واجمعها للشمائل المحمدية ، واوفاها بالغرض المقصود ، وقد عاد فيه الى عشرات المصادر -.

ومما لفت نظرى – وانا اتصفح مجلداته الضخام بشرح الزرقانى (2) – ما تضمنه من مصادر مغربية ، ونصوص على جانب من الاهمية قد ضاعت اصولها ، وربما لا تجدها فى كتاب سواه ، ويمكن تصنيفها – كما يلى :

– التفسير – الحديث – السيرة النبوية – سير الصحابة – اسماء البلدان والامكنة .

ا – فى التفسير :

ومن المصادر التى عاد اليها فى هذا الصدد :

1 – كتاب « الهداية ، الى بلوغ النهاية (3) » – لابى محمد مكى بن ابى طالب القيروانى القرطبى، العالم المقرىء (ت 437 هـ (4)) ، وهو من اوسع التفاسير واوفاها ، جمع الى معانى القرآن وتفسيره ، انواع علوم القرآن ، فى سبعين جزءا ، وجعله بعضهم فى عشرة اسفار (5) (مجلدات) .

(1) انظر الضوء اللامع 103/3 ، والبدر الطالع 102/1 ، وخطط مبارك 11/16 ، والكواكب السائرة 126/1 .

(2) يقع فى ثمانية مجلدات ، توسع فيه ، واعاد نصوصه الى اصولها ، وترجم لاعلام كثيرين ، لكنه وقع فى اخطاء فى بعض وفيات المغاربة – كما سنرى ذلك .

(3) انظر المواهب بشرح الزرقانى 206/2 ، و ج 175/3 .

(4) انظر فى ترجمته : الصلة 597/2 ، ومعالم الايمان 213/3 ، وغاية النهاية 310/2 ، ومعجم الادباء 167/19 ، ووفيات الاعيان 363/4 ، وبغية الوعاة : 396 .

(5) يوجد المجلد الاول منه بالخزانة الملكية .

2 ــ « احكام القرآن » ــ للقاضي ابي بكر ابن العربي الحافظ المبحر (ت 543 هـ (6)) ، أورد عنه طائفة من آرائه ــ بواسطة بعض تلاميذه كالقاضي عياض في الشفاء (7) ، والسهيلي في الروض الأنف (8) ، وكنت اعتقد انه لم يصله الكتاب ، لكنه ارتفع هذا الوهم عندما وجدته في بعض الاجزاء ــ يقول : (وقد رأيت في كتاب الاحكام للقاضي ابي بكر بن العربي ... (9))

3 ــ « الجامع لاحكام القرآن » ــ لابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح ــ بسكون الراء وباحاء المهملة ــ الانصاري القرطبي ، الامام المفسر (ت 671 هـ (10)) ذكر عنه بعض اختياراته وترجيحاته ، منها ما ذهب اليه في تفسير قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح » ــ انهم سألوه عن روح الانسان ، لان اليهود لا تعترف بان عيسى روح لله (11) .

ويشير شارحه الزرقاني الى ان شرذمة قليلة من الاندلسيين ترى رأي الفلاسفة في ان الروح تفنى بفناء الجسد ، والاجماع على انها لا تنعدم ، بل هي باقية في عذاب او نعيم (12) .

كما افاد صاحب المواهب من كتابه « التذكرة بأمور الآخرة (13) » .

4 ــ « البحر المحيط » لاثير الدين ابي حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي ، شيخ النحاة في عصره ، (ت 745 هـ (14)) .

اورد عنه بعض آرائه في التأويل (15) ، قال في آية : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » ــ : ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزبيثا بن اسحاق النصراني الرسعني :

عدي وتيم (16) لا احاول ذكرهم
بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه
اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى يحبهم
واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم
سرى في قلوب الخلق حتى البهائم(17)

---

(6) انظر في ترجمته : المطمح : 62 ، والصلة 558، والمغرب في حلى المغرب 249/1 والوفيات 423/3، والمرقبة العليا : 105 ، والديباج : 281 ، وتذكرة الحفاظ : 1294 ، وازهار الرياض : 62/3 ، 86 ــ 95 ، ونفح الطيب 25/2 ــ 44 .
(7) انظر المواهب 284/1 .
(8) المصدر السابق 420/1 .
(9) المواهب 118/3 .
(10) انظر في ترجمته : الوافي بالوفيات 122/2 ،وطبقات المفسرين 28 ، والنفح 210/2 ــ 212 .
(11) المواهب 263/1 .
(12) انظر الزرقاني على المواهب 263/1 .
(14) انظر في ترجمته : الاحاطة 43/3 ، والكتيبة الكامنة : 81 ، ونكت الهميان : 280 والدرر الكامنة 302/4 ، وغاية النهاية 285 ، وبغية الوعاة 121 ،والنفح 535/2 .
(15) انظر المواهب 387/1 ، و ج 369/8 ، 418.
(16) يعني بعدي قبيلة الفاروق عمر بن الخطاب ،وتيم قبيلة الصديق ابي بكر .
(17) انظر المواهب 14/7 .

5 — ومن المصادر التي أضافها شارحه الزرقاني — في هذا الصدد — « المحرر الوجيز » في تفسير كتاب الله العزيز » — لابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، الامام المفسر (ت 542 هـ (18)) .

وتفسيره هذا من أحسن التفاسير تحريرا واتقانا (19) .

ب — الحديث :

1 — كتاب « الدلائل (20) » — لقاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي ، الفقيه المحدث (ت 302 هـ (21)) — شرح فيه ما أغفله أبو عبيدة وابن قتيبة من غريب الحديث ومات قبل أن يكمله ، فاكمله أبوه ثابت بعده (22) .

أثنى عليه غير واحد ، وقال فيه أبو علي القالي: ما أعلم وضع بالاندلس مثله ، فانتقده ابن الفرضي وقال : أنه تعصب منه ، لو قال : ما وضع بالمشرق مثله ، ما أبعد (23) .

2 — « النصيحة » : — شرح صحيح البخاري لابي جعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي . (ت 402 هـ (24)) . وهو أول شارح له ، وله شرح على الموطا ، أسماه « النامي (25) » ، وقد تعقب عليه ابن حجر كثيرا من آرائه (26) ، أورد بعضها القسطلاني في المواهب (27) .

3 — شرح صحيح (28) البخاري لابي القاسم المهلب بن أبي صفرة التميمي الاندلسي ، من العلماء الراسخين في الفقه والحديث . (ت 435 هـ (29)) .

4 — شرح صحيح (30) البخاري — لابي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، ويعرف بابن اللجام ، الفقيه الحافظ المحدث الراوية. (ت 449 هـ (31)) .

---

(18) انظر في ترجمته بغية الملتمس 376 . والمعجم لابن الابار : 269 . وقضاة الاندلس : 109 .
(19) انظر البحر المحيط 9/1 — 10 .
(20) انظر المواهب 331/1 . و ج 188/3 .
(21) انظر في ترجمته : تاريخ علماء الاندلس 36/1،وجذوة المقتبس 312 . وبغية الملتمس 434 ، وبغية الوعاة 375 — 376 .
(22) تاريخ علماء الاندلس 361/1
(23) نفس المصدر .
(24) انظر في ترجمته : ترتيب المدارك 623/4 . والديباج : 35 . وشجرة النور : 155
(25) توجد نسخة منه بخزانة القرويين رقم 527 هـ
(26) انظر مقال « مصادر مغربية في فتح الباري » — لكاتب هذه السطور المنشور بمجلة « دعوة الحق » س 17 ع 5 ص : 41 .
(27) انظر : ج 79/2 ، و ج 158/4 ، و ص 221 ، 256 .
(28) انظر المواهب ج 172/7 — 181 ، و ج 161/8 .
(29) انظر ترتيب المدارك 752/4 . والصلة 593 . والديباج 346/2 والزرقاني على المواهب 172/7 ، وفيه أن وفاته 433 هـ .
(30) انظر المواهب 265/1 . و ج 18/4 ، 256 ، 314 ، 357 ، و ج 27/5 ، 29 ، 350 ، و ج 86/7، 164 ، 166 ، و ج 167/8 ، 316 ، 374 .
(31) انظر الصلة : 394 ، والديباج 105/2 . وشذرات الذهب 283/3 ، والزرقاني على المواهب 265 — وفيه أن وفاته : 444 هـ

5 — « المحلى (32) » لابى محمد على بن احمد ابن حزم الظاهرى الامام الحافظ (ت 456 هـ (33))، وافاد كذلك من كتابه « حجة الوداع (34) » .

6 — « التمهيد (35) » لابى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، حافظ المغرب (ت 463 هـ (36)) وعاد كذلك الى كتابه « الاستذكار (37) » .

7 — شرح (38) على صحيح البخارى لابى عبد الله محمد بن خلف بن المرابط ، من اهل الروايه والحفظ والتفنن . (ت 485 هـ (39)) .

8 — « الجمع بين الصحيحين (40) » لابى عبد الله محمد بن ابى نصر بن فتوح الازدى الحميدى الاندلسى الظاهرى ، من كبار تلاميذ ابن حزم ، كان فريد عصره علما وفضلا ، حافظا ثبتا ، اماما فى الفقه والحديث والادب (ت 488 هـ (41)) .

9 — الجمع بين (42) الصحيحين لابى على الحسن بن محمد الجيانى ، ويعرف بالغسانى ، من كبار الحفاظ ، بصيرا باللغة والانساب واسماء الرجال ، صنف فى كل ذلك . (ت 498 (43)) ومن مؤلفاته القيمة « تقييد المهمل ، وتمييز المشكل (44) ».

10 — تجريد الصحاح (45) — لابى الحسن رزين ابن معاوية العبدرى السرقسطى ، جمع فيه : الموطأ ، والصحيحين ، وسنن ابى داود ، والترمذى، والنسائى .

كان فاضلا عارفا بالحديث وغيره . (ت 525 هـ (46)) .

11 — « المعلم بفوائد مسلم (47) » لابى عبد

---

(32) انظر المواهب 131/1 ، 308 ، 351 396 ، و ج 261/7 ، و ج 103/8 ، 149 .
(33) انظر فى ترجمته : جذوة المقتبس : 290 ، الصلة 395/2 ، تذكرة الحفاظ 146/3 ، العبر 239/3، الوفيات 13/3 ، شذرات الذهب 229/3 ، دائرة المعارف الاسلامية 136/2 .
(34) انظر ج 207/8 ، 290 .
(35) انظر المواهب 126/1 ، 127 ، 137 ، 146، 239 ، 308 ، 311 ، و ج 2/2 ، 132 ، 302، و ج 70/3 ، 193 ، 202 ، 206 ، 250 ، 261 ، 262 ، 323 ، و ج 275/5 و ج 6/7 ، 359 ، 381، و ج 322/8 .
(36) انظر فى ترجمته : جذوة المقتبس 390 ، الصلة 640/2 ، ترتيب المدارك 808/4 وفيات الاعيان 44/6 ، تذكرة 1208 .
(37) انظر المواهب 381/7 ، و ج 123/8 .
(38) انظر المواهب ج 57/2 ، و ج 17/3 ، و ج 237/5 .
(39) انظر الصلة 530/2 ، والديباج 273 ، وشذرات الذهب 275/3 ، وشجرة النور 122 ، والزرقانى على المواهب 57/2 — وفيه ان وفاته بعد الثمانين
(40) توجد نسخة بمكتبة عارف بالمدينة المنورة على جانب من الاهمية فى مجلدين رقم 329 .
(41) انظر الصلة 530 ، تذكرة الحفاظ 218/3 ، والرسالة المستطرفة 173 ، وشجرة النور 122 .
(42) انظر المواهب 395/5 .
(43) انظر بغية الملتمس 29 ، الصلة 144/1 ، معجم اصحاب الصدفى 177 تذكرة الحفاظ 1233 ، ازهار الرياض 149/3 .
(44) توجد نسخة منه بخزانة الجامع الاعظم بمكناس، واخرى بمكتبة عارف بالمدينة المنورة ، وهو جدير بالتحقيق .
(45) انظر المواهب 335/1 ، و ج 336/8 .
(46) انظر الصلة 184/1 ، وشجرة النور 133 .
(47) انظر المواهب 140/2 ، 219 ، و ج 362/4، و ج 292/5 ، و ج 74/7 ، 161 ، 164 ، 381، و ج 265/8 .

الله محمد بن على المازرى الامام الحجة فى الفقه والحديث . (ت 536 هـ (48)) .

12 — « عارضة الاحوذى ، علـى صحيـح الترمذى (49) » — للقاضى ابى بكر بن العربى ، وافاد كذلك من كتابه « القبس فى شرح موطا مالك ابـن انس (50) » .

13 — « الاكمال (51) » لابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى ، عالم المغرب ، وامام اهل الحديث فى وقته . (ت 544 هـ (52)) .

14 — « الاحكام الشرعية الكبرى (53) » لابى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى ، ويعرف بابن الخراط ، كان فقيها حافظا ، عارفا بالحديث ورجاله . (ت 581 هـ (54)) .

15 — « المفهم فى شرح مسلم (55) » — لابى العباس احمد بن عمر بن ابراهيم الانصارى ، الشهير بالقرطبى ، من رجال الحديث ، رحل الى المشرق ونزل الاسكندرية ، وبها توفى سنة (656 هـ (56)).

16 — « بهجة النفوس (57) » — لابى محمد عبد الله بن سعيد بن ابى جمرة ، الشيخ القدوة ، المحدث الراويه ، نزيل مصر . (ت 699 هـ (58)) — وهو شرح على مختصر له لصحيح البخارى .

17 — ومن المصادر التى عاد اليها فى رواية بعض الاحاديث — « الواضحة (59) » فى الفقه والسنن ، لابى مروان عبد الملك بن حبيب السلمى ، عالم الاندلس وفقيهها . (ت 238 هـ (60) ، قال صاحب المواهب : ومما يستدل به المالكية — يعنى فى تفضيل مسجد النبى — صلى الله عليه وسلم —

---

(48) انظر وفيات الاعيان 413/3 ، والديباج 279، ولحظ الالحاظ 73 ، وازهار الرياض 165/3 .

(49) انظر المواهب 118/3 ، و ج 18 ، 195 ، 240، و ج 291/5 ، و ج 329/6 ، و ج 391/8 .

(50) انظر المواهب 119/3 .

(51) انظر المواهب 36/5 .

(52) انظر فى ترجمته الصلة 429 ، والقلائد 222 ، ومعجم اصحاب الصدفى 294 ، وقضاة الاندلس 101 ، وتذكرة الحفاظ 1304 ، والديباج 168 ، وشجرة النور 140 ، وافرده ولده محمد بتاليف اسماه « التعريف » والمقرى « ازهار الرياض » .

(53) انظر المواهب ج 13/5 ، و ج 155/7 .

(54) انظر فى ترجمته : تهذيب الاسماء 292/1 ، فوات الوفيات 248/1 ، التكملة 646 — طبع مجريط ، عنوان الدراية 20 ، تذكرة الحفاظ 1350، شجرة النور : 155 .

(55) انظر المواهب 158/1 ، 307 ، و ج 236/2، و ج 19/4 ، و ج 152/5 ، 158 ، 299 ، و ج 4/6 ، 111 ، و ج 99/7 ، 149 ، 182 ، 275، 331 ، و ج 52/8 ، 159 ، 323 ، 342 — 343، 402 .

(56) انظر تذكرة الحفاظ 1488 ، ولسان الميزان 437/5 ، والنفح 112/2 ، والرسالة المستطرفة 62

(57) انظر المواهب 42/1 ، 222 ، و ج 67/5 ، 295 — 296 ، و ج 32/6 — 33 ، 72 ، 122 ، 139 ، 295 — 296 ، و ج 176/7 ، 393 .

(58) انظر البداية والنهاية 213/13 ، وهدية العارفين 59/1 .

(59) انظر المواهب ج 323/8 .

(60) انظر فى ترجمته ، تاريخ علماء الاندلس 269/1، والديباج 154 ، وتذكرة الحفاظ 107/2 ، وميزان الاعتدال 148/2 ، ولسان الميزان 59/4 .

على غيره — ما ذكره ابن حبيب في « الواضحة » — انه — صلى الله عليه وسلم — قال : « صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه (61) » .

قد يقال ان ابن حبيب لم يكن له علم بالحديث، فكيف يستدل بروايته ؟

يجيبنا ابو العباس المقري عن هذا السؤال فيقول : اما ما ذكروه من عدم معرفته بالحديث ، فهو غير مسلم ، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين واما ما ذكروه عنه من الاجازة بها في القراءة . فذلك على مذهب من يرى الاجازة ، وهو مذهب مستفيض، واعتراض من اعترض عليه ، انما هو بناء على القول بمنع الاجازة (62) .

وعدد شارحه الزرقاني — زيادة على المصادر السابقة — الى المصادر التالية :

18 — « مسند (63) » ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الامام الحافظ (ت 276 هـ (64)) قال فيه ابن حزم : (مسند بقي روى فيه من الف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ورتب حديث كل صاحب على ابواب الفقه ، فهو مسند ومصنف ، وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله (65)) .

ويذكر الزرقاني انه روى فيه لابي هريرة من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خمسة آلاف وثلاثمائة واربعة وسبعين حديثا (66) .

19 — « المنتقى (67) » — شرح على موطأ مالك — لابي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، الفقيه المحدث ، احد ائمة المسلمين (ت 474 هـ (68)) . انتقاه من شرح له كبير — وهو في سبعة مجلدات (69) .

20 — « المخبر الفصيح ، في شرح البخاري الصحيح (70) » — لابي محمد عبد الواحد ابن التين السفاقسي . المحدث الراوية (ت 611 هـ (71)) .

21 — « اكمال الاكمال (72) » — لابي عبد الله محمد بن خليفة الابي الوشتاني . (ت 828 هـ (73)) وكمل به اكمال عياض ، وهو شرح جليل (74) .

---

(61) اخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر . انظر الزرقاني على المواهب 328/8 .
(62) النفح 8/2 .
(63) انظر الزرقاني على المواهب 34/1 .
(64) انظر في ترجمته : تاريخ علماء الاندلس 107/1، وجذوة المقتبس 167 ، وبغية الملتمس رقم 584 ، والمرقبة العليا 18 ، وتذكرة الحفاظ 629 ، وطبقات المفسرين 9 .
(65) انظر فضائل الاندلس وأهلها 12 — 13 .
(66) شرح الزرقاني على المواهب 34/1 .
(67) انظر الزرقاني على المواهب ج 79/1 ، و ج 243/2 ، و ج 149/5 .
(68) انظر في ترجمته : القلائد 188 ، والصلة 197، وبغية الملتمس رقم 777 ، والمغرب 404/1 ، والوفيات 142/2 ، ومعجم الادباء 246/11 ، والديباج 120، وتذكرة الحفاظ 1178 ، والمرقبة العليا 95 ، والنفح 67/2 .
(69) انظر شجرة النور 121 .
(70) انظر الزرقاني 351/4 .
(71) انظر في ترجمته : هدية العارفين 635/1 ، وشجرة النور 168 .
(72) انظر الزرقاني 88/1 .
(73) انظر شجرة النور 244 .
(74) نفس المصدر .

جـ — السيـرة النبويـة :

1 — « المولد النبوي (75) » لابي زكرياء يحيى ابـن مـالك بـن عائـذ الاندلسي الحافظ الكبير (ت 375 هـ (76)) .

2 — قصيدة (77) في مدح الرسول — عليـه السلام — لابي محمد عبد الله بـن ابـي زكريـاء الشقراطسي — نسبة الى شقراطسة — بلدة من بلاد الجريد بافريقية ، عالم اديب (ت 466 هـ (78))، وهي قصيدة مشهورة ضمنها عيونا من سيرته — عليه السلام ، شرحها ابو شامة وغيره (79) .

3 — « تحقيق المذهب (80) » — في انه — صلى الله عليه وسلم — كتب ، لابي الوليد الباجي الآنف الـذكـر .

وهو كتيب صغير ، اثار ضجة كبرى في الاوساط الثقافية بالمغرب (81) ، حتى قال شاعرهم :

برئت ممـن شـرى دنيـا بـآخرة

وقـال : ان رسول الله قد كتبا (82)

وحاشاه من ذلك (83) ، وانما هو من تخيلات الشعراء الذين يهيمون في كل واد .

والى لقاء آخر في عدد قادم — بحول الله .

تطوان — سعيد اعراب

---

(75) لم يذكره كتب التراجم ، واقتصر على ذكره صاحب المواهب ج 108/1 .

(76) انظر في ترجمته تاريخ علماء الاندلس 193/2 — 194 ، وتذكرة الحفاظ 1003/3 — وفيه ان وفاته سنة 376 هـ ، وابعد الزرقاني النجعة ، فجعل وفاته سنة 396 هـ ، كما اخطأ في انه توفي وهو على المنبر، ولعل الذي اوقعه في هذا الوهم ، ما ذكره التنوخي في نشوره : (حضرت مجلس صاحب الاغاني ابي الفرج ، فقال : لم نسمع من مات فجاة على المنبر ، فقال شيخ اندلسي لزم ابا الفرج اسمه يحيى بـن عائذ ، بانه شاهد في جامع بلده بالاندلس خطيب البلد — وقد صعد يوم الجمعة ليخطب ، فلما بلغ يسيرا من الخطبة خر ميتا فوق المنبر ، فانزل وطلبوا في الحال من خطب) . انظـر التذكـرة 1003/3 — 1004 .

(77) قصيدة لامية . انظر المواهب بشرح الزرقاني 128/2 — 132 .

(78) رحلة العبدري ص : 44 .

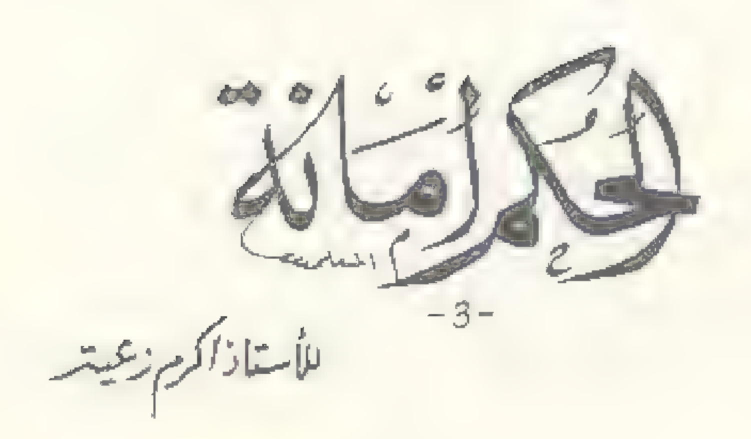
(79) وهي غير القصيدة البائية التي شرحها ابـو حامد الفاسي ، ويوجد نسخة من هذا الشرح بمعهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان رقم 11 .

(80) انظر المواهب بشرح الزرقاني 197/2 — 198، والفتح 67/2 — 68 .

(81) وقد شنعوا عليه في ذلك ، وممن شدد النكير عليه ورماه بكل ناقصة ، ابو بكر الصائغ ، والف ابو محمد عبد الله بن ميدرة بن مفوز المعافري رسالة في الموضوع رد عليه فيها اشنع رد ، وتوجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط رقم (2254 — ب —) .

(82) انظر المواهب 198/2 .

(83) وقد تمسك بظاهر حديث البراء بن عازب الذي اخرجه البخاري وغيره — : (فاخذ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الكتاب ، وليس يحسن يكتب، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) ووافقه على ذلك جماعة من علماء المشرق والمغرب ، وفي مقدمتهم ابو ذر الهروي ، وابو الفتح النيسابوري وآخرون . انظر الزرقاني على المواهب ج 198/2 .



في رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب وقد كتبها الى هارون الرشيد ووزيره يحيى البرمكي يقول : « لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فانه بلغني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال : شاور في أمرك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك ، فانه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبي ولا خليفة الا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا ، وهو مع التي استولت عليه ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي » (1).

واما الوزير ابو شجاع ظهر الدين الروذوردي فيقول في « ذيل تجارب الامم » ، « ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل مهذب الافعال ، محمود الخصال ، موصوفا بالخير والعقل ، معروفا بالصلاح والعدل ، فان الملك لا تخالطه العامة ولا اكثر الجند ، وانما يرون خواصه : فان كانت طرائقهم سديدة وافعالهم رشيدة ، عظمت هيبة الملك في نفس من يبعد عنه ، لاستقامة طريقة من يقرب منه ،، واذا كان خواص الملك ممن يقدح فيهم ، وتنكر مساويهم ، قلت الهيبة في النفوس ؛ فاظهر الجند استقلالا لامره ، ثم صار الاضمار نجوى بينهم ، ثم زادت الحيرة فصارت النجوى اعلانا ، فعند ذلك تقع المجاهرة وترتفع المراقبة ، ويتحكمون عليه تحكم الآمر لا المأمور ، والقاهر لا المقهور » .

وأما ابن أبي الربيع ففي كتابه « سلوك المالك في تدبير الممالك » الذي الفه للخليفة المعتصم بالله العباسي فيقول :« أنه لا بد لمن تقلد الخلافة او الملك من وزير على نظم الامور والوزير هو الشريك في الملك ، المدبر بالقول والفعل ، ومن صفاته انه يكون حسن العلم بالامور الدينية ، حسن العقل ، شديد الحلم ، جميل الصفح ، ما لم يضر بالسياسة ، وان يكون حلو اللسان ، حميد الاخلاق ، اديب النفس ، كتوم السر ، جيد الفكرة ،،، وما يجب عليه ان يكون ذا نصح للخليفة وامانة وصدق قول وفعل يعتمد عليه، وأن ينهي الى الملك كل كلام يخاف عاقبته على المملكة،، وان تكون شفقته على الملك كشفقته على نفسه ، وان يحسن اختيار من يستعمله في اعمال الملك ، ولا يسامح احدا في جنايته » .

وأما الطرطوشي في « سراج الملوك » فيقول : « واول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استنخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومجالسة العقلاء ، فهذه ثلاث خلال تدل على كماله ، وبها يجمل في الخلق ذكره ، ويجل في العقول قدره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه » .

---

(1) رواه البخاري .

وما يقال عن الوزراء يقال عن العمال والمحافظين حتى عمداء القرى أو المخاتير . وفي رسالة عمر الى ابي موسى : « ... أما بعد فان اسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته وان اشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك ان تزوغ فيزوغ عمالك فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت الى خضيرة من الارض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن وانما حتفها في سمنها » ! وفي رسالة اخرى يقول له : « فانما أنت رجل منهم غير ان الله جعلك اثقلهم حملا » .

المواطـــن الاميـــن

على اننا وقد جعلنا شعارنا : « لحكم امانة » لا يمكن ان نغفل عن واجب المحكوم في ان يكون بدوره مواطنا امينا ، اي امينا للمواطنة ، اذا صح التعبير ، ولعل ما كان يردده عبد الملك بن مروان مما يشفي القليل : « انصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منـــا سيرة ابي بكر وعمر ولا ترون منها ولا من انفسكـــم سيرة ابي بكر وعمر » . ومن هنا ندرك ان صـــلاح الدولة وليد تفاعل تعاوني بين حاكم صالح ورعيـــة صالحة ، اي ان للولاة حقا على الرعية ولها مثل ذلك كما قال عمر في كتبه الى امراء الامصار ، اما حينما يطلب المواطن من الدولة ان تصنع شيئا ولكنه يتهرب من دفع ضريبة مهما ضؤلت ، اما ان يطلب من الدولة تامين النظافة ثم لا يتورع عن القاء قشر الموز على الطريق ، اما ان يطالب الدولة بالاصلاح ثم يستكثر ان ترفع ضريبة على تنكة البانزين ليرة واحدة ، كما هو جار هنا ، في لبنان ، تنفق على الاصلاح ، فهذا ليس بالمواطن الصالح ...

وما اكثر الذين يطلبون من الدولة كل شيء ، وهم يحترفون الشغب لمناسبة وغير مناسبة ، والاصل عندهم ان يشتموا الحكومة وأما هم فابرياء ! وعلى سبيـــل الاحماض او التفكهة اروي لكم انني كنت في سيارة يسوقها صديق ، وحدث ان تعثر عليه قيادتها في شارع مزدحم فعدل الى شارع آخر وهو مرتبك ، وانطلق يشتم الحكومة ، قلت له : « وما علاقة الحكومة بالامر ؟ » فقال : « لانها اعطتني رخصة السواقة على غيـــر استحقاق .. » فقلت : « واذا هي لم تعطك الرخصة » ؟ فقال : « تخسأ الحكومة اذا لم تعطني الرخصـــة ، المن .. كذا وكذا .. » فالحكومة ملعونة على الحالين، ومما يروى للدلالة على احتراف الشغب أن طلابـــا قرروا اعلان الاضراب في المدرسة ابتهاجا بانتصار محمد علي كلاي ، الملاكم المشهور ، على خصمه ، وفيما هم يتداعون الى الاضراب جاء من يقول لهم : « لقد فهمتم خطأ ، فمحمد علي كلاي قد خسر فـــي الملاكمة وربح خصمـــه » فقالـــوا : « اذن نضـــرب ، احتجاجا على تعرض الحكم ... وتحيزه .. وحزنا على انكساره » وهنا اقبل آخر يقول : « الخبر الصحيح، أن المعركه انتهت من دون ان يتفوق احد على الآخر، اي لا غالب هناك ولا مغلوب » فقالوا « هذه مبرعة .. هذا خداع للمتفرجين الذين دفعوا التذاكر الباهظة من دون فائدة .. والاضراب يكون مشاركة للمتفرجين في الاحتجاج على هدر اموالهم .. »

ان هذه الاطروفة المروية تنم على ذهنية سائدة هذه الايام ، وتعبر عن واقع ، وان لم تكن هي قـــد وقعت .

حـــق الطاعـــة

واجب المواطن الامين ان يطيع ولي الامر ، والله يقول : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعـــوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شـــيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) (1) . دققوا في هذه الآيـــة تروا انـــه قـــال : (واولي الامر منكم) ، أي انه يشترط ان يكون ولـــي الامر من هذه الامة ، وتروا انه قال : (فان تنازعتم في شيء) ، اي اذا ظهر خلاف بينكم وبين ولي الامر فردوه الى الله والرسول ..) يعني هنا قانون ، هنـــا محاكم ، هنا دستور ، فاجعلوا الله في كتابه ، والرسول في سيرته وسنته ، الحكمين الفيصلين في هذا الخلاف، والامام الزمخشري يقول في تفسير الآية : « المـــراد باولي الامر امراء الحق » ومن منا لا يذكر قول ابي بكر يوم بويع بالخلافة : « فان رايتموني على حـــق فاعينوني ، وان رايتموني علـــى باطـــل فسددونـــي ، أطيعوني ما اطعت الله ، فاذا عصيته فلا طاعة لـــي عليكم .. » .

هنا تحضرني رواية رمزية قيلت على لسان علي بن أبي طالب ، قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) سورة النساء ، الآية : 59 .

سرية وأمر عليهم رجلا من الانصار ، وامرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : اليس قد امر النبي أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها ! ! فجمعوا حطبا ، فأوقدوا نارا فلما هموا في الدخول ، فقام ينظر بعضهم الى بعض ، قال بعضهم : انما اتبعنا النبي فرارا من النار افندخلها ؟ فبينما هم كذلك اذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر ذلك للنبي فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، انما الطاعة في المعروف » (1) !

وفي تفسير « محاسن التاويل » للامام القاسمي: « قال الكيا الهراسي : يؤخذ من قوله تعالى : ولا يعصينك في معروف ، أنه لا طاعة لاحد في غير المعروف ، قال : وأمر النبي لم يكن الا بمعروف ، وانما شرطه في الطاعة لئلا يترخص احد في طاعة الظالمين) .

ان طاعة الدستور والقانون أمانة مفروضة على المواطن ، وانها لحق الحكومة على المواطنين ، وهي كما قال الرسول ، حق السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، اما اذا امرت بمعصية فلا سمع حينئذ اذ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» .

الرقابـــة الاجتماعيـــة

وواجب المواطن ، في هذا الباب ، ان يكون يقظا، لا يسمح بأن تنزل به مظلمة فلا يدفعها ، وأن يحسن اختيار ممثليه من ذوي الضمائر الحية فلا يكون الواحد منهم امعة ، مصمصيا ، يقول لكل واحد : انا معك ، عدلت أو ظلمت ، استقمت او جرت ، صدقت او كذبت ، ولا امريا يقول لكل واحد : مرني بامرك ، مع ان الرسول الاعظم قال : « اذا رايت امتي تهاب ان تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تودع منها ، وبطن الارض خير لهم من ظهرها » (2) وهو القائل : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا فلم يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب » (3) ، وكذلك يقول : اعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (4) ويقول: « اذا عجزت امتي ان تقول : للظالم يا ظالم فقد تودع منها ... »

وهذا ما يحتم أشراف المجتمع على نشاطات الحكم فيمنح الثقة لمن احسن وينزعها عمن اساء .

واذا لم يمارس الفرد حقه في الرقابة الاجتماعية، داعيا الى المعروف ، دافعا للمنكر ، صدق فيه قول الرسول الاعظم : « والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم » (5) .

والآية القرآنية في سورة المائدة تقول : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانو يفعلون (6) .

نعم ان كل فرد في المجتمع مسؤول عن خير المجتمع ، واستقامة امره ، وقاعدة : كلكم مسؤول وكلكم مسؤول عن رعيته ابلغ دستور اجتماعي عرفته الانسانية ، وامر الرسول صلى الله عليه وسلم الملزم بأن على من راى منكرا أن يغيره ، هو تطبيق لهذه القاعدة ، ووالله ما استشرت الفتنة وتأزمت الامور هنا الا تذكرت قول الله : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (7) ولو أن الفتنة تصيب الذين ظلموا وحدهم لجاز لنا أن لا نبالي وان نقول : نحن ما لنا ؟ ما علاقتنا ؟ هؤلاء « ذنبهم على جنبهم » ، لا ، لا ، ان ذنبنا على جنبنا جميعنا ، نعم ان ذنب مثيري الفتنة انما يقع على جنبي وجنبك ، ذلك لاننا لم نتقها، ولم نتكافل ولم نتضامن في اتقائها ،، ان « لا ابالية » الفرد واحجامه عن اتقاء الفتنة ، انما يؤدي الى انحدار المجتمع ،، وقد روى ابو داود والترمذي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا جاء

---

(1) مختصر مسلم «1225» .
(2) رواه الامام أحمد .
(3) ابو داود والترمذي .
(4) ابو داود والنسائي والترمذي .
(5) رواه احمد وابو داود والترمذي .
(6) سورة المائدة ، الآية : 78 .
(7) سورة الانفال ، الآية : 25 .

فيه : « والله ، لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم ، ولتاطرنه أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم » (2) .

ناصــح ومنتصــح

ومن امانة ذوي قربى الحاكم او حاشيته وخاصته او العاملين تحت امرته ان يعملوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، « ابلغوني حاجة من لا يستطيــع ابلاغها ، فانه من ابلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تــزل الاقدام » !

وتقتضي الامانة على الحاكم بدوره أن يتقبــل النصيحة الخالصة بقبول حسن ، وحين أنكر منكر على احدهم قوله لعمر : اتق الله ، قال له عمر : « دعــه فليقلها لي ، نعم ما قال ! لا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير اذا لم نقبلها » .

وفي الطبري ، قال عمر بن الخطاب : « .. فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة او عتب علينا فــي خلق فليؤذنني ، فانما انا رجل منكم » .

وما ابلغ واروع ، واجل وابدع ما قاله عمر بن عبد العزيز لعامله مزاحم حين ولاه ، « ان الــولاة جعلوا العيون على العوام ، وانا اجعلك عيني علــى نفسي ، فان سمعت مني كلمة تربأ بها عني او مقالا لا تحبه ، فعظني عنده وانهني عنه » !

الــرأي العــام الصــالــح

وبعد فلقد سردت امثلة ومثاليات سامية وقواعد من الماضي تمت بصلة الى الحاضر ، ولست أزعــم أن هذا ما كان يطبق في جميع تلك العصور السالفه ومن قبل جميع ولاة الامور ، وانما هي كما اسلفــت قواعد شرعية وامثال وتجارب منها ما طبق خاصــة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، اي من قبل الجيل الذي رباه محمد وصنعه الله على عينه، وهي مثائر لكل من يعني بشؤون الحكم ...

ويخيل الي أن أحدا يقول : ما نصنع حتى يستقيم الحكم ؟ نصنع : الحرص على أن يؤدي الفرد واجبه بامانة ، ومن مجموع الافراد الامناء يتألف الشعــب الامين ، والشعب الامين يحتم قيام الحكــم الاميـن ، وقاعدة ، كما تكونوا يول عليكم ، معروفة مقررة ، وما اصدق الشاعر الجاهلي القائل :

اذا شئت ان تقتاس امر قبيلــة
واحلامها فانظــر الى مــن يقودهــا

وحين يكون تكامل اجتماعي وشعور عام بوجوب الرقابة الشعبية يكون الخير ويكون الصلاح ، والرأي العام اليقظ لا يمكن الاستهتار به ، فمن واجبنا خلق رأي عام يحتم اصلاح اداة الحكم في كل قطر عربــي اصلاحا جذريا ، لا مكان فيه لجهل او محسوبية أو رشوة أو فساد أو خمول .

والرأي العام يعرب بدوره وبمختلف الاساليب عن اشمئزازه من كل تصرف منكر ويقدر العمل الصالح والحكم النزيه ، مع أن الاستقامة هي الاصل الاصيل في الحكم ولا تحتاج الى تقدير ، ولكننا في زمن ترك القبيح به من أحسن الحسن ! ! نعم ، يوم يؤدي كل واحد منا واجبه في هذا الباب عمت الاستقامة وانتصرت الامانــة .

الا ان مفتاح الخلاص ، ومفتاح الاصلاح هــو سلامة الحكم واستقامته ، انه تأدية امانة الحكم على خير وجه .

هلم نبحث في مدى سلامة الحكم وصلاحه وعدله وحزمه وسيره ... هلم نبحث في مدى تأدية أمانــة الحكم في وطننا العربي الكبير على اختلاف انظمته ، وفي مدى ارتفاعه الى مستوى تبعات الزمن ،نعرف لماذا هزمنا في معركة فلسطين .. هلم نتساءل : هل صلح الحكم بعد كارثة حزيران ؟ هل تبدلت الذهنية العربية ؟ هل تغيرت العقلية ؟ هل لذنا بالكفاية ؟ هل انتفت المحسوبية ؟ هل زالت المنسوبية ؟ هل امحت المفاسد ؟ هل نتصرف ونسلك في اسلوب حياتنا ؟ في طراز معاشنا ؟ في اقتصادنا ؟ في توسيد الامــر الى اكفياء صلحاء اتقياء ؟ في انفاق الاموال العامــة والخاصة ؟ في كل شيء ، كما لو كنا نخوض حربــا

(2) رواه أبو داود وابن ماجه .

حصيرية او كما لو كانت مقدساتنا تدنسها اقدام الغاضبين ؟ اخشى ان يكون الجواب قول الشاعر :

عجبيين من سقمي ... صحتي هي العجب

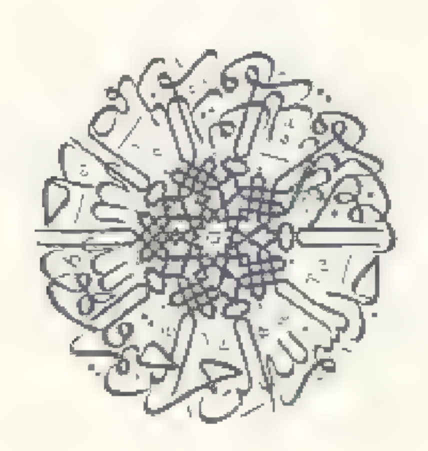
ايـن درة عمـر ؟

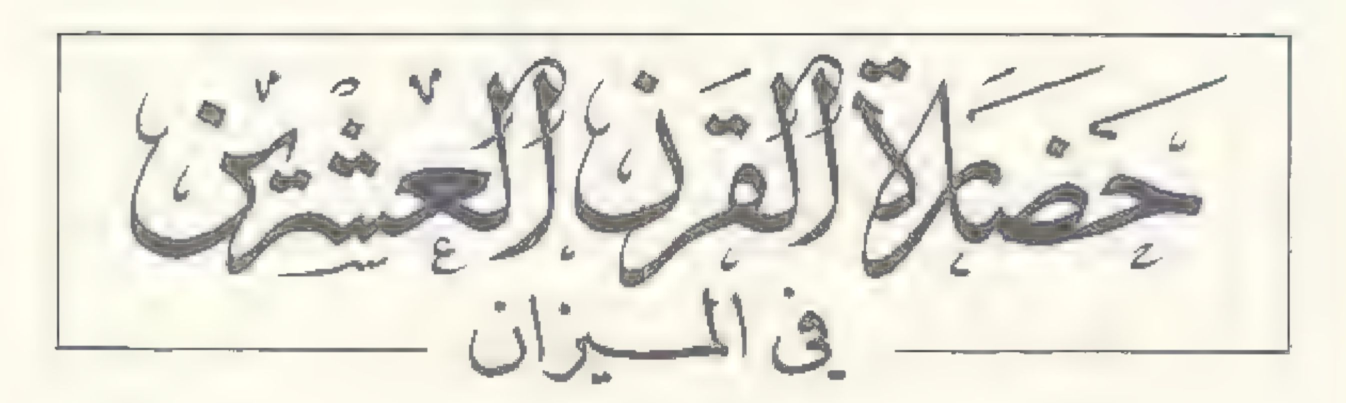
الحكم امانة ، الاصلاح امانة ، قول الحق في مواطن الخطر امانة ، واذا انا لم اقل هذا الذي قلت ولم الق بالصراحة في كل ما قلت لم اؤد الامانة حق ادائها !

ان استاذي العظيم السيد جمال الدين الافغاني الذي اغترفت الحكمة من عبابه ، وتتلمذت له من آثاره وسيرته وعظاته يقول في « العروة الوثقى » التي كان يصدرها والامام المصلح محمد عبده في باريس : « لسنا نعني بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس (وكل ثمن تباع به البلاد بخس) ، بل خائن الوطن من يكون سببا في خطوة يخطوها العدو في ارض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها ، ذلك هو الخائن ، في اي لباس ظهر ، وعلى اي وجه انقلب ، القادر على فكر يبديه او تدبير يأتيه لتعطيل حركات الاعداء ثم يقصر فيه فهو الخائن ، من لم يستطع عملا وامكنه ان يرشد العامل ، وتهاون في النصيحة فقد خان ، من سوف عمل اليوم الى غد ، وتوانى في تضليل كيد الاعداء بقول او فعل ، فقد ارتكب خطيئة الخيانة ، وكل خائن لوطنه او ملته فهو ملعون على السنة الانبياء والمرسلين وممقوت في نظر العالم اجمعين » .

اجل ، النصيحة امانة ، فلو كنا معشر العرب كافة ، في الحكم والمواطنة امناء ، لامنا الغوائل والارزاء ، ولو كنا امناء لامنا الهزائم النكراء ، ولو كنا امناء لرفعنا عن مقدساتنا هذا البلاء !

اين درة عمر بن الخطاب يهوي بها على رؤوس الفاسدين السفهاء ، وجماجم المرتشين الادنياء ، العامهين في النفعية ، الغارقين في الانانية ، انها افعل من كل قنبلة وبندقية ، ذلك لان الحكم الصالح الساهر ، الحكم التقي النقي الطاهر ، الحكم المرتفع الى مستوى المسؤولية الضخمة هو الذي يوجد القنبلة والبندقية ويوفر الطائرة والمدفع ، وهو الكفيل بايجاد من يحسن استعمالها ويذيق العدو نكالها ، فهبنا اللهم القدرة على النهوض باعباء الامانة ، حاكمين ومواطنين، واجعلنا ممن يعملون ما يقولون ، فتنجو بلادنا وتنقذ مقدساتنا وتعلو كلمة الحق فينا ...





للأستاذ محمد العربي الزكاري

الحضارة بمعناها الصحيح والمثالي تحقيق السعادة والبناء والاستقرار والرخاء ، فاذا انحرفت عن هذه الاهداف كانت شرا على الدنيا ووبالا على من فيها ، غير ان مفهومها يختلف تبعا لوعي الشعوب وتسلقها مدارج الرقي الفكري والنضج العقلي ، او الانحطاط الاجتماعي والتفشي الشعبي ، فكل الفئتين تتصورها حسب منظورها الخاص وتتغنى بها حسب هواها !

ففريق يتصورها في الازدهار الاقتصادي والتجاري باعتبارهما اداة للثراء ووسيلة للاستعلاء ، وهناك من يتخيلها في اتساع العمران وامتداد البنيان، كان الحضارة اقبية مكدسة بالاثاث والرياش واحجار مزخرفة بالاصباغ والنقوش ، ومن يحدها في امتلاك القوى لبسط النفوذ على الشعوب والتطاول على الامم ، ومن يفهمها وسيلة للمتعة وتلبية رغبات النفس الامارة بالسوء .

وقليل هم اولئك الذين ينظرون اليها بمنظار الحقيقة لتوفرهم على التفكير السليم والعقل الموزون، فيعرفونها تعريفا منطقيا يضفي عليها هالة الاجلال والاكبار ، وينزلها المنزلة الرفيعة اللائقة بها كمجهود بشري عظيم .

اعتراف

واستعراض مظاهر الحضارات يستدعي الغوص في بحر المراجع التاريخية لاستخراج نصوصها المطولة وشروحها المستفيضة التي تضايق القارىء العابر ولا تهم الا الباحث المتخصص ، والذي يهمنا بالاصالة هو ما يسمونه زورا وبهتانا « بحضارة القرن العشرين » وينعتونه كذبا وافتياتا بانه عصر ازدهار لم يتقدم له مثيل ، ونحن لا ننكر ان عصرنا شهد طفرة صناعية عملاقة . وتقدما علميا مدهشا ، واتساعا عمرانيا هائلا ، وسيطرة على الامراض والاوبئة رائعة، الا ان هذه المزايا واكبتها خزايا لا مناص من الاشارة اليها لتكتمل الصورة وتتضح الرؤيا .

نظرتنا الخاصة

فمفهومنا للحضارة يتمثل في ارتكازها على اسعاد البشر حاضرا ومستقبلا ، وتوفير الاطمئنان لكل انسان دون اعتبار للعرق والسلالة والمواطنة والعقيدة ، وهذا المفهوم ينطبق اساسا على الحضارة الاسلامية التي امتدت اشعاعاتها الى العديد من اطراف الدنيا فأنارت الكون واخرجته من الظلمات الى النور ، واذا كانت اوربا تزهو اليوم بحضارتها — على علاتها — فالفضل يرجع فيما تتوفر عليه من منافع يعود الى الاسلام الذي منه استمدت اصول تلك المنافع ، فقد زود الله تعالى اتباع الرسالة المحمدية بتعليمات سامية واودع في نفوسهم طاقات خلاقة اهلتهم لتشييد حضارة رفيعة لا تزال آثارها ومعالمها تشهد بتفوقهم في ميدان البناء والتعمير والابداع ، ومجال المعرفة

والثقافة والاختراع ، بشهادة المنصفين من ابناء اوربا وغيرها من القارات ، ومن نكبات الانسانية ان يتقلص ظل الحضارة الاسلامية ويتراجع مدها ، ليفسح المجال أمام حضارة كافرة ملحدة ، ونهضة مادية صماء ، لا تعرف طريقا الى المثل الاعلى ، ولا تعترف بحق الا لمن كان اقوى عتادا ، واوفر مالا ، واعتى بطشا .

حقيقـــة مـــرة

فحضارة اليوم تقوم فى مجملها على الاستغلال والسيطرة والجشع ، وترتكز على التنكر للاخـــــلاق الرفيعة في معاملاتها الدولية وسلوكها الاجتماعي ، وتتسابق في السيطرة على الشعوب ، وتتنافس فـــي التمركز بمضايق البحار واحتلال المناطق الاستراتيجية والمواقع الحساسة لا لحماية المدنية الانسانية والدفاع عن الحضارة البشريه ، وانما لضمان مصالح هــذه الكتلة او تلك ، وللتحكم في المسالك المؤدية الـــى منابع الطاقة ومناجم الخامات الاساسية في صنــع وسائل التخريب والتدمير وصواريخ الابادة والفناء ، وهذه هي الحقيقة وان كانت أشد مرارة من العلقم .

صحيح أن الحضارة الحديثة وفرت كثيرا من المنافع وحققت العديد من المنجزات، ونحن لا نريد ان نسلبها ايجابياتها ، ولا نسمح لانفسنا بنكران ما قدمته من منافع وخدمات ،الا انها اعدت في مقابل تلك المنافع والخدمات اضدادهما .

ومن هنا يتضح انها حملت في طياتها جراثيم فنائها واحتوت منذ نشأتها على ميكروب ابادتها ، وحتى نرسم الصورة الحقيقية لمزاياها وخزاياهـا لا مناص من الاتيان بالمقارنة في اطار الواقع وبشيء مــن التوضيح والتشريح .

مقـارنـــة

لناخذ اتساع العمران وارتفاع البنيان ، فقد وفرا الكثير والكثير من الراحة والازدهار ، ولكن الم يكـن ذلك على حساب البادية لتي يرتاع المسؤولون فـي بقاع العالم من هجرة ابنائها العارمة ، وما احدثته من اختلال في المجتمعات ، وما نتج عنها من تصاعد في البطالة ، وما جرته البطالة من تشرد ساعد على تعدد السرقات وتنوع الاغتيالات ، بالاضافة الى هجــر الحقول وتركها ارضا يبابا ؟

ونعرج على امتداد طرق المواصلات البرية وما وفرته من راحة وحققته من منافع اقتصادية ومكاسب مادية ، ولكنها كانت في نفس الوقت سببا رئيسيا في حصد آلاف الارواح يوميا واضعافهم من المعطوبيــن والمشوهين واليتامى والارامل ، نتيجة جنون اصحاب وسائل النقل الخاص والعام الذي جردتهم هذه المدنية ــ ان صح التعبير ــ من كل عاطفة انسانية ، فلم تنفع فيهم ثقافة ، ولم تردعهم موعظة ، ولم تؤثر في سلوكهم عقوبة ، ولم تحد من غلوائهم غرامة ، بل كثيرا مــا يذهبون هم واسرهم ضحية هذا الجنون الحضاري ؟

ونتنقل الى الملاحة الجوية وما صاحبها عــن منافع وما قربته من مسافات واختزلته من ابعــاد ، لو لا انها كانت اخطر الوسائل واسرعها في نقــل الجيوش الغازية وتزويد الخارجين على القانون بالعتاد الحربي لاثارة الفتن هنا وهنــاك ، وتفكيك وحـدة الشعوب في هذه القارة او تلك ، ثم الم تكن الطائرات هي الوسيله العملية لالقاء القنابل الذرية والنوويــة لابادة مجتمع باسره واحراق مدن باكملها ، والا يحق لنا ان ندخل في الحساب انها مؤهلة لاعادة الكرة من جديد وبصورة افظع واروع ، الامر الذي جعل البشرية كلها تنام وتستيقظ خائفة وجلة من المصير المفجع الذي يتهددها باستمرار وفي كل لحظة ؟

وبالاضافة الى كوارث النقل البري والجوي التي المعنا اليها ، هناك اخطار فظيعة اخرى تهددنــا باستمرار من جراء ما تنفثه السيارات التي يستنشق البشر هواءها متسخا مسموما ، زيادة عن اخطارها بالنسبة للنباتات والحيوانات البرية والبحرية .

وفي هذا المجال تصدمنا مصيبة المصانع المنتشرة في كل مكان ، حيث تساهم بحظ وافر وتقوم بدور خطير في افساد الاجواء بما تطلقه من دخان وما تصرفه من نفايات في البحار والاودية وحتى في النواحي المجاورة، مما يعتبره المختصون خطرا على الانسانية من شانه ان يعرضها لمصائب وكوارث لا يعلمها الا اللــــه والراسخون في العلم .

وان نحن امعنا النظر جيدا ووازنا بين منافع امتداد الطرق ووسائل النقل البري والجوي وما وفرته الصناعة من فوائد لا تنكر ، نجدها تضر اكثر مما تسر.

ولندخل ميدان الطب من ابوابه الواسعة ، وما وفره من ادوية وعلاج وجراحة خففت الكثير مــن

ونساء وفتيات مثاليين على النقيض مما اسلفنا ، وسلوكهم الاجتماعي يعتبر مثالا يحتذى لو أن الحضارة الحديثة كانت على تقوى من الله ، ولو كانت الطبقات الاجتماعية فيها تفهمت الحضارة على وجهها الصحيح.

ومن الواضح أن وسائل الاعلام التجاري بما فيها الصحف والمجلات الخليعة ، والشركات التي لا يهمها الا الربح المادي ، ومن على شاكلتها من علب الليل ، ومراكز القمار ، وأوكار الدعارة التي تشرف عليها الصهيونية سرا وعلنا ، ولها تخطيطات جهنمية لافساد الاخلاق وانحلال المجتمعات البشرية طبقا لبروتوكولات صهيون ، لها ضلع كبير في هذه المظاهر المفجعة التي عليها اكثرية شباب أوربا وأمريكا من اقبال فظيع على المخدرات ، وجحافل المرتدين عن الاديان ، وانتشار الخمور بشكل مرعب ، واستهتار بالفضيلة مخيف .

ولعل من ابرز مزايا الحضارة الحديثة تأسيس هيآت دولية وقيام ومنظمات أممية ، قيل في بنود مواثيقها ان هدفها حل المشاكل الدولية بالطرق السلمية والوقوف في وجه المعتدين على حقوق الغير ، وهي خطوة ايجابية في تلك المواثيق ، وادراك صحيح للرسالة المنوطة بالمجتمع الدولي الناضج ، الا اننا لا نلمس تطبيقا عمليا لتلك البنود الا اذا تعرضت مصالح الاقوياء للعدوان ، أما الدول الضعيفة والشعوب المضطهدة والمجتمعات المغلوبة على أمرها فحظها ـ في أحسن الظروف ـ عقد اجتماعات طارئة والخروج بتوصيات وادانات لا تلبث أن تتبخر أمام عناد المعتدي ولو كان عضوا في الهيأة نفسها ، وفلسطين المغتصبة وشعبها المشرد أصدق مثال وأقوى برهان على الفظائع والفضائح التي تقع على مرأى ومسمع من المنتظم الدولي ، بالاضافة الى حروب استعمارية مكشوفة في اجزاء عديدة في أفريقيا وآسيا وغيرهما .

وتعاليم السماء كانت وستظل الموجه الوحيد الى الخير والى الطريق المستقيم ، وجل أبناء مدنية القرن العشرين تمردوا عليها تمردا فظيعا وتنكروا لها تنكرا مريعا ، فتخلوا جملة وتفصيلا عن كل توجيه رباني ، وانساقوا وراء أهوائهم وشهواتهم الى أبعد الحدود ، ولم يعد للحياة عندهم أي طعم الا المتعة والمجون ، وأي معيار الا الفسوق والعصيان ، وكنتيجة طبيعية لهذا التمرد فان الدول التي تزعم انها بلغت الحد الاقصى من المدنية تعيش في قلق واضطراب وتحيا في دوامة من المشاكل التي لا عد لها ولا حصر، ومجتمعاتها ـ رغم توفرها على وسائل العيش الرغيد ـ في حيرة وارتباك وأزمات نفسية تكاد أن تتطور الى هستيرية جماعية ، فالاضطرابات الداخلية متوالية ، والاضرابات الجماعية قائمة ، والازمات الاقتصادية والمالية مستعصية ، والاغتيالات السياسية ومظاهر العنف متواصلة ، والجرائم الاجتماعية والاخلاقية متعددة ، والاختلاسات الفردية والجماعية متلاحقة ، وعمليات القرصنة والاختطاف والاحتفاظ بالرهائن البشرية مستفحلة ، والرشاوي الفظيعة متعاقبة ، وصدق الله العظيم الذي يقول في كتابه الكريم «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى » (1) .

ولعلنا لا نبالغ اذا أعلنا بأن « حضارة » كهذه لا تعد مدنية بمعناها الواسع والصحيح ، واذا تساهلنا وصفناها بطفرة ، والطفرة ارتفاع ، واذا لم يكن الارتفاع على أساس متين كان النزول الى الهاوية أقرب ؟ « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار » (2) .

البقاء دائما للاصلح

يبقى في هذا المجال ان يستفيق المسلمون من غفوتهم ، فقد آن لحضارة الاسلام أن تعيد وثبتها ، باعتبارها الحضارة المؤهلة لانقاذ الانسانية من عذابها وحيرتها وارتباكها وآلامها ، ولانها تستمد جذورها وتتلقى مددها من دين سبق في علم الله الازلي أن يكون خاتم الاديان وهاديا الى الصراط المستقيم « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ولله عاقبة الامور » (3) .

ولعل الصحوة التي عمت عالمنا الاسلامي اليوم، وما أودع الخالق سبحانه في دنيا الاسلام من طاقات

(1) سورة : طه : 124

(2) سورة التوبة : 109

(3) سورة لقمان : 22

الالام والعديد من العاهات ، ولكنه من زاوية ثانية يتبارى ويتنافس علماؤه في اعداد الغازات المميتة والميكروبات الفتاكة والجراثيم السامة لازهاق ارواح الملايين من المدنيين والمحاربين على السواء .

ولنمد البصر الى الحقول الزراعية الفسيحة ، والحظائر الحيوانية المدهشة ، وأساليب الصيد البحري المتطورة ، باعتبارها طفرة وفرت انتاجات هائلة بفضل الوسائل الحديثة ، الا انها مع الاسف أستاثرت بها شعوب حتى تخمت وتعرضت لامراض لا حد لها ، في حين ان كثيرا من المجتمعات تتضرر جوعا من المجاعات التي تهددها باستمرار وتقودها الى الامراض والاوبئة والموت البطيء دون اكتراث ممن يتمشدقون بالحضارة في مفهومهم الخاص .

والسياسة التي ارتقت الى القمة ، وتطورت الى ابعد حدود التطور ،وتسربت الى كل مرفق من مرافق الحياة ، الا ان عبقرية أبطالها لا تستخدم في كثير من الاحيان الا في الحيل والمراوغات ،وأكاد اقول في الانقلابات والثورات ، وتمزيق الوحدات واحياء النعرات .

والبحث العلمي والحقل الثقافي لهما صولة في هذه الحضارة ، ولكنها شوهتهما بكثير من المثالب ولطختهما بعديد من المصائب ، اذ لم تصدر منهما الى الشعوب النامية التي كانت الى عهد قريب تحت سيطرة الاستعمار الا النزر اليسير والهزيل ، وهذا النزر نفسه طمعته بالاكاذيب ودست فيه الاراجيف عن تاريخ تلك الشعوب وحضارتها وعقائدها ، فشوهته تشويها ومسخته مسخا ، وها هي الى الان لا تزال تساوم وتماطل وتراوغ في نقل تقنياتها الدقيقة والمتطورة الى هذه الشعوب حتى تظل تحت رحمتها وحتى لا تستطيع الاستغناء عنها او الوقوف على قدميها .

والتقدم التكنولوجي والاختراعات الحديثة والاكتشافات الجديدة لا مفر من الاعتراف بمعطياتها الهائلة ، ونتساءل هل استخدمت في صالح البشرية كما كنا نظن ونؤمل ؟

الحق اقول ان ما لحق الانسان من مزاياها يتضاءل امام ما يهدده من بوار ، فالعالم كله ـ بما فيه أصحاب هذه الاختراعات الجهنمية ـ في خوف وهلع ، وارتباك وفزع ، من هول حرب عالمية مدمرة سوف لا تترك على وجه الارض بناء ولا بشرا ولا حيوانا ولا نباتا، ان لم يتدارك الله عباده بلطفه الخفي .

والحرية تغنى بها المصلحون ، وهام بها المخلصون ، وضحى من أجلها الفلاسفة واصحاب الوجدان الحي ، الا اننا نشاهد منتحليها اليوم لا يطبقونها الا اذا سايرت أهواءهم وناصرت بطشهم وعدوانهم ، ومن المخجل أن تدعيها الانظمة الدكتاتورية التي تحكم شعوبها بالنار والحديد وبنظام الحزب الوحيد ، وتتبجح بها دول تبسط سيطرتها على غيرها بجيوشها النظامية وعتادها المتطور ، وتطارد بعنف من لم يدر في فلكها ويسبح بحمدها .

وفي باب الحرية ياتي دور المراة التي كانت ولا تزال ضحية هذا الشعار البراق والجذاب ، فقد تبجحت الحضارة الحديثة بمنحها حريتها الكاملة لمواكبة المسيرة الحضارية !

ولسنا ننكر مساهمة المراة في كثير من المجالات وتفوقها في العديد من القطاعات ، ولكن ذلك كان ـ في الغالب الاغلب ـ على حساب اسرتها وعلى نفسها ايضا ، فالاولاد تحت رحمة الخادمات ، والازواج عرضة للاهمال والشكوى والانحراف ، والمراة نفسها منهوكة من جراء العمل وواجبات الزوج والابناء والبيت .

وبصراحة : ان المراة العاملة في اي قطاع والقطاعات كثيرا ما تنفق ماهيتها الشهريه او اليومية في الملابس اللائقة بوظيفتها ، والمساحيق التي يتطلبها المظهر المناسب ، ووسائل النقل اليومي ذهابا وايابا اربع مرات في اليوم ، اذا لم يكن زوجها من اولئك الذين ياخذون مرتبها الشهري بكامله او يقتطعون جزءا كبيرا منه بحجة تضحيتهم بدفء الاسرة، وهذه مشكلة قائمة لا ينكرها الا متنطع .

وهنا لابد من اشارة عابرة للاستغلال الفاحش الذي تتعرض له المراة والبنت في نطاق هذه الحضارة الماجنة التي لا تعتبر الانثى الا وسيلة للمتعة ، فتطاردها الذئاب البشرية في كل مكان ، وتضايقها اينما سارت وحيثما حلت ، كان العلاقة الوحيدة التي تجمع بين النوعين تنحصر في المتعة وعلى حساب الفضيلة .

وهذه الاشارات المقتضبة للاوضاع في كثير من البقاع ليست قاعدة عامة ، فالشعوب تتوفر على رجال

بشرية ومادية هائلة ، كفيلة في مجموعها بمساعدة المسلمين على بعث حضارة الاسلام التي عاش وسوف يعيش الناس تحت ظلالها الوارفة في راحة ورخـــاء واطمئنان وهناء ، وما على المسلمين الا أن يستغلوها بحكمة وروية وتعقل وتبصر واستفادة من التجارب القيمة والجديدة ، فقد كفاهم شرورا وضياعا وسط مذاهب دخيلة ونظريات ملغومة لا تقود الا للاحقاد ولم تحل اي مشكل في شرق الدنيا أو غربها « وان هـــذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (4) .

ومـا علـى الانسانيـة المعذبـة والشـاردة، والمجتمعات البشرية الحائرة والتائهة الا أن تجـرب معنا تعاليـم الاسـلام الكفيلة بحـل جميع المشاكـل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية ، ومـن الخير لها أن تعود الى رشدها ، وتحد من كبريائها ، وتعترف بأخطائها « وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم، وان الذين لا يومنون بالآخرة عن الصراط لناكبون »(5)

أبعد هذه المقارنة المقتضبة والعرض المختزل يستطيع ذوو النيات الحسنة ومن يتوفرون على الضمير الحر النزيه الاقتناع بالفائدة العامة لهذه الحضارة والتسليم بانها في مجموعها مدنية في صالح البشرية ؟

ولعل أحسن جواب هو الابتهال الى الله القوي العزيز أن يحمينا من شرور هذا الجنون الحضاري ، ويهدي البشرية كلها الى سواء السبيل ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(4) سورة : الانعام : 153

(5) سورة : المومنون : 73 و 74



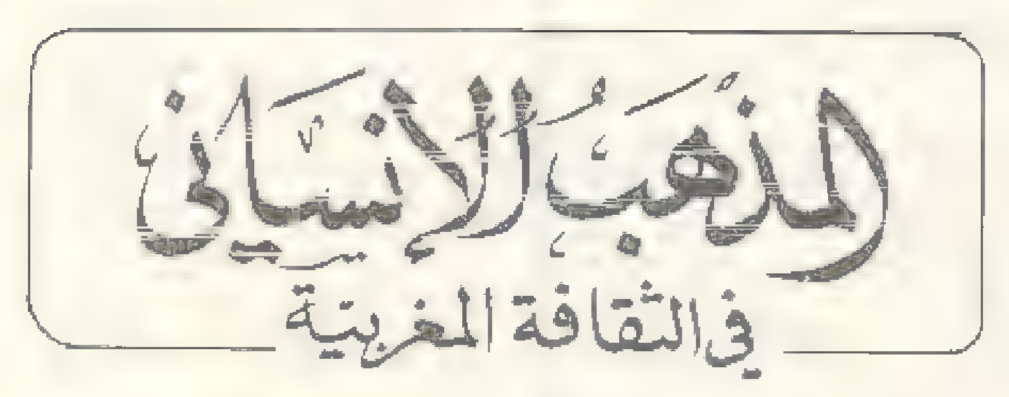
• • توفي الى رحمة الله تعالى خـلال الفتـرة القليلـة الماضية عدد من خيرة رجالات الفكـر والادب والعلـم في المغرب ؛ لبوا داعي ربهم وخلفوا وراءهم اصـداء الحـزن والحسرة والالم . فقد انتقل الى عفو الله العلامة المؤرخ السيد عبد السلام بن سودة صاحب كتاب (دليـل مؤرخ المغرب الاقصى) الذي يعتبر مرجعا هاما في تاريخ المغرب وحضارته واعلامه ومشاهيره . وقد وافى الاجـل فضيلـة القاضي والمستشار بالمجلس الاعلى السيـد محمـد بـن سودة التودي الذي كان من كتاب هذه المجلة . كما توفي الى رحمة الله تعالى العلامة الكبير السيد مولاي عبد السلام الامراني رئيس المجلس العلمي بمكناس واحد كبار العلماء الوطنيين الذين ضحوا في سبيل قضية بلادهم . ووافـت المنية العلامة الداعية مولاي عبد الرحمن الكتاني المستشار الدائم برابطة علماء المغرب وهو من كتاب (دعوة الحق) وصحيفة (الميثاق) لسان الرابطة . وكان رحمه الله من رجال الدعوة والفكر الاسلامي المشهود لهم بعلـو الكعـب وشدة الباس في الدفاع عن القضايا الاسلامية .

واختار الله سبحانه الى جـواره الكاتـب والشاعـر والعالم الشاب الاستاذ ابا بكر المريني خريج دار الحديث الحسنية بينما كان يعد أطروحته لنيل دكتوراة الدولة في العلوم الاسلامية ، وكان قد نال ديبلوم الدراسات الاسلامية العليا في موضوع (الامثال في القرآن) . وهو من الشعراء الشباب الملتزمين بالفكرة الاسلامية .

وفجع المغرب بوفاة الاستاذ احمد الطيبي بنهيمة امين السر الدائم لاكاديمية المملكة المغربية في أحد مستشفيات باريس ، وهو من أكفاء الدبلوماسيين المغاربة ؛ وقد تقلب في عدة مناصب عليا منذ استقلال المغـرب . وكان رحمه الله من الشباب الوطني الذي لعب دورا مهما في الدفاع عن القضيـة المغربية بفرنسا في عهد الاستعمار .

و (دعوة الحق) اذ تنعي هذه الصفوة الطيبة والخيرة من رجال المغرب وعلمائه الافذاذ الى قرائهـا ؛ تسأل الله لهم الرحمة والمغفرة ولذويهم الصبر والسلوان • •

وانا لله وانا اليـــه راجعـــون .



للأستاذ الحسن السائح

> علامة حسن الخلق في قلة الخلاف ، وحسن الانصاف وترك طلب العثرات ، وتحسين ما يبدو من السيئات ، والتماس المعاذر ، واحتمال الاذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره وطلاقة الوجه للكبير والصغير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه .
>
> الاحياء للغزالي ج 3 ص 71

ما هو المذهب الانساني ؟

قد يجرنا تعريف (المذهب الانساني) وشرح مفهومه الى مناقشة قضايا فلسفية ولغوية واخلاقية تبعدنا عن الموضوع الذي نحن بصدده وهو المذهب الانساني في ثقافتنا الاسلامية ، ولذلك سنتجاوز ذلك الا ما تدعو اليه الضرورة ..

والمذهب الانساني تعريب لكلمة l'Humanisme وقد اختار بعض اللغويين العرب كلمة الانسية المنسوبة الى الانس بدل كلمة الانسانية التي تعرب بكلمة l'Humanité ويستأنس لهذا الاختيار بقول الشاعر العربي :

وما سمي الانسان الا لانسه
ولا القلب الا أنه يتقلب

والمذهب الانساني بتعريف سهل هو مجموع التيارات الثقافية والفلسفية الهادفة الى تقوية المقومات الاخلاقية الانسانية عند الانسان ، فهي ليست اتجاها انانيا يتنكر لمساندة الآخرين ، او انعزاليا رهبانيا او استعلاء سيرمانيا ،، فالإبيقورية بمعنى اقتناص الملذات المادية ليست مذهبا انسانيا ، والرهبانية المنعزلة في الصوامع والاديرة ليست مذهبا انسانيا وحركة النازين والفاشستية والسوبرمانية الآرية لست كذلك مذهبا انسانيا ،، والواقع ان النزعة الانسانية بدات واضحة في الديانات الشرقية القديمة والآداب الاغريقية والسامية القديمة كذلك ، وعلى انها لم تزدهر كفلسفة،

ومذهبا في أوربا الا بعد ظهـــور اللوثيريــــة المتأثرة بالفلسفة الاسلامية .

ففي الآداب اليونانية القديمة نجد في اليـــادة هوميروس صورا ادبية تعكس الوجدان الانساني ، وفي الشهنامة الفارسية قصائد وجدانية تمجد الانسان وكرامته وفي المهابارتا الهندية احساسات انسانية ، بل وفي فلسفة سقراط تحليلات لاهتمامه بالانسان باعتباره محور التفكير الفلسفي الذي يجب ان تنصب عليه التحليلات الفلسفية وكان ارسطو اعظم فيلسوف اغريقي قدم للانسان انسيته المعتمدة على الفكـــر والمنطق اي سيطرة العقل التي يتميز به الانسان ... اما افلاطون فقد بين في مدينته الفاضلـة مجتمعـــا انسانيا تسوده السعادة ... وكان (شيشرون) وهـو المفكر الكبير الذي استحوذت عليه الفلسفة الاغريقية، يرى ان الثقافة هي دراسة الانسانية والآداب ، ومع ذلك فليست بلاد الاغريق مهد الانسية (كما يقـــول مالرو) بل ان الديانات الشرقية والحضارات القديمة هي مهد (المذهب الانساني) حيث اعطت للانسان تكوينا انسانيا ليعمل من اجل الانسان ولاسعـــــاد البشرية جمعاء ..

وقد ساعدت عدة فرق وطوائف منذ القديم على الاهتمام بالانسان وكانت (الفروسية) في القـــرون الوسطى تعني اسعاد الانسان وخدمته والترفيه عنـــه على ان المذهب الانساني لم يزدهر كفلسفة ومذهب ، الا في القرن السادس عشر معتمدا علــى الدراسات اللاتينية والاغريقية وبالاخص في الاداب الايطالية في انسانية الانسان وابراز مكانتـه العقلية والوجدانية، ثم ظهرت انسية مسيحية دعا اليها (سان فرانســـو ادرسال) Saint-François de Gales مستمـــدة من (رحمة المسيح وانسانيته) وبقيت تطبع الفكـــر المسيحي الى عصر لوثر وكلفان Luthers et Calvin اللــذيـن فرقـا بيـن ديـانـة المسيح والفلسفة المنادية بمكانة الانسان بطبيعته .

وكانت الحـروب المسيحيـة الكـاثوليكيـة والبروتستانية ذات تأثير على بلورة المذهب الانساني فلم يبق مدلوله حكمة الانسان وسعادته فقط بل اصبح متأثرا بمعطيات الثقافات الوطنية التي كان ازدهارها حدا فاصلا بين الاكتمال الذاتي والتبعية والتقليد ، كما كان التقدم العلمي اعطى نماذج جديدة للفكر الانساني الاوربي بدل زعامة الفلاسفة الاغريقيين واللاتينيين .

ولا يمكن أن نتجاهل جهود الكتاب الاوربيين عامة في بلورة المذهب الانساني فقد عرفت اوربا المسيحية ازدهار هذا المذهب على يد الكاتب المغربي (ســان أوغست) وعلى يد المفكرين المسيحيين الذين لا ينكر جهودهم في هذا الميدان ، وبالاخص سان فرانسو، دوسال والذين تأثروا بنظرية لوثر وكلفان المفرقيـن بين النظرية المسيحية والافكار الفلسفية التي تعلي براءة الانسان بطبيعته .

غير أن المذهب الانساني في بـدء انطلاقـه لم يرد تحديدا معقدا في اسعاد الانسان فكان هـــذا المذهب في الغالب ابيقوري النزعة ، مما نمى فيـــه الجانب المادي لاسعاد الانسان على حساب القيـــم والاخلاق ، وحتى شعراء التروبادور الذين تغنوا بحياة اللذة واسعاد الانسان عن طريق اغراقه في الملذات مما اثار حفيظة الكنيسة التي رات في ذلك تحويـــلا للعروبية الى تمجيد الحب الانساني ، بل ان (دانتي) كان يرمز الى السعادة السماوية في صور ارضية ليمحي للانسان ابعاد سعادته المادية ولقد كان لابن رشـد الفضل في تعريف جامعات اوربا بالمذهب الانساني عن طريق اثار ارسطو حيث اعقب ذلك اهتمام بموضع الانسان وحياته اكثر من الاهتمام بمصيره الغيبي ، كما كان الامر في اتجاه الكنيسة ودراساتها ، ولقد كان اثر الفيلسوف المغربي ابن رشد عظيما على هذا المذهب في اوربا، اذ اشاد به مبترك وبالاخص بجانبه الانساني اكثر من جانب تفكيره ، فتعلم كتاب القرون الوسطى كيف ياخذون عن الاغريق التمتع المسعـد الطبيعي السليم بخيرات الحياة في حضارة انسانية رفيعة دون شعور بالخجل والخطيئة وكان المثل الاعلى (كن كاملا) اي صحيحا عقليا وجسديا ... وبذلك حرروا الانسان من زهد الرهبنة والتفكير في آخرته ونسيان سعادته الدنيوية ،، ولاشك ان تعاليم ارسطو في الاخـلاق علمت الفكـر الغربـي مبـدأ الاعتـدال الارسطاطالـي وانتصر هذا الاتجاه الطبيعي ليحول الانسان الغربي عن مبدأ (المحبة) المسيحية الباكية الى مبدأ الفرح باستعمال قوى الانسان العقليـــة ، والجسمية والوجدانية ، في تذوق جمال الطبيعـــة ، وهادت هذه المسؤولية الانسان الى الحرية بــــدل الخضوع المطلق للالم والخطيئة بالمفهوم المسيحي،، ولا غرو أن يظهر بعد ذلك (بيكو) ليتقدم كتابـــه في كرامة الانسان مركزا على اعتبار الانسان نقطة الكون

مرددا الفكرة المسيحية بان الله خلق الانسان على صورته ، فاعطى للانسان مكانته الدنيوية وضرورة تمثل الانسان فاصبحت الرهبنة قـوة وجبروتا ثم جاء (رابيله) (Rabelais) ليعلن عن طموح الانسان في الملذات وحياة الفرح كرد على غلو الرهبان فـي الزهد والعبادة ، وكان كتابه مؤلفا رائدا (للمذهب الانساني) ، وظهرت اهتمامات بالانسـان وآماله ، والتعبيـــر عـــن سعـادتـــه وتآخيـه ، وكان (الجنتلمان) نموذجا للانسان المزيج من الفارس البطل والانسان الرقيق العواطف المهذب الاخـلاق الذكي العقل .

ومما لاشك فيه ان هذا المثل الاعلى غير القيم الاجتماعية ليجعل من الناس عاملين في حركة ذاتية لتطوير المجتمعات سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

وباختصار فان (المذهب الانساني) اعتمـد الادب الكلاسيكي وظهر بـارزا على يـد الكتـاب والفنانين الايطاليين ، ويظهر عند (ايرازموس) الذي سعى لنشر عقيدة عقلية اخلاقية ، فتأثرت المسيحية بالمفاهيم الانسانية الجديدة واعلنت كرامة الانسـان الفكرية والاخلاقية ،، كما كان للعلم اثر في تطـور المفاهيم المحددة لوضعية الانسان في الكون ...

واستوعب المسيحية التنويرية التيار الانساني فتقلص مفهوم الكنيسة في اتهام الانسان وخطيئتـه وانحطاط طبيعته ، وشددت الرونيسانس (في عصـر التنوير) على قيمة الانسان واخضاع سلوكه وعاداته الى مقاييس العقل والمنفعة في هذه الحياة ، وكـان للكاتب الفرنسي جان جاك روسو الفضـل في ابراز ملامح المذهب الانساني بوضوح وعدم ضلالات القرون الوسطى ، واستفادت الكنيسة من هذا النقد فحولت الدين الى عقيدة تعتمد المنطق والعقل او النزعـة الانسانية العقلية ، كما ويلاحظ عند كالفان (Calvan) والبروستانتية بصفة عامة ، وكان لنيوتن اثر قوي في ظهور حركة علمية لا تؤمن بالتقليد وانما تومن بالتجربة ظهر اثرها واضحا في نهضة العلوم الانسانية والمجتمع البشري ، وبذلك تطورت العلوم الانسانية بصفة عامة سواء في ميدان علم النفس او علم الاجتماع او في الادب والفنون ، او العلوم الاخلاقية ، وظهر كتـاب انسانيو النزعة مثل (هوبز) الذي طبع قرنه بطابع انساني قوي ، وغيره كثير ونتج عن ذلك في السياسة افول نجم الملكية المطلقة ، وظهرت في المجتمـع

محاولة اقامة (فزياء اجتماعية) لتلبية المطالـب الاقتصادية والسياسية مما ساعد على ظهور الحكم الديموقراطي الشعبي على اساس الحقوق الطبيعيـة للانسـان ،،، وبرز مذهب الاخلاق العقلية المرتبطـة بالعدالة الاجتماعية والمثل العليا لتحقيق عدالـة متكاملة ، واذا كان التقدم العلمي حقق التطور المادي للمجتمع الاوربي فان اثره على المذهب الانساني ظل ضعيفا في الاداب الاوربية حتى اواخر عصر النهضة ثم عاد هذا المذهب الى الظهور من جديد ،، ويمكن ان تقسم (المذهب الانساني الغربي) الى اتجاهات ثلاثة : اتجاه اوجست كونت الفلسفي الداعي لفلسفة وضعية كبين للانسانية واتجاه تشيلر (Schilles) الـذي يرى ان معرفة الانسان خاضعة لطبيعة تبعيته وحاجياته الانسانية وبان الراي يكون صائبا او خاطئا حسب قدرته للتنفيذية ،،، واتجاه (الكلفانية) التي تاثرت الى حد كبير بالمذهب الاسلامي في الفلسفة والاخلاق .

الانسيه في الاداب الغربيه المعاصرة :

واستمرت الانسية واضحة في الآداب المعاصرة تعبر عن حق نظرية فلسفية او اجتماعية او سياسية ، هدفها الاسمى هو التطور غير المحدود للطاقـات البشرية ، واحترام شخصية الانسان وكرامته ماديـا ومعنويا .

واخيرا نترجم باقتضاب وايجاز للمذهب الانساني المعاصر في ادب الكاتب مالرو الـذي صـور فلسفة هذا المذهب في الاداب الحديثة فمارلو يربط هـذا المذهب بالقدر ، فيرى ان القدر هو كل شيء يدفـع بالانسان الى وعي وضعيته وشروط حياته ، كلما شعر بعدمـــه (son néant) وعـدم معقوليتـه son absurdité واذا كان الانسان حقيقـة عدم غير معقول بسبب شعوره بانه انسان ، فانـه يعرف وضعه ، وبالتالي لا يقبله ، وبذلك يصبح فـي صراع دائم ضد كل القوى التي تنكره في محاولـة للهرب من هاوية العدم لبناء الانسان ، ولهذا فعلى الانسان ان يصبح قادرا على تحقيق شروط عيشـه وكرامته التي لا يسمح القدر له بها ، ويتساءل مارلو في مذهبه الانساني كيف تظهر واقعيا عدم معقوليـة الانسان ، ومـا هـي الحقائـق التـي يلتقـي مـن خلالهـا الانسـان بالقـدر وبمصيره ، وكيف يمكن للانسان ان يصارع القدر ،

وفي اية ناحية يمكنه ان يحشد طاقاته حتى يعطي لحياته معنى ومدلولا .

وهل يمكن لقوته ان تجابه قوة العدم وتتغلب عليها ؟ كل هذه الاسئلة التي يثيرها الانتاج الادبي لمالرو تبين زاوية الصراع القائم بين الانسان والقدر لان القدر كلي الوجود ولهذا فعلى الانسان ان يصارعه على جميع الواجهات .

على الواجهة الاولى وهي الانسان نفسه ، وتتكون من جميع القوى التي تهدم الانسان داخليا

وعلى الواجهة الثانية وهي اللا معقول الذي يحيط بالانسان من الكون والكائنات والاشياء التي تجهله وتسحقه .

وعلى الوجهة الثالثة وهي تاريخ الانسانية وهل وجوده ثابت ؟ وقائم في الزمان والمكان ؟ .

ويقول جوزيف هوفمن Joseph Hoffman في كتابه (l'Humanisme de malraux) ان هناك الطريقة الاولى التي تعتمد على دراسة موقف الانسان امام المظاهر الاساسية للقدر وذلك .

1 ـ داخل الانسان (الموت ، الغربة ، الزمان ، الخ)

2 ـ من خلال لا معقولية (الكون)

3 ـ من خلال التاريخ (الانسان مقيدا بماضيه) .

ويمكن دراسة كل هذه الجوانب حسب التسلسل التاريخي لكتب مالرو .

وهذه الطريقة في رأي الكاتب ليست مقنعة لعدة اسباب :

اولا : التفريق بين « الجبهات » الثلاث ، التي يصارع منها الانسان القدر ليست الا تعريفا شكليا حيث ان الانسان يصارع في آن واحد او بطريقة متوالية ، الموت الغربة والكون والتاريخ ، فهو يعيش وضعه الانساني ككل غير مجزإ ، ولهذا فعلينا الا نفرق بين مظاهر القدر والا ندرسها بصفة متسلسلة ... و (ثانيا) يمكن من احترام التسلسل العضوي لانتاج مالرو . فاذا كان المشكل الرئيسي قد اثار مالرو في كتابه « اغراء الغرب » (Tentation de l'Occident فهذا لا يعني انه احاط بجميع جوانب القدر وبمختلف اشكاله بصفة دائمة ، اذ كل (عمل قصصي) يثير نوعا من المشاكل وعلى العمل الذي يليه ان يجد له حلا .

الطريقة الثانية : تعتمد على دراسة الوسائل والاسلحة التي يستعملها الانسان في مواجهة القدر ، فلكي يعطي الانسان معنى لكيانه ، يحاول ان يستعمل عدة وسائل للثورة على القدر،نذكر منها ثلاث وسائل:

1) الثورة الميتافيزيقية (Révolte métaphisique) وهي تعني التاكيد المطلق لشخصية الانسان ضد القدر .

2) الانسية الثورية التي هي عمل الانسان من اجل القيم والتطور اذ تغيير العالم شيء متناقض مع القدر ، ولذلك فثورة الانسان مواجهة للقدر .

3) الابداع La création artistique الذي يمكن للانسانية بفضله أن تتحدى القدر وأن تسمو بابداعها على الوضع الانساني condition humaine فهذه اشارة موجزة عن بعض نظريات المذهب الانساني المعاصر في الآداب الغربية ، سقتها للتعريف بمدى قوته وتاثيره على الفكر الادبي العالمي المعاصر..

الانسان يبحث عن انسانيته :

منذ خلق الانسان وهو يجد باحثا عن سعادته ورفاهيته .. ولذلك فقد ظل يعمل جادا لينظم حياته ويسمو بشخصيته،ويحسن وضعيته اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وخلقيا ليحقق سعادة اجتماعية وتطورا دائما ... ومن اجل ذلك سلك مختلف الاساليب والطرق والمناهج عساه ان يحقق مبتغاه .. وما انتاجه الفكري والوجداني والفني .. وما بحوثه الدائمة في مختلف شعب المعرفة الا اثرا من هذا الجهد المستمر الذي لا يقف عند حد .. وقد اختلف على المناهج كلها كما اختلفت عليه ، فهو تارة يجعل نفسه محور الكون.. وتارة خارجا عن الكون ، كما هو تارة يلائم بين نفسه والطبيعة ، وتارة يطوي الطبيعة خارجة عنه ، وهو مرة ينسجم مع الكون كله واخرى يبتعد عن الكون والتفكير الكوني ..

ثم هو احيانا يعتمد المعرفة العقلية واحيانا المعرفة النفسية والروحية واحيانا اخرى المعرفة التقنية .. وهو في كل ذلك يعمل دؤوبا جادا كاشفا ما يكون الجد عساه ينتصر على المعوقات والمشاكل والحتميات ..

وهكذا سلك مختلف الطرق والمسالك وعـــاش مختلف التجارب حتى اصبح موضوع هذه المعاناة قضية خاصة يهتم بها الباحثون في دراسة الانسان كما فعل الدكتور (كارليل) مؤلف كتاب (الانســـان تلك المجهول) وغيرهم كثير ...

لقد انطلق الانسان من عدة قواعد للبحث عن سعادته وتحقيق تطوره على ان علـمـاء الحضارات يقررون ما يلاحظون من وحدة الانطلاقة الاولى المعتمدة على البعدين العصبي والوجداني للانسان ، فلذلـــك ظل القلب والعقل والايمان والفكر متآزرين اول الامر لانقاذ الانسان من حيرته وبدائيته ، فكان الايمان اصل العقيدة وكان العقل محقق الابداع .. فالعقيدة هـــي المحركة للانسان في دينمية هادفة .

العقيدة والانسيـــة :

يكشف علماء البيولوجية عن ضرورة العقيدة لتطوير المجتمعات كشفا علميا مؤكدين عدم امكانية وجود مجتمعات دون عقيدة متحررة من الايديولوجيات.. ويقرر هؤلاء ان العقيدة من العناصر الاساسية فـي جهاز الوعي العصبي للانسان ، فالعقيدة ليســت ظاهرة عابرة أو مؤقتة وانما هي ضرورة عضوية للفرد والمجتمع لتجعل من الانسان انسانا قادرا على التكيف مع البيئة بواسطة العقيدة التي هـي اصل القيـم الانسانية الماسكة بخلية المجتمعات ولا يستطيـع المؤرخ اثبات مجتمع بدون قيم ومثل عليا ، لان الانسان انما يستمد نشاطه وجديته من القيم ، ولانه يرغـب دوما ان يشرح وجوده واعماله ، ولا يتاتى لـه ذلك الا على اساس القيم والمثل العليا ، وقد تراءى لبعض الماديين امكان تفسير العمل الانساني بواسطـــة العلاقات الاقتصادية ، واذا كانت التغييرات الاقتصادية تساعد الآن على ذلك فسوف يشعرون بفشل هـــذه النظرية حين يرون المجتمعات وقد حققت توازنهـــا الاقتصادي ومع ذلك ستظل لها قيم ومثل عليا ترتبط بها ، لان الصراع الاقتصادي انما هو ظاهرة اجتماعية ومرحلة عابرة ...

واذا ثبت علميا وجود العقيدة وضرورتها فان العقيدة هادفة لتحقق للانسان حياة افضل في تطور تصاعدي لا ينتهي ، ولهذا فالعقيدة القادرة علـى التطور والتطوير هي اسمى العقائد لانها تعطي ثمارها دائما ، وهي لا تستطيع ان تؤثر الا في الانســـان المنسجم انسجاما قويا داخليا وخارجيا ، اي منسجما مـع مجتمعـــه حتى يستفيد من مقوماتـــه الفكرية والوجدانية والاجتماعية والا فانه يظل يعيش المغامرة بكل ابعادها مهـــددا بالانقـــراض والانحـــراف ... والانسجام يعتمد الفطرة التي تهذب الغرائز وتؤطر الانسان في المجتمع ، وعندما تكون العقيدة في المجتمع الفطري اسليم تحقق (الانسانية) وهي بدورهـــا ضرورة توجد بتاثير الهرمونات الموازنة بين البشر ، ولذلك يلاحظ كيف توجب العقيدة نصرة المظلوم لان الجسم الانساني يفقد توازنه حين يرى الظلم ، ويصبح تحت تاثير ضغط دموي متولد عن افرازات هرمونية... فالعقيدة غريزة لخليـــه انفعاليـة وهـي تخضـع لتاثيرات بيولوجية مروضة ومخططـــة لتنظيم حياة الانسان الفردية والاجتماعية حتى يكون عنصر توازن اجتماعي لارساء النظام الذي لا يكـون الا بالعـدل والمســاواة دون شذوذ او انحراف .. ولهذا فالعقيدة حاجة طبيعية لا محيص عنها وغريزة انسانية تعمـل لصالح الفرد في وحدته ، وتمس الحياة الاجتماعية بين الافراد لتحقيق سعادة الانسان الفردي والاجتماعي بصفـة عامـة ... وعندمـا ينبذ الانســـان العقيـدة يشعر بالعزلة والوحـدة والضياع ويعانـي مأساة وجود ... وهكذا فان التنكر للعقيدة انما هو انحراف عن الخط الانساني الفطري والطبيعي .

واذا كانت العقيدة ضرورية للانسان سواء في فرديته وفي مجتمعه فان الدين هو اسمى نظام يعتمد العقيدة لانه اسماها واشملها واقدر الانظمـة تركيـزا سواء للفرد والجماعة .

وقد برهنت التجارب الحضارية الدينية ان الدين يهذب الانسان عقليا وسلوكيا واجتماعيا ويطـــور عواطف البشر وعقولهم ، ويلائم بين الانسان والعالم المحيط به والكون كله وهو مدرسة لتكوين العقـلاء والحكماء الانسانيين العاملين على تفجيـر الطاقات الانسانية في البعد الداخلي وفي البعد الخارجي لـــه ايضا ، ومهما اختلفت الدعوات الدينية منذ ظهورها ملة بسيطة الى دعوة مكتملة فان التعاليم الدينية تنص على اعتبار الانسان مخلوقا ساميا بلغ قمة الكمال .

المذهب الانساني في الاســلام :

يقـــرر الاسلام ان الانسان مديـن بوجـوده لخالقه ، وهو في اصله مخلوق من مادة اي مـــن

(حما مسنون) ... وان الله تعالى نفخ فيه من روحه ... فهو اعلى من سائر المخلوقات لانه ارفعها واسماها ... وزوده خالقه تعالى بالعقل ، وهداه النجدين ، فاصبح قادرا على تحمل الامانة والمسؤولية في تعمير الارض والاختيار والكسب الارادي ... والقرآن الكريم يهدي البشر اجمعين للنزعة الانسانية في الانسان على اساس (الفطرة) التي معناها النزعة الطبيعية الانسانية المعتمدة على الذاتية (الانا) و (الغيرية) من اجل نمو انسانيته الذاتية من جهة وتعاونها مع المجتمع من جهة اخرى ، وكرم القرآن الانسان (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا) ، وامر الملائكة ان تسجد له اشعارا بقيمته الكبرى واستخلفه في الارض (اني جاعل في الارض خليفة) وجعل الشيطان يتحداه ليجلو مكامن الخير فيه ، (قال فيما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم) .

وكانت انسانية الانسان التي حددها القرآن الكريم في الخلق والتواضع والخير والاحسان والعدل والتسامح موضوع شرح وجدل بين المفسرين وعلماء الكلام ... وتساءل علماء اللغة والكلام عن حقيقة الانسان فذكر ابن حزم في النحل ذلك النزاع الذي وقع بين ابي الهذيل العلاف والنظام حول مدلول الانسان ، فالعلاف يرى انه لا يطلق الا على الجسم وحده بينما يرى النظام انه يخص النفس وحدها ويرى آخرون انه الوحدة التي تجمع بين الجسم والنفس معا.

اما المذهب المغربي الذي ارتضاه ابن حزم فهو ان (الانسان) يطلق على الجسم لان الميت يبقى انسانا ، عكس اللغات الاوربية التي تسميه جثة حما يطلق الانسان على الروح لانها نواة الاحداث الشعورية والامزجة ثم هو وحدة الجسم والروح لان كلا منهما يكمل الآخر ... ويرى الاسلام ان الانسان كان هدفا للخلق الكلي ، ومنذ الازل صمم له مسلسل بيلوجيا لاستمراره في سيره اللانهائي لتطوير مداركه ومعرفته حتى يسمو باوضاعه الاجتماعية واتجاهه العام ، فمنذ اللحظة الاولى لوجوده وهو عامل باستمرار لتحقيق مثله العليا ، وكان جانب (الايمان) هو الركيزة في تقويم شخصه وتطوير انسانيته حتى يسلك في حياته مسلكا متعاطفا مع الجماعة الانسانية ، فالعقل ليس قادرا وحده على السمو بالانسان لانه المعرفة وحدها، ولان العقل عند الانسان اداة لتحقيق مصلحته المحددة، فهو كالعين التي زود بها الجسم الانساني للرؤية الفردية لحفظ نوعه وتتجاوز النطاق المحدود لها ، وكالاذن التي لا تسمع الا الاصوات القريبة منها لتحقيق وظيفتها والدفاع عن الانسان نفسه ، اما الايمان فهو موجود كقوة لتاكيد الوجود الانساني ، واذا فقد الانسان الايمان ، فقد التصميم لتحقيق الهدف .

والانسان بطبيعته موجود لتحقيق هدف وجوده عن طريق تطوره وجدانيا وعقليا ، واستمراره في هذا التطور ليحقق تطور الوجود الكلي نفسه ، لان الخالق الواجب الوجود القديم والباقي هو الذي اوجد الوجود الانساني واوجد الوجود نفسه وهذا ما يفسر القدر الالاهي للانسان لان القدر يحقق ارادة الله الغيبية التي هي الصفة الكاملة المطلقة ولعدم تمكن الانسان من معرفة الارادة الغيبية فحسبه ان يومن باسه وعبرته ، لان من الاسلام ان يقر المسلم بخير العالم وشره ، وحلوه ومره ، والاسلام لا يقر الايمان بالقول دون عمل ، لان العمل هو القول وبه يلمس الانسان الحقيقة ويدركها ، لانه يراها مجسمة في عمله واسهامه في تطور الانسان .

ان وجود الانسان بدأ بوجود ايمانه بالله ، فالايمان بالله فكرة ايجابية هادفة بها يحقق الانسان وجوده ... ويتدرج تطوره بالايمان بمفهومه العام لان الوحدة الوجودية تجعل الانسان منسجما مع التطور الشامل للوجود وللانسان ، لان التطور الحقيقي هو لمفهوم واحد (كحقيقة واحدة) يجب ان يدركهما الانسان ادراكا واحدا ... اذ يبدأ حضور الانسان في الوجود غامضا مضطربا لعدم فهم الحقيقة في التجربة الانسانية ، فاذا صعد الانسان الى الانسجام في الفهم الذاتي والاجتماعي كانت له السيطرة على الوجود ، وكان متفائلا لسيطرته وثقته ، وبما ان الاسلام يقر اسبقية (الوجود) على (الماهية) عكس النظرية الفلسفية الوجودية التي تثير تعقيدات وتناقضات وبالتالي يظل الانسان أسير ماساة وجوده ، فالاسلام يتجاوز هذه التعقيدات لانه يغير اعماق الانسان تغييرا جذريا ، ويزاوج بين الفكر والوجدان وينطلق في (عدل) بينهما لتحقيق هدف وجود الانسان ، كما يقيم في نفس الوقت (عدلا) بين (الانا) والغير ، لتحقق هدفا انسانيا اجتماعيا .

وجعل الاسلام من حياة الرسول نموذجا (بشريا) يمكن اقتداؤه ليحقق السوبرمان في المفهوم الاسلامي، فالرسول بشر ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ، ويتزوج ويحب الحياة ، وهو انسان اجتماعي يحب ويكره ويكافح ويناقش ويجادل ويحاور ،،، فهو قد تلقى المعرفة القرآنية بالوحي ،،، ثم ظل في نفس الوقت بشرا سويا ، ومن ثم كان الرسول انسانا انسانيا بكل ابعاد معاني الانسانية ، عكس الانسان المسيحي الذي لم يجد في (المسيح) نموذجه الواقعي وانما المسيح مخلصه في خطيئته ، ليظل هو في اعماق المأساة ، وبهذا فقد كان من العسير ان تظهر النزعة الانسانية في البلاد المسيحية الا بعد صراع مديد بين الفكر المسيحي واحرار المفكرين الغربيين . .

ولم يختلف الفلاسفة وعلماء الكلام في حقيقة الانسان ومكانته وصلته بخالقه ، ولكنهم اختلفوا في حريته ازاء القدر الالاهي ، ومع ذلك فان الانسان حر في اختياراته البشرية التي هي طاقته ليبلو الخالق اعماله ويتحمل مسؤولية وجودية عظمى .

ومن حركة الانسان واختياراته يتحرك تاريخه في بيئة محدودة لان للكون نواميس لا تتخلف وهي تتجاوز اختيار الانسان .

ويقر الاسلام المساواة بين البشر ، فلا استعلاء باللون او البيئة او المولد او العرق (وان هذه امتكم امة واحدة) وكل اركان الاسلام تركز المساواة المطلقة بين البشر وتحطم حدود الميز العنصري والطبقي والمالي والتفوق انما هو في التقوى والخير ،،،

وبذلك يصبح الانسان المسلم شحنة اخلاقية ، وبما ان الخير انما هو حوار مع المجتمع فصلة الانسان قوية بمجتمعه تصل الى الاتحاد الكلي بالجماعة الانسانية عن طريق وحدة الصف والانضباط في الصلاة والشعور بالرغبة الجسدية وكبتها في صيام رمضان ، والتكامل الاجتماعي في الزكاة ، واخيرا في المؤتمر الشعبي العام في الحج ، واخى الرسول بين الصحابة تطبيقا للنزعة الانسانية في الانسان في ترابط اخوي ، وجعل وطن المسلمين دارا واحدة هي دار الاسلام .

وكانت نزعة القدر في الاسلام محكا لتطور العالم الاسلامي او تاخره ، فكلما قويت نزعة الاختيار الارادي وحرية الاختيار تحرر عالم الاسلام ، وكلما ساد الجبر التحمت الجماعة الاسلامية ، لان الانسان يتحرك باعماله لا بعقيدته ، والاسلام قول وعمل ، وعقيدة وسلوك وكما ان الشخصية الفردية تتطور في الاسلام باستمرار ، فان الجماعة الاسلامية قادرة على التطور كلما فهمت القدر فهما سليما ، واذا ساء فهمها للقدر وتعطل عملها سقطت في الدونية والاستيلاب ، ولن تغير حالتها حتى تغير نفسها .

فلسفة الانسية في القرآن الكريم :

وقد تنبه الفيلسوف اقبال الى خصوصية الذات الفردية في الاسلام فقارنها مع مذهب (برادلي) الذي قرر صدق الادراك الباطني للانسان ،، وركز (اقبال) على تاكيد المسؤولية الاخلاقية لكل كائن انساني مسترشدا بالآية القرآنية (ولا تزر وازرة اخرى) غير ان التطورات الاجتماعية والعلمية تفرض مراجعة دائبة لموقف الانسان من هذه التطورات وتحديد علاقته بها ، ولذلك فالمفكرون الاجتماعيون والسياسيون وعلماء النفس يعيدون النظر في كل الصيغ العلمية لتصور الانسان ومصيره ،،، وهدفهم ادراك ماهية الانسان سواء بالنسبة لذاته او لمجتمعه ، ولعل محمد اقبال من المع فلاسفة الاسلام الذين بحثوا عن الانسان في الاسلام وتكوين نظرة عن علاقته بالخالق والمجتمع، والجماعة الانسانية بوجه عام ، ذلك فالانسان قادر ان يكون علة شخصيته ، وبالمجاهدة يبلغ الغايات لان الخالق ذات مطلقة ، والانسان ذات محدودة ، ومصير كل انسان ليس قدرا خارجا عنه ، فالانسان بامكاناته المحدودة حر في تحقيق ارادته او عدم تحقيقها .

ويرى المتصوفة المسلمون ان الانسان لا يرتفع الى اسمى انسانيته ، ولن يصل ذاته بالذات اللانهائية الا اذا ارتقى اعلى الدرجات في سمو النفس ، واتباع طريق الهدى ، وذلك عن طريق الجهد الشخصي ، واذا كان الانسان الحق بفطرته نزاعا الى الحق ، فالانسان في الاسلام مكافح الشهوات ليسمو على نزعات الشر .

ولم يترك الاسلام الانسان ليعيش دون معوقات، وتخللات عنصر الشر لابتلائه ، حتى يعيش المسلم في بعث متجدد ، فقد خلقه الله كما جاء في القرآن (في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين) فالتردي ناشيء عن اختيارات الانسان نفسه حيث يظل الطريق لظنه انه قادر على التحدي ، وتشكيل قوى الطبيعة

لتسير في غير مسارها الطبيعي ، وبما ان الانسان قادر على معرفة نفسه وتشكيلها ، وله قدرة على التحدي ، فهو بامكانه ان يشكل الطبيعة أيضا وفق غاياته الفطرية التي حددها الاسلام حتى لا ينزع الى الشيطان والى رعونة نفسه ، وحتى لا يتملكه الغرور كما جاء في القرآن (وغرتهم الحياة الدنيا) .

وكما ان الانسان في حوار مع الطبيعة فهو كذلك في حوار مع نفسه ، لانه لا يرتفع ويسمو الا في المجتمع ... ولا تسمو نفسه وتتعالى شخصيته بالتربية والتعليم الا في الشخصية الاجتماعية ، فالانسانية الاسلامية نواتها (الشخصية) التي هي حسب تعريف (كوكب الب) مجموع الافكار والمشاعر الموجودة في وعي المجتمع المتمكنة في وعي الفرد وتحقيقا لفلسفة الاسلام في (العدل) فان الشخصية الفردية تتجلى اثارها في المجتمع كله .

وتتضح اسس الانسية الاسلامية في الكلمة التي القاها احد المؤمنين المهاجرين الى الحبشة امام النجاشي وهي : (ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ونسيء الى الجار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رجلا منا نعرف نسبه ، وصدقه وامانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبده نحن واباؤنا من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحرمات والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله وحده ، وبالصلاة والزكاة والصيام الخ) .

وهكذا بدأ المذهب الانساني في الثقافة الاسلامية منذ ظهور الاسلام ، لان اركان الاسلام كلها انسية اجتماعية ، فالصلاة مع الجماعة احسن من صلاة الفرد ، والصيام شعور مقترن بالجوع لتوعية الانسان، بما يعانيه الانسان ، والصيام تضامن اجتماعي ، وزكاة المؤلفة قلوبهم والغارمين لاحداث تعاطف انساني اجتماعي ، والحج مؤتمر يجرد الانسان من كل شيء الا من انسانيته ، ليسمو بها الى اعلى درجات التآخي والمساواة .

علاقة الانسان بالمجتمع في الاسلام :

ان الانسان في الاسلام هو جزء من الجماعة ، وهو مسؤول عن عمله لانه يعمل لها ليساعدها بعمل مثمر ، وبما انه جزء من المجتمع ، فكلما نما هذا المجتمع واستكمل اختصاصاته نمت شخصية الانسان أيضا لانها هي خلية المجتمع .

و (الانسان) في الاسلام متكامل مع (الغير) دون طبقية او لونية ، او اقليمية ، وفي وسع كل واحد ان يكون نموذجا انسانيا وله طاقة بها قوة الاختيار والبناء في حدود الامكانات ، ويمكن لها ان تندمج باستمرار في المجتمع ، وهو طاقة اجتماعية لا تظهر انسانيته الا في التعاطف الاجتماعي ، لان الاسلام ايمان بالقلب وعمل ، ولا يفصل العمل عن الايمان الداخلي ، ولهذا كانت المرجئة التي ترى ان الايمان الباطني كاف من الفرق المبتدعة ، ولهذا ايضا انكر السنيون مبدأ (التقية) اي تستر الايمان ، لان الانسان المسلم قوة اجتماعية عاملة ... ولهذا ايضا قال الرسول عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وانما هو جهاد ونية ، وليوضح الاسلام عمله فقد اعطى للانسان نموذجا في شخصية الرسول وهو اذا ينكر (النمطية) اي ان الانسان على (نمط واحد) (فلكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) يقر النموذج الكامل في الرسول عليه السلام ، ويقر حرية العمل الفردي (قل كل يعمل على شاكلته) وتبعا لذلك فلا وصاية ولا وسطية في الاسلام ، ولكن للانسان قوانين انسانية تضبط اتصاله مع الانسان وهي مصدر (الانسانية الاسلامية) وهذه القوانين المحددة للعلاقات هي المذكورة في قول الرسول (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه) .

الانسية العربية :

تولد المذهب الانساني العربي عن طبيعة المجتمع العربي نفسه حيث كانت البيئة الطبيعية الصحراوية بما فيها من صفاء الافق تنعكس على العقل العربي ووجدانه الصافي البريء لتجعل منه شخصا انسانيا صافي الفكر والوجدان بكل ابعاد هذه الكلمة ودلالاتها، فقد رقت مشاعره الوجدانية فكان شاعرا قبل ان يكون فيلسوفا ، بل تقاسم مع الاغريق (حيوية الانسان) فكان العربي صوفيا شاعرا ، وكان الاغريقي فيلسوفا مفكرا وليس معنى ذلك جفاف العقل العربي ولا جفاف

العاطفة اليونانية ، ولكن التفوق الوجداني كان من نصيب العرب ، بينما كان التفوق الفلسفي من نصيب الاغريق ...

والبيئة العربية بما فيها من شظف العيش جعلت سمو الاخلاق في الكرم والعطاء ، والتعاطف مع الانسان ومحبته ، في صوفية تلقائية ، وظهرت (المروءة) العربية التي تعني كرم النفس وعزتها وكرم الضيف وايواء الضيف ، والغريب والعطف على الضعيف والصبي ، ومحبة المرأة وتقدير مقتها ، والتعاطف مع المجتمع سواء القبائلي او الانساني ، وصلة الرحم واحترام الجار .

وظهرت في شعر امرىء القيس ، وفي شعر طرفة ، وزهير ، عواطف انسانية رقيقة كما كان في شعر عنترة تحد للزنجية والعنصرية اللونية ، ولسنا بصدد تحليل الاخلاق العربية ، ولا بصدد تحليل مفهوم المروءة والشرف ، ولكننا نقصد الى ظهور النزعة الانسانية العربية في الوظائف التي اضطلعت بها قريش ، من (سقاية) القاصدين مكة بلداء الحاج (والرفادة) وهي تقديم الطعام للفقراء ، ومن (الاشناق) وهي الديات والمغارم لتؤدي على من يستطيع اداءها.

وحدة الانسية والشخصية العربية :

ان القيم الاخلاقية العربية القديمة تتشابه واخلاق المغاربة القدماء الذين استوطنوا شمال افريقيا متدفقين اليها من بلاد اليمن بعد استيعابهم للثقافة الفرعونية عبر رحلتهم الطويلة الى المغرب ، حيث اخذوا عن مصر انضباط الشعب وتماسكه الاجتماعي ، وفي المغرب تلاحقت الثقافة المغربية القديمة مع الثقافة الفنيقية التي حملت الى المغرب ديانات الشرق القديم ، حتى اذا جاء الاسلام كانت دعوته اساس المذهب الانساني المغربي... فلم يستسغ المغاربة الثقافة الرومانية لان هؤلاء لم يعرفوا الجوانب الانسانية في نظامهم ولان مجتمعهم اعتمد الاستعباد والاسترقاق، والعنصرية الوطنية . ولذلك لم يجد المغربي في (الرومان) حضارة انسانية يمكن ان يتأثر بها ويتعاطف معها .

وعندما بلغت الدعوة الاسلامية الى المغرب استجاب لها سكانه لما فيها من حيوية وتجديد، ولاتسامها بالعقلانية والوجدانية في آن واحد ، ولقدرتها على تحرير الانسان من القلق والخوف وتخييف المجتمع من الظلم مع السمو بالانسانية ، وانسية الانسان ، ولهذا تلاحقت طبيعة المغربي بالعوامل الحضارية الجديدة لتجعل من الانسان المغربي عنصر التطور والوفاء للمبادىء الانسانية ... لقد استفاد المغربي من تحديه لبيئته ، فكان انسانا اجتماعيا متعاونا ، واستفاد من الثقافة الفينيقية وبالاخص من جوانبها الانسانية الدينية كما استفاد من الثقافة الهيلينية ، وبالاخص في عصر البيزنطيين حيث وقف ضد زهد الكنيسة وتقشفها ليحمي من (الدوناتيزم) اتجاهه المسيحي الملائم لطبيعته ، ورغم ان (سان اوغست) المفكر المغربي حارب الدوناتيزم ، فاعتبره الشعب خائنا لوحدته الوطنية والدينية ، فان اعماله الادبية لم تخل من نزعة انسانية كما شهد بذلك (بتراك) .

ولقد انكرت صنهاجة تعاون (ماسينيسا) (ويوغورطا) و (يوبا) مع الرومانيين فناوءت اتجاههم كما لم يحفلوا بآداب ترتريان وغيره من الكتب المغربية بالصبغة اللاتينية الاجنبية لانهم رأوا في ذلك تفويضا لشخصيتكم كذلك لم يستعملوا الحروف اللاتينية وارقامها الحسابية في كتابهم .

وقد تمسك المغاربة بالاعراف المدرجة في (ايزرف) (والالواح القديمة) المنظمة لاعراف القبائل غير حافلين بالتقسيمات الادارية التي فرضتها روما ، كل ذلك توضيحا وتمييزا لشخصيتهم الصلبة .

اصول المذهب الانساني المغربي :

ما ان ظهر الاسلام ، وما يحمله من نزعة انسانية حقيقية مؤثرة في عقيدة دينية صميمة متكاملة اجتماعيا وفرديا ، اقتصاديا ، واخلاقيا ، حتى هب المغاربة لاستجابة له ، فاسلموا بتلقائية ، ولم تكن هزائم ارتدادهم عن الاسلام الا كلمات لفقها المؤرخون الذين لا يعرفون طبيعة المغربي الذي لم يرتد عن المبادىء ، وانما وقف في وجه الغزو والتحريف للمبادىء التي آمن بها .

وهكذا تحولت الانسية المغربية الى ذاتية متأثرة بما حمله القرآن من تمجيد الانسان وتفضيله والشعور بكرامته ومكانته في الكون ، وتحول المغرب تحولا

كاملا الى للثقافة الاسلامية ، بل اصبح احد اعمدتها وحماتها والذائدين عنها ، والمناضلين دونها ، حيث برز منه جهابذة الانسية في العالم القديم، من الشاعر السطاطي في عصر بني امية بالمشرق الى يحيى الليثي ، تلميذ الامام مالك ، ثم القاضي عياض اعظم مفكر انساني مسلم ، الى ابن طفيل وابن باجة وابن رشد ، ثم ابن الخطيب وابن خلدون وابن مرزوق ... وغير هؤلاء من الذين عمقوا الشعور الانساني والشخصية المغربية حتى اذا سقطت الاندلس ، ورث المغرب انسيتها ومزجها بانسيته علما بادب ابن زيدون وفلسفة ابن حزم ، ولاشك ان موقع بلاد المغرب الجغرافي جعل امته نقطة التقاء الثقافة العربية الانسانية ، والثقافة الغربية العلمية والتقنية ، والثقافة الافريقية الفنية كل ذلك وضع الانسان المغربي في موضع (المسؤولية الانسانيه) فكان النموذج الانساني المسؤول عن هذه الكرامة ، والمدافع عنها كلما هددها الظالمون البغاة ، وكذلك خاض المعركة ضد الاتجاهات الانسانية : ضد غطرسة روما بقيادة هانيبال وضد الحركة الصليبية في المشرق ضد غطرسة النازية معززا صفوف الحلفاء ، الى معاركه في الجولان ضد الصهيونية ، كما كان جهاز التقاط وتوجيه للثقافات الواردة من الشرق والغرب ، يلتقطها ويمحصها ويستوعبها ويوجهها تارة الى اوربا وتارة الى افريقيا ، وقد ظل المغرب باحثا عن شخصيته السياسية التي هددها الرومان والوندال والبيزنطيون لان الصراع القبلي حال دون الوحدة الوطنية وكان المغرب في حاجة الى عمود فقري لتتوحد القبائل أو ليعطي الثقل لبعضها ووجد ذلك في الادارسة الذين كانوا اول من اسس للمغرب دولة وطنية مغربيه فالمغرب رفض التبعية للامويين في دمشق ، وسارع الى تحقيق تجربة الاندلس التي اسست دوله امويه بها ، فلبى الدعوة الادريسية ، والتزم بابيان للسياسي ، الذي اذاعه المولى ادريس في المغرب وعن طريق حركة (الخوارج) بالمغرب اكد المغرب انفصاله عن المشرق ومهد للدولة الادريسية كي تؤسس به اول حكومة مغربية .

وظهرت دولة المرابطين كدولة مترامية الاطراف بل كدولة تمثل كل النصعات المغربيه في الوحدة السياسية والمذهبية (المالكية) والعقيدة السنية ، ثم جاءت الدولة (الموحدية) لتقفز بالمغرب الى مرحلة الثورة الفلسفية في السياسة والتشريع ، واذا كان عصر المرابطين يمثله المفكر الانساني الكبير (القاضي عياض) فان عصر الموحدين يمثله الفيلسوفين الانسانيين ابن طفيل وابن رشد .

... وجاء عصر المرينيين لتبدو الشخصية المغربية واضحة في ثقافتها الشمولية الممثلة في فكر ابن خلدون وابن الخطيب وليتحملوا مسؤولية انقاذ الاندلس ، وعندما سقطت غرناطة فقد المغرب توازنه وارتمى في احضان الصوفية في غيبة عن العقلانية ، وتحولت الرباطات العسكرية الى زوايا ذات تصوف سلبي امتد طيلة عصر السعديين الذين امتدوا في افريقيا استجلابا للقوة ، وقطعا للطريق على البرتغاليين، وامتد ذلك طيلة عصر العلويين رغم محاولة كثير من العلماء والمصلحين ابراز السلفية الايجابية ، واصلاح التعليم المغربي ، لمقاومة اضحلال الذاتية المغربية ، وعودا الى (التوازن الضروري) للثقافة الاسلامية.

عبد الله كنون

وأثره في الثقافة المغربية

-1-

للأستاذ مصطفى الشليح

مـدخل

لا جرم ، ان معاهدة الحماية التي وقعت سنة 1912 لا تشكل الا بداية الاستعمار الرسمي ، اذ اننا لا نظن ان هزيمة المغرب امام فرنسا في موقعة (ايسلي) في 14 غشت 1844 ، وانكساره قدام اسبانيا في حرب (تطوان) سنة 1860 عامل شجع فرنسا على التخطيط لغزو المغرب وبالتالي لا نستطيع اتخاذه معيارا نقيس به حالة بلادنا وقتذاك لأن القوة – وان كانت مظهرا من مظاهر قوة الدولة وحصانتها ومناعتها – لا تعدو كونها بينه جزئية من بيئة عامة كلية هي قطب الرحى ومحور الاهتمام .

(ان المغرب في أواسط القرن التاسع عشر لم يكن يتوفر على شيء يدعي به انه عصري) كما يقول « البير عياش » A. AYACHE (1) ، فالاقتصاد ابوي ، متهالك على نفسه ، ذو اساليب وادوات عتيقة، ومتخلفة ؛ والفلاحة وتربية المواشي همــا المورد الاساسي الذي يعتمد عليه رجل البادية لسد رمقه ، وضمان حياته .

ثم ، ان الانتاج الزراعي كان يتجه برمته الــى الاكتفاء الذاتي ، او التسويق داخل المغرب (2) وبعبارة أخرى كان يتحول من اكتفاء ذاتي الى اكتفاء جماعي داخل القبيلة .

اما في المدينة فقد كان الحرفيون الذين يمتهنون التجارة والحدادة والخرازة ... الخ يمثلون قاعدة الهرم الاقتصادي الذي يعتلي قمته الاعيان ؛ والطبقة الميسورة التي تقوم بتجارة محدودة بين الاقاليم المغربيـة .

امام هذه الحالة المتخلفة التي كان شبحها الرهيب يجثم على المغرب ، وضعت فرنسا تخطيطها المحكم لغزو المغرب ، وترسيم هذا الغزو – كما بينا آنفـا –

وقد كـان هاجسهـا الاول هو توفير الاسواق الخارجية لترويج منتوجاتها ، والتنقيب عن مصـدر تضخ منه اليد العاملة البخسة الثمن التي لا تتبرم ، ولا تناهض ، او تطالب ، والسعي لايجاد منفذ تتسلل منه للاستيلاء على الموارد (3) لانها في عوز اليهـا .

ولبلوغ ذلك تفننت في ابتكار الاساليب لمحاصرة الطريدة المنشودة ، وتضييق الخناق عليها لكتـم انفاسها ؛ وبالتالي اغتصابها في صورة زواج ؛ لقد قال (اوجي ايتيان) مدافعا عن اطماع فرنسا فـي امتلاك المغرب : (ان لفرنسا حقوقا كبرى في المغرب، والسبب الاول هو الجزائر ، اننا لم نستول على تونس يوم غزوناها ، فالمظاهر خادعة ، لقد حاصرناهـا واقتحمنا قبل ان نستولي علمها (4) .

---

(1) A. AYACHE le Maroc

(2) IBID - P - 210

(3) يقول لينين Lénine : (كلما تطورت الرأسمالية، الا وازداد الشعور بالحاجة الى المواد الاولية) من كتابـه L'imperialisme Stade suprême du Capitalisme P 115

(4) A.AYACHE le Maroc P.60-61

ومعلوم ان اقتصاد فرنسا راسمالي ، وان هذا الاقتصاد بدا يعرف منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين عملية تركيز الراسمال المتجلية في الامتدادات الاحتكارية (المونوبولية) للشركات التجارية التي تكونت في أوربا باجمعها ـ وليس في فرنسا فحسب ـ بطريقة تتسم بالرعونة والطيش ، والاندفاع الى درجة أن الاسواق الوطنية عجزت عن تحجيمها وكفايتها .

ولان هناك بلدانا في افريقيا وآسيا تعيش على هامش النظام الراسمالي ، ولا تملك قوة تدافع بها عن نفسها ، وتدفع عنها غائلة العدو المتربص بها ، فقد اندفعت البلدان الاوربية في عملية توسع واحتلال حتى تحقق لشركاتها مجالا حيويا ذا مكاسب وامتيازات تعتبر رئتها الجديدة التي تتنفس بها بعد ان كادت التراكمات والتضخمات تزهق أنفاسها .

وبذلك نجد انفسنا أمام ولادة الامبريالية (المرحلة القصوى للراسمالية) ـ على حد تعبير لينين ـ لان الامبريالية ليست الا نتيجة لوصول الراسمالية درجة معينة من التطور الكمي يدفعها الى تغيير وسائل تعاملها الكيفي .

لم يكن مناص من ايراد هذا الحديث الموجز للراسمالية . وامتداداته الاحتكاريه الممهدة للامبريالية التي تهدف ـ فيما تهدف اليه ـ الى ضمان الاسواق الخارجية ، والمواد الاولية ، ونهب خيرات البلد المحتال : ومصداق ذلك ما قاله « ساروت » متحدثا عن مستعمرات فرنسا : (ان مستعمراتنا تتج ، وبامكانها ان تمدنا بالقطن والصوف والحرير والكاوتشوت والخشب ، ان اراضينا الرابضة وراء البحار تعج بالموارد ، ولا تتطلب منا سوى عصرنة الآلات المستعملة للزيادة في المردودات الحالية ، وفي ظرف سنوات قليلة ـ اذا أحسنا الاستغلال ـ فان المردود سوف يتضاعف ثلاث مرات باستخدام المعدات الاقتصادية الضخمة) (5) .

ولترسيخ اقدام ذلك الاقتصاد عمل الاستعمار على اغتصاب الحريات العامة ، واضطهاد المواطن المغربي ، واجبار الفلاح على تسليم ارضه بالقوة ، وبتقسيم العمل بطريقة موسومة بالظلم والاستبعاد .

وحري بنا أن نشير الى أن الاحتلال عمل ـ لاغراض سياسية ـ على المحافظة على البنى السوسيو ـ اقتصادية ، ولذلك لم يمنح المنتجين المغاربة الوسائل التقنية والمالية لتطوير الانتاج (6)

كما انه سعى الى تقوية القطاع التقليدي القديم الذي يرتبط بالنمط القبلي ، لان استمرار هذا القطاع يمكن المستعمر من تكريس حضوره في المجال الاقتصادي ، ولذلك فقد القى بالفلاحين الصغار ، والحرفيين البسطاء في دوامة لولبية من الاستغلال والاحتكار والفقر المدقع مانعا اياهم من امتلاك ادوات الانتاج والتقنيات الضرورية لذلك (7) .

ويرى الاستاذ (فتح الله ولعلو) ان هناك* صنفا من البورجوازيين سماهم « بالتقليديين » قد برز الى الوجود على الخارطة السوسيو اقتصاديه ، وهم خريجو المؤسسات الدينية كالقرويين الذين ورثوا الحركة السلفية ، وتاثروا بالحركات الاصلاحية العربية والاسلامية (8) .

ولسنا ندري على اي مقياس اعتمد الاستاذ ولعلو في تحديد هذا الصنف من البورجوازيين ، وهل يمثلون فعلا طبقة بورجوازية بالمفهوم الاجتماعي الطبقي للبورجوازية ؟ ام انهم لم يكونوا سوى فئة ميسورة

ان استعمال مصطلح « البورجوازية » في هذا لسياق يعتبر تعسفا مفرطا لانه يجرده من محتواه الفكري والبيئري ، ويبعده عن اطاره الاجتماعي والحضاري ، بل الاقتصادي نفسه ، وفي ذلك غلو وشطط (9) .

---

(5) Connaissance du Tiers - Monde P 220

(6) A. AYACHE le Maroc P 233

(7) F. Oualalou : le Tiers - Monde et la troisième PHASE de domination P 16

(8) F. Oualalou - P. S. D

(9) لا نرى ضيرا من الاشارة الى اننا لا نفرق بين الاستعمال القسري لهذا المصطلح (البورجوازية) وبين ما يحاول بعض الباحثين اسقاطه على الادب العربي القديم من مفاهيم ومصطلحات حديثة كنعت الشاعر القديم الذي يصف الطبيعة عرضا في قصائده بالشاعر الرومانسي !!

ويذهب الاستاذ (توفيق الشاهد) في دراسته لـ (النقد الذاتي وازمة التفكير السلفي) الى (ان السلفية الجديدة كانت بصورة اخرى نقدا للبورجوازية ،، نقدا لها على وجه التحديد من التحجر الاخلاقي والتزمت الديني ، واحادية منظورها الاقتصادي، وتبعيتها السياسية ، وركودها الاجتماعي ،، (10) .

ونحن لا نتفق معه في كل ما ذهب اليه ، اذ انه يحمل السلفية اكثر مما تستطيع تحمله ، ويؤولها تأويلا يكاد يكون معتزليا يتماشى ونمط تفكيره ! واننا عندما ندرس الحركة السلفية ، ونقوم بتفتيت بنياتها الفكرية والسياسية والاقتصادية ، فسنجد ان (بعث البورجوازية المتوسطة) لم يكن هدفها بتاتا ، وهذا ليس تبريرا ساذجا ، وسنبين فيما بعد مصداق ذلك .

ولعله من المهم الاشارة الى ان الاستعمار بمحاصرته للمغرب اقتصاديا ، وتسلله فتمركزه في السلطة سياسيا قد تمكن من وضع اليد على خيراته ، وبما انه كان يحلم بامبراطورية ابدية تكون وراء البحار تابعة لفرنسا ، وبما ان مصالحه الاقتصادية تفرض عليه ذلك ، فقد هدف ـ منذ البدء ـ الى محاولة تهميش المواطن المغربي ، والنيل من شخصيته عن طريق محاولة محو ثقافته العربية الاسلامية بتوجيه اعتى الضربات لجامعة القرويين باعتبارها مصدرا للاشعاع الفكري والروحي ، واتجه الى تخريب الدين بتشجيعه للطرق (الصوفية) المنحرفة ، وحاول القضاء على العربية بمحاربتها ، واحلال اللغة الفرنسية محلها ، وشفع كل ذلك باصدار الظهير البربري سنة 1930 للتمييز بين العرب والبربر .

وبعبارة اكثر تبيانا ووضوحا كان يبتغيا مسخ مقومات الفكر والدين واللغة عن طريق فرنسة التعليم، وخلق موظفين تابعين له (11) ، وايجاد نخبة مثقفة تؤمن بالفكر الغربي وتقدسه ، والقيام بعملية تزوير للتاريخ بالتشكيك في البطولات الاسلامية ، وتصويرها تصويرا مهلهلا يقطر سخرية ، وينضح تهكما ، وتشجيع صحافة تساير الاستعمار ، وتدافع عنه مع التصدي لكل محاولة وطنية تهدف الى اصدار صحف ناطقة باللغة العربية كمحاولات سعيد حجي المتكررة .

وقد كان الهدف من كل ذلك واضحا وواحدا ، وهو تشويه الشخصية المغربية ومحوها ، والالقاء بها في دوامة الاغتراب والاستيلاب والفرنسة ، حتى يسهل على المحتل ابعاد الانسان المغربي عن قيمه المتجذرة ، والضاربة في اعماق التاريخ ، وتجريده من قيمه ، واخلاقه ، ومعتقداته ، وبالتالي الباسه هويه جديدة بعيدة كل البعد عن مشاربه وتربيته .

وحتى ينفذ مخططه اتجه المستعمر بكليته الى جامعة القرويين يروم نسفها وتقويضها لانها كانت تشكل خطرا عليه ، ولانها ظلت على توالي العصور ، مركزا مهما من مراكز الاشعاع الفكري ، ومعقلا محافظا على الثقافة العربية الاسلامية ، فلقد جعلت من فاس كعبة يؤمها طلاب المعرفة والعرفان لينهلوا من معينها لا من شمال افريقيا فحسب ، بل ومن اطراف اوربا ايضا ، وفي ذلك ما يبرز اهميتها ، ويوضح المهمة الجليلة التي كانت تنهض بها ، ويجلو للعيان الدور الحضاري الذي كان منوطا بها .

لقد ادرك المحتل ذلك تمام الادراك ، فالقى منها العلوم الهامة مكتفيا بالقشور والطحالب التي تظل طافية على السطح ، وتذهب كالزبد جفاء ، فحول جامعة (القرويين الى شبه مدرسة للاعراب والنحو لا تستغرق في العام اكثر من شهرين (12) .

وقال المارشال (ليوطي) لاحد اعوانه (اذا تم لفرنسا القضاء على القرويين ، فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب) ، وقال السيد مارتي : (ان تجديد القرويين سيمكننا من الاحتفاظ في المغرب بهؤلاء الشبان النازحين من عائلات مرموقة ، بدل تركهم يذهبون الى الشرق لتلقي العلم الذي تحرمهم منه القرويين في حالة عدم تجديدها ، ماذا يمكن ان يأتي

---

(10) توفيق الشاهد : (النقد الذاتي وازمة التفكير السلفي) مجلة « اقلام » عدد 8 1977 ، ص 43 ـ 24 .

(11) انور الجندي : الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ص 129 .

(12) انور الجندي ،، الفكر والثقافة ،،،، ص 140

به هؤلاء الشبان من المشرق ؟ الا يعودون محملين بميول الانجليزية ، او بروح النهضة الاسلاميــة والتعصب الوطني ؟ (13) .

ماذا نستخلص من هذين النصين باستنطاقنــا لهمــا ؟

1 – ان اولهما يرغب في هدم جامعة القرويين ، وتحطيم دعائمها ومرتكزاتها ، لانه يعي ان بقاء فرنسا بالمغرب مرهون بأمية الشعب وجهله ، ولان الصفوة المثقفة (الانتلجنيسا) هي التي توعي الشعــب وتحمسه ، وتدرس مشاكله ، وتسعى لتلافيها استقبالا لايجاد حلول لها ، ولان الثقافة مقرونة بلوعي ، وهذا الوعي ليس من مصلحة فرنسا أن يوجد لان من مبادئه الاساسية الحرية ، والتخلص من ربقة الاستعمــار ونيره ، وبما انها تريد ان (تضمن لنفسها الخلود في المغرب) ، فان ليوطي – الناطق الرسمي باسمها – يلح على تقويض منار العلم في القرويين لتكريــس الجهل ، وحفر اخاديد الامية ، وجعل الشعب يحيا في غابة لامتناهية من اللاوعي واللاادراك .

ولكن فرنسا التي لا تريد ان تجاهر بعدائها للاسلام قد سلكت مسارا حربائيا مغايرا ، اذ انها شجعت الطرقية المنحرفة الضالة التي تزرع وتغوي التواكل والاستسلام للمقادير والمكاتيب عن طريق تعزيزها بايات قرآنية وباحاديث من السنة النبوية ، فاتسعت رقعة « الزاوية » الدينية ، والطوائف المشبوهة التي مشت في ركاب الاستعمار ، وجندت نفسها لتمرير تلك المعتقدات الفاسدة الى المجتمع المغربي لتفجره من الداخل ، الا ان هذه الزوايا – الارضة زعزعت بالمقاومــة اللاهبة التي وجهت بها اذ (اخذ التفكير في تطوان وفاس والرباط يتجه الى مقاومة الطوائف المصطبغة باسم الدين ، والتي تقضي السلفية بمقاومتها لما تخلفه من تشكيك في العقيدة ، ومن اشراك بالله كالطوائـف الحمدوشية والعيساوية) (14) .

فتحامل فرنسا ليس جديدا ، بل في الامكـان القول بان لاحتلال المغرب سببا ثانيا – غير الرغبة في توفير المواد الاولية واليد العاملــة ، وايجــاد الاسواق الخارجية – وهو جزء من مخطط صليبــي يرمي الى النيل من الاسلام ، والعمل على تمسيح المسلمين ، وحسبنا برهانا ودليــلا ما كتبه المفيم الفرنسي (سان) في مجلة « الاحيــاء » مـن (أن المغرب على ابواب تطور عظيم وان فرنسا ستخرجه بفضل مجهوداتها من ليل الاسلام الطويل الى بحبوحة المدنية الزاهرة) ، وما قاله (فوكو) من أن (هــذا الشعب « المغربي » سيخرجنا من بلاده ، اذا لم نعرف كيف نجعل منه شعبا فرنسيا ، والطريقة الوحيدة لكي يصير فرنسيا، هي ان يصير مسيحيا) (15)، ففيهما تتضح نوايا المستعمر بجلاء .

واننا لا نستغرب عندما يحدثنا الدكتور عبـد الهادي التازي بأن رجال القرويين قد تعرضوا (منذ اواخر القرن الثامن عشر على الخصوص لحملة هوجاء وجهها ضدهم بعض كتاب الافرنج ممن وردوا علــى المغرب في « بعثات خاصة » ، لقد نعتوهم بأنهــم يعادون كل تطور ، وطعنوا في معارفهم وكفاياتهم (16).

ولا نستغرب ايضا من كون فرنسا سعت منذ 1914 الى الحد من سلطان الاسلام ، والـى اخـراج المناطق البربرية من دائرة نفوذ المخزن والشرع ، بل انه (حتى في المناطق العربية اتسعت سياسة تزوير الاسلام) (17) ، كما انها كانت تثبط همم الراغبين في اداء فريضة الحج ، وتجعل العلاقات بين البوادي والحضر مستحيلة (18) .

ان هدف « ليوطي » هو الاسلام ، وما استعماله للقرويين – في معرض حديثه – الا على سبيل الرمز والكناية ، لان العلماء المسلحين الذين يلقنون للشعب الغارق حتى اذنيه فـي الامية مبـادىء الاسـلام ،

---

(13) الادب العربي المعاصر في المغرب الاقصى للدكتور سيد حامد النساج ص 64 .

(14) عبد الكريم غلاب : تاريخ الحركة الوطنية ص 45

(15) فصلا ابوبكر القادري : سعيد حجي ص 5 .

(16) من مقالة «أحد عشر قرنا في جامعة القرويين» ،ونقلا عن النساج ص 140 – 141 .

(17) A. Laâraoui l'Histoire du Magheb Tome - 2 - P 16

(18) I B I D

ويوضحون له الغامض منه ويرفعون اللبس عن المشكل ، ويفصلون المجمل ، هم ورثة الانبياء كما يقول الحديث النبوي الشريف . واذا قضى على القرويين ، فان ذلك يعد قضاء على العلماء انفسهم ، واذا لم يعد لهم وجود ، فان الشعب سيصبح — حتما — ذا اسلام مهلهل ، واذا هلهل اسلام الشعب ، فمن السهولة تجريده من عقيدته . وذلك ما كانت الصليبية تطمح اليه منذ الازل والى الابد .

ب — اما ثانيهما فقد كان يريد اصلاح القرويين لتجنب خطر الوافدين من الشرق ، الماتحين من ينبوع السلفية ، والداعين الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولكننا نتساءل : اي « اصلاح » يدعو اليه السيد « ماري » ؟ أمن المعقول ان يتسرب الى خويصفنا ان « رغبة انسانية » في اخراج هذا الشعب السادر في الجهل ، والغارق في التخلف الى رحاب المدنية والعلم والحضارة ؟ اذ متى كان المنطق الاستعماري منطقا انسانيا وانقاذيا ؟ .

اننا لا نرتاب في كون « الاصلاح » الذي دعا اليه « مارتي » ، « اصلاحا » مصلحيا يواكب خطوات المستعمر ، ويتماشى مع سياسته ، وينعم في احضانه، ويوظف نفسه لخدمته ، ويعمل على خلق « حاملي شواهد » — ولا نقول « مثقفين » يخدمونه ويدورون في فلكه .

ولعل خير ما يوضح ذلك الرفض المطلق الذي ووجه به ، والعزوف الحاد الذي ركبه العلماء لتاكيد احتجاجهم ، وعدم رضاهم على هذا « الاصلاح » هو ان عائلات عديدة ذات مركز عريق في العلم والمعرفة هاجرت من فاس ، ومن بينها عائلة كنون (19) .

ان قولتي « ليوطي » و « مارتي » متباينتان على السطح ، ولكنهما متحدثان ومتعانقتان في العمق ، وتتغيان هدفا واحدا : القضاء على الاسلام .

وبالاضافة الى ذلك كان الاستعمار يصبو الى مسخ اللغة العربية وتشويهها ، ويبتغي العمل على محوها ، واقتلاع جذورها ليسهل قتلها وابادتها .

وغير خاف ان اللغة هي المظهر الخارجي للفكر، وان بينهما علاقة جدلية تقابلية (سيمترية) ، فكل منهما يوثر في الآخر ، وفي نفس الآن يتاثر به ، فاذا انحط الفكر وانحطت اللغة — وفي تاريخ الاداب العربية ما يوضح ذلك — وبالمقابل اذا فقدت اللغة سماتها المميزة وخصائصها الدالة عليها تبعها الفكر ليغدو مستلبا عن ذاته ، ومغتربا في وطنه ، واجنبيا عن وطنه .

ومن هذه الارضية انطلقت فرنسا ، وما فرض اللغة الفرنسية كلغة أولى ، والتقليل من شان اللغة العربية ، والتهوين من امرها ، بل الانتقاص من قدرها وقيمتها الا شاهد يعزز ما تذهب اليه .

لقد دعا المستشرق « ماسينيون » عام 1935 ، والمستشرق « كولون » الى اللغة العامية المغربية ، مناديا باتخاذ اللغة العامية لغة الثقافة ، وكتابة هذه اللغة — مع تحفظنا في استعمال لفظة « اللغة » ، اذ من المفروض ان تدعى لهجة — بالحروف اللاتينية كخطوة اولية يليها الاستغناء عن هذه اللغة الدارجة ، واتخاذ الفرنسية لغة الثقافة (20) .

ان الهدف جلي وواضح ، فالدعوة الى استعمال اللهجة المحلية العامية جسر لفرض اللغة الفرنسية كاداة للتفكير والتعبير والتبيير ، ورغبة في طمس اللغة العربية لانه (اذا استعبدت امة ففي يدها مفتاح حبسها ما دامت محتفظة بلغتها) كما قال « غوستاف لوبون » ، ولانه (اذا حافظت امة على لغتها كان بيدها مفتاح من اعظم مفاتيح الاستقلال (21) .

لكن المستعمر لم يفلح في كل ما خططه ، اذ ان جامعة القرويين التي كان ينوي تحطيمها تخطت وظيفتها الاجتماعية الى القيام بدور طلائعي في الحركة الوطنية ، (فمن طلبتها) ومتخرجيها كان الدعاة ينتشرون لبث الفكرة الوطنية ، والتبشير بها ،

---

(19) سنوضح بتفصيل عند دراستنا لحياة عبد الله كنون في الفصل الاول من الباب الاول من هذا البحث .

(20) انور الجندي : الفكر والثقافة ... ص 169 .

(21) الشيخ محمد رضا الشبيبي الحنفي : الامثال البغدادية ج 1 ، ص 1 .

او تكوين الحلقات السرية في البوادي والجبال والصحاري والقرى النائية التي لا يستطيع غير أبنائها الدخول اليها ، متعرضين للسجن والضرب والاضطهاد والقضاء على مصالحهم ومستقبلهم) (22 ، فانطلق مشعل الحركة الوطنية يتوهج ويأتلق متحديا الاستعمار واذنابه ، مواجها من يحاول شل الايدي عن الحركة ، وتكميم الافواه وعصب العيون ، وعد الخطوات غدوا ورواحا بقوة وإباء .

وكان أول ما قام به أن سافر وفد يوم 26 غشت 1930 بعد اعلان الظهير البربري حاملا عريضة تتضمن اهم المطالب التي تشكل معارضة قوية لاهداف الظهير البربري (23) وهي :

- توحيد برامج التعليم في سائر المدارس ، سواء في المدن أو في القرى .
- تعميم اللغة العربية ،
- تعميم التعليم الديني والاسلامي .
- احترام اللغة العربية في الادارات والمحاكم .

ويبدو ان الحملة المسعورة التي كانت تقوم بها فرنسا لتشويه شخصية الانسان المغربي بمحاربة الدين واللغة والثقافة ، والرغبة التي حمت تحتدم في دواخلها في رؤية المغربي مسلوب الثقافة ، دائم الشخوص في الفضاء كأنه يبحث عن أشياء افتقدها ، لان رسالتها (في المغرب يمكن اعتبارها فريدة من نوعها ، فهي تقوم اولا على تزييف تلك الاسطورة التي تقول : « انه لا أحد يستطيع أن يغير الشخصية المغربية لانها اقوى الشخصيات في افريقيا » تقول يبدو أن هذه الحملة المسعورة دفعت الكثيرين من ذوي العلم والفكر الى مواجهتها مواجهة واحدة ، وذلك عن طريق القيام بحركة تعريف وبعث للثقافة المغربية،

فاهتم عبد الله كنون بإماطة الحجاب عن الادب المغربي القديم - الذي يمثل وجها من وجوه حضارة المغرب الفكرية والحضارية الضاربة في أعماق التاريخ - بتأليفه « النبوغ المغربي في الادب العربي (24) .

كما الف المرحوم محمد بن العباس القباج كتابه (الادب العربي في المغرب الاقصى) ، ترجم فيه ، وعرف بالادباء والمفكرين المغاربة المعاصرين ، وهو كتاب نفيس حقا ، واذا جمعناه « بالنبوغ » فان عملا تكامليا يهدف التعريف بالادب المغربي - قديمه وحديثه - سيمثل أمامنا دونما شك .

ونخلص الآن للحديث عن الادب المغربي ، أو بعبارة اكثر دقة وايضاحا ، عن الثقافة المغربية على عهد الحماية ، لان لها ارتباطا وثيقا ببحثنا ما دام عبد الله كنون قد تلقى ثقافته وظل الاستعمار مبسوط على المغرب .

ونبادر - منذ البدء - لتسجل اختلافنا مع « فرانز فانون » (25) الذي يقول : (ان الوضعية الاستعمارية توقف الثقافة الوطنية ، فليس من الممكن الحديث عن ثقافة وطنية ، او عن حياة ثقافية وطنية ، او ابداع ثقافي ، او تحول ثقافي في اطار التسلط الاستعماري .

فالثقافة الوطنية تحت السيطرة الاستعمارية مراقبة بشكل منظم) ، ونقرر أن في هذه القولة جانبا من الصواب ، وجانبا ثانيا من الخطأ .

فأما أولهما فلقد بيناه آنفا ، وذكرنا بأن الاستعمار يسعى الى محاربة الثقافة الوطنية ، ويهدف الى محوها ، وتدجيننا للسير في ركابه ، وثانيهما ان الصفوة النابهة ، والنخبة المثقفة في المجتمع تقف في وجه الاستعمار ، وتعمل بكل قوتها وجهدها على ابراز تلك الثقافة ، وتجذيرها محافظة منها على تراثها الرافد الاول لشخصيتها التي يعمل المستعمر على طمس معالمها واقبارها (26) .

---

(22) محمد ابراهيم الكتاني : دعوة الحق عدد 4سنة 4 يناير 1961 ص 41 .
(23) عبد الكريم غلاب ،، تاريخ الحركة الوطنية ص 75
(24) سنفصل الحديث عنه في مكانه من هذه الدراسة .
(25) معذبو الارض ص 178 ، ونقلا عن الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية للدكتور ابراهيم السولامي ص 47 .
(26) نشير الى أن اقوى برهان على بطلان ادعاء « فرانز فانون » هو الادب الفلسطيني الذي رغم القمع المتغطرس الذي تمارسه اسرائيل ضده استطاع أن يغدو أدبا خلاقا مبدعا ، يحبل بالعطاءات والتحولات .

وفي المغرب (استطاعت السلفية المغربية رغم اتجاهها المحافظ ، ان تساهم في تطوير الافكار ، وخلق وعي جديد ، وهكذا لمعت اسماء شيوخ مغاربة مثل ابي شعيب الدكالي ، ومحمد بن العربي العلوي وغيرهما) (27) .

لقد كان للسلفية دور خطير في بعث الثقافـــة المغربية ، وتخليصها من الجمود الذي كان يخيم عليها، فدعت الى التلاقح الثقافي ، والى الاستفادة مما انجزه الغرب استفادة تتواءم ومقوماتنا ، وتتلاءم وشخصياتنا، فنقبل الجيد بعد عرضه على محك البحث ومناقشته فوق طاولة التشريح ، ونلفظ ما لا يسوغ لنا ، ولا يتماشى مع مبادئنا .

وهذه خطوة مهمة قامت بها السلفية بعد فشل الارساليات التي بعثها المغرب الى أوربا للبحـــث والتحصيل ، ولهذا الفشل اسباب : اولها أنه (لما ورد على المولى عبد العزيز بعض المتعلمين من تلـــك البعثات ــ وقد أتموا دروسهم ــ لم يجعل لهم قيمة ، ولم يقدر لهم قدرا ، وانقاهم في زوايا الاهمال فضاعت معارفهم ، وخسرت صفقة المغرب) (28)، وثانيها عدم اهتمام الناس بهذه الارساليات ، ربما لانهم كانـــوا يخشون بعث ابنائهم الى اوربا مخافة ان يمتد اليهم الكفر والزندقة ظنا منهم ان كل علم غير علوم الاسلام هو علم كافر ، وفي ذلك ايضاح لما ترسب في عقولهم من دعاوي الطرقيين المنحرفين الجاهلين الذين كان الناس واقعين تحت مغناطيس تاثيرهم قبل قيام السلفية بتبيان بطلان دعواهم ، وضلالهم المتجلي في اشاعة المعتقدات المهترئة ، وبث الخرافات الاسطورية التي ترسبت في بواطنهم ، وحفرت اخاديدها في ذاكراتهم، فلذلك (ما كان الناس يبعثون أولادهم لاوربا عــــن رغبة) (29) ؛ وثالثها ان ما كان يدرسه طالب البعثة لم يكن دسما وثريا فهو الى التكوين اقرب منه الـــى الثقافة ، (واكثره فيما يتعلق بالفنون العسكرية) (30) ورابعها وهو تتمة للاول (انـــه لم يقـــع التفكيـــر على ما يظهر في فتح مدارس لهؤلاء المتعلمين ليعلموا فيها ما حصلوا عليه من المعارف الجديدة لغيرهم من المواطنين حتى تعم الفائدة بذلك ، وينتشر العلم على اوسع نطاق) (31) .

ولئن كانت مهمة السلفية تقتصر على ايقـــاظ الهمم الخائرة ، واستنهاض العزائم الهامدة ، وتقوية النفوس الكليلة ، وشحذ القرائح المجدبة ، وخلـــق مجال حيوي خلو من الزوائد والشوائب للفكر والثقافة ــ وان ظلا مشدودين الى الماضي بخيط رقيق ، وذلك امر طبيعي ــ فانها تعد عملا جليلا ، ومهمة ساميـــة نهضت باعبائها بكل شجاعة ، وامانة تاريخية .

اما التعليم فقد كان محصورا في الكتاتيـــــب القرآنية المتوزعة في المدن والقرى والمداشر ، يدرس فيها القرآن بطريقة عتيقة صرف تقوم على اعتلاء الفقيه مصطبته ، واشرافه على (الطلبه) الذين يحفظون كل سورة قرآنيه على حدة سواء عن طريق السماع ، أو بواسطة الالواح المكتوبة بـــ « الصماق » ، حتى اذا حفظ القرآن ، « وحذقه » يقيم اهل الحافظ « الحاذق » مادبة يستدعي اليها الاحباب ، ويكون على راسهـــم الفقيه .

ومن البديهي انه لم يكن منتظرا من هذه الكتاتيب ان تخرج لنا ادباء نابهين ، او شعراء نوابـــغ ، وفي كلمة واحدة شبابا مثقفين يمدون الثقافة الوطنية بدم جديد يسري في شرايينها ليتمشها،ويقوم أودها (32).

الا انه قد يحدث الاستثناء الذي يشذ عـــن القاعدة ، فينبغ « طالب » ليسافر الى كلية ابن يوسف

---

(27) محمد زنيبر : (الى اين يتجه الادب في المغرب الاقصى) مجلة الآداب سنة 26 ، عدد 3 مارس 1978 ص 7 .

(28) محمد السائح : دعوة الحق سنة 3 ، عدد 2 ــ 1960 ، ص 31 .

(29) محمد المنوني : يقظة المغرب الحديث ج 1 ص 305 .

(30) عبد الله كنون : احاديث عن الادب المغربي الحديث ص 22 .

(31) نفس المرجع ونفس الصفحـــة .

(32) لعل رواية (بوتقة الحياة) للبكري السباعي قد سلطت الاضواء الكاشفة على هذه النقطة .

بمراكش ، او جامعة القرويين بفاس لاستكمال دراسته العليا .

وتبقى الاشارة الى المدارس الحرة التي تعهدتها السلفية بالانشاء والرعاية والحدب (لمواجهة الفرنسة والدفاع عن الدين) (33)ــوقد بينا ذلك آنفا باسهابــ وقد اهتمت هذه المدارس بتعليم تلاميذتها ابجديــة القراءة والكتابة ، فقدمت لهم دروسا اوليــة ، الا أن سنوات الدراسة بها لم تكن تتجاوز السنة الرابعة من الثانوي على اقصى مدى ، وقد بلغ عددها حتى السنة الاولى من الاستقلال ثمانين مدرسة (34) .

وقد أسهم عبد الله كنون بنصيب وافر في هذا المنحنى ، حيث انه أسس المدرسة الحرة المعروفة في طنجة تحت اسم (مدرسة عبد الله كنون) سنة 1936 ، ومنها تخرجت أجيال جدت وثابرت فنبغت.

ومرة اخرى ، فانه من المستبعد ان يدلي متخرجو هذه المدارس بدلوهم في ارساء ثقافة وطنية اذا اقتصروا على ماتلقنوا في تلك المدارس ، ولم يحاولوا تجاوز ذلك بالقراءات الخاصة ، والعمل العصامي المستديم الذي يجد في ما تنتجه المطابع في الشرق خير زاد تعب منه المعرفة ، ويتهل منه العرفان .

وقد لعبت المجلات (الرسالة والمقطم والمقتطف والهلال ... الخ) دورا خطيرا في تحقيق التواصل الثقافي ، والالتحام الفكري بين المشرق والمغرب ، فكنت ترى الشباب يتعاورون فيما بينهم هذه المجلات، ويعقدون حلقات وندوات لمناقشتها حتى يرسب في الاذهان جيدها ، ويرسخ في النفوس قويمها .

وقد ساعدت هذه المجلات قارئيها على اقتحام عوالم اخرى اكثر فساحة ورحابة تموج بالجديد ، وتحبل بالمغاير ، وتنضج بالتحولات التي تتحدى الثوابت ، فلم يعد الدرس وقفا على القديم ، وحصرا على ثقافة الاعادة والتكرار التي تدور ضمن عالم مغلق ، محدد قبليا ، لا حركة فيه ، (35) بل تجاوز لذلك ، وسعى الى قراءة جديدة تتباين بتباين الكتاب ونزعاتهم ، ومناهجهم الشديدة الارتباط بثقافتهم .

كما ان الاهتمام بالآداب الاجنبية اصبح طاغيا فترجمت روائع عن الآداب الفرنسية والانجليزيــة (روسو ، ديكارت ، سانت بوف، تين ، شكسبير ، باون ، كولردج ، شلي ...)

وعلاوة على ذلك ، فقد قدمت تلك المجلات أسماء جديدة عملت على تاسيس الثقافة المعاصرة وبنائها ، فقرىء الثالوث الادبي في مصر العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل ــعلى حد تعبير سعيد حجي(36) واطلع على قصائد البارودي وحافظ وشوقي ومطران،، الخ ، فتمكن القوم من رصد جيل آخر حديث مخالف للقديم ــ بطريقة أو باخرى ــ في اتجاهاته ونمط ابداعاته ، وعرفوا آدابا اجنبية كانوا يجهلونها جهلا مطبقا (37) ، املا في القبض على (الحلقة المفقودة في النهضة الفكرية بالمغرب) (38) .

وتاسيسا على ما سبق ، تتضح لنا الاهمية الحساسة التي خولت للصحافة لتقوم ببعث الثقافة ، ونشر الادب وترسيخ الوعي ، وبناء أعمدة حضارة فكرية حديثة من المشرق الى المغرب في تواصل روحي ، وتناغم ثقافي وفكري .

لكن سؤالا مهما يظل يعلن في الذاكرة متسائلا بالحاح ؟

1 ــ ما مدى تاثير هذا التواصل على الكتابات المغربية ؟

2 ــ وما هي المهام الثقافية التي حققتها الصحافة المغربية ؟

اما عن التاثير ، فلا مندوحة من الاقرار بوجوده، لان محمد العربي العلوي وأبا شعيب الدكالي يعدان

(33) ابراهيم السولامي : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 42 .
(34) انظر نفس المرجع ، صفحات 43 ــ 44 ــ 45 .
(35) ادونيس : زمن الشعر ص 22 ، (بتصرف)
(36) ابوبكر القادري : سعيد حجي ص 73 .
(37) من حديث أجريناه مع عبد الله كنون .
(38) ابوبكر القادري : سعيد حجي ص 65 .

امتدادا لمحمد عبده في نشر السلفية ، والاخذ بالاسلام من مظانه الاولى (39) .

وفي الادب نؤكد بان التلاقح الفكري والثقافي بين مشرق الاسلام ومغربه ليس جديدا ، اذ انه موغل في القديم ، ويعتبر في نظرنا تلاقحا متبادلا ، اي تلاقح تأثر وتأثير ، ارسال واستقبال ، اخذ وعطاء ، وان كره المشارقة الاقرار بهذه الحقيقة الصارخة التي تطل عبر امتدادات الزمن التاريخي ملوحة باصالتها ، وتفرد تموجهـا ، وثبوت خصوصيتهـا ، وعدم استنساخها لما كان في المشرق ، وسعيها الى اعطائه ابعادا أخرى بحثا عن التجذير والاخصاب .

وان المغرب في تعامله الثقافي مع المشرق لم يكن ابدا اسير الانبهار ، وسجين التقليد والاتباع ،، بل اننا نؤكد انه في العهد الذي كان الانحطاط ـ بشتى مظاهره ـ يسحب ذيوله على الشرق قدم المغـرب ابناء عديدين ساهموا في بلورة الثقافة ، وامدادها بنفس جديد آخر ،، ولعل السجلماسي الناقد الفذ اقوى مثال على ذلك .

وعلى هذه الشاكلة استمر تعامل المغاربة مع المشارقة ونتاجاتهم ، فلقد كانوا متتبعين لما يضطرم به الشرق من فكر وأدب ، مستوعبين وهاضمين له ، الا انهم ـ على المستوى الابداعي ـ كانوا يصدرون عن طبيعة مغربية ، وذات مغربية ، تتاصل جذورها في تربة مغربية ، وتعبر عن فكر مغربي ، وتصـور شخصية مغربية بتعبير مغربي ، ومنهج مغربي يستمد منهجه وحضوره من ادب مغربي يضرب في أعمـاق المرابطين والموحدين والعلويين .

ان القارىء المغربي المتتبع للمجلات الثقافية الشـرقية كان يقرأ لطه حسين، ويطالع للعقاد، ويسافر مع شوقي في رحلة ابحار الى مدن الابداع ، ويعود مع المازني الى حلبة المناجزة والعراك ، ويظل متمليا ومتمعنا في كل ما قراه وتصفحه ، اي ان قراءته لـم تكن تلقائية وعفوية واستقبالية فحسب ! بل كانت تنم عن توجس فكري تدعمه ذائقة نقدية ، وحس يتميز باحتمال القبول أو الرفض .

اما الصحافة فقد لقيت كبير عناء من اجل تثبيت اقدامها ، والحصول على ترخيص لها بالكينونة من قبل الحماية الفرنسية ، فلقد رفضت طلبات عديـدة ترغب في انشاء مجلة ، أو اصدار جريدة ، ودليل ذلك ما حدث لسعيد حجي عندما رغب في اصدار مجلـة « مراكش » الفكرية ، والرفض الذي قوبل بـه ، والاحتجاج الذي وجهه الى المقيم الفرنسي « بونسو » (40) ، ولجنة المطالبة بالصحافة التي تاسست عقبه ذلك ، والمكونة من سعيد حجي ، وابراهيم الكتاني ، ومحمد اليزيدي ، وقد وضعوا لمشروع فتح هذا الباب بيانا يتضمن اربعة وعشرين بندا (41) .

ونشير ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ أن جرائد وطنيـة تمكنـت مـن الصدور رغم محـاولات المستعمر الاحباطية ، ونذكر منها :

1 ـ « الحياة » ويديرها الاستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس .

2 ـ « عمل الشعب » ويديرها الاستاذ المرحوم محمد بلحسن الوزاني .

3 ـ « المغرب » ويديرها الاستاذ المرحـوم سعيد حجي ، وهي غير مجلة « المغرب » التي كان يرأسها محمد صالح ميسه الجزائري .

ومن باب الانصاف أن نشير الى أن هذه المجلة (المغرب) قدمت خدمات جلى للثقافة المغربيـة ، نفضلا عن المقالات والابحاث المتنوعة التي كانـت تنشرها ، فقد كانت تولي عناية خاصة للادب والنقد ، اذ أن صفحاتها عرفت معارك نقدية حادة خاصة بين محمد بن العباس القباج (ابن عباد) والشنقيطـي ، وهي معارك اكسبها رونقها اسلوب القباج الساخر ، و (للعائه القاسية) ، وردود الشاعر الشنقيطـي المستونة التي تعتمد اسلوبا دراميا حادا ، ولغة جبلى

---

(39) حري بنا ان نشير الى ان محمد كنون جد عبد الله كنون كان أول داعية للسلفية ، ولكننا قدمنـا محمـد العربـي العلوي وابا شعيـب الدكالـي (لموافقتهما لمقتضى الحال) مادمنا بصدد الحديث عن التاثير المشرقي في المغرب .

(40) أبو بكر القادري : سعيد حجي ص 28 .

(41) نفسـه ، صفحات 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 .

بالمتنوءات تطفح بالنار ، وتقدح بالشرر ، كما حدثت خصومات نقدية أخرى ليس هذا محل ايرادها .

وتبقى الاشارة الى أن رحى الخصومة كانت تتمحور حول ثنائية القديم والمحدث ، فابن عباد يمسك بمعوله ليهوي به على صرح شعر النمطية الجاهزة ، والقالبية المجترة ، ويقوض دعائم شعر التشكيل اللغوية ، والمحاكاة والكلمات المصففة ، لان (ابناءنا وقفوا ، بينما الحياة تقدمت خطوات ، فاستحال وقوفهم الى جمود ، بل الى نوم وتلاش ، وخير لهم أن يفسحوا المجال أمام عقولهم ، ويدركوا هاته الحياة التي تشاء اليوم ان نخترقها ونعبر عنها ، ونأمل في الحصول على غاية سامية منها ، كما ارجو أن يفهموا جيدا اننا في دعوتنا الادبية لا نرغب في الجديد لانه جديد ، ولا نزيف القديم لانه قديم ، بل لا نتطلع ، ولا ننشد الا أن نمثل الحياة خير تمثيل في انتاج ادباء المغرب كما قال مرة محمد بن العباس القباج (42) .

هذا الجمود الذي كان مخيما على الادب المغربي كاد يدخله متحف القرون الوسطى (ولم لا تكون متحفا؟ وكل شيء لدينا يمثل الماضي اغرب تمثيل ، ولا يتصل بالحاضر في شيء ، ولا يعبر عن اي اتجاه من اتجاهات المستقبل ،، فالماضي الذي يمثل ليس هذا الماضي الحافل ، ولا تلك المرحلة التي اجتازتها امتنا، وهي تعدو وراء الرفعة ، وتصبو الى المجد ، بل هذا الماضي ، وتلك المرحلة التي ارتخت اعصاب الامة المغربية فيها ، واصبحت جامدة يسيرها التيار ، وتتلاعب بها الامواج) (43) كما هتف سعيد حجي .

ان هاتين القولتين كافيتان – في نظرنا – لاعطاء خارطة للفكر المغربي – وقتذاك – تكفي لتعرية تضاريسه ، والرحيل عبر تلافيفه لاستكناه اغواره ، وللبرهنة على أن القداسة التي كانت يتسربل بها القديم ، والتهيب الذي كان يقابل به قد امحيا واصبحا في خبر كان ، لان الادباء المغاربة – كما يبدو – تجاوزوا حدود الصراع بين القديم والمحدث ، – كما حدد في الاطار العباسي – باعطائه بعدا آخر يتسم بالرغبة في مواكبة التطور ، ومجاراة التمدن ، وتلقيح الفكر والادب ، والخروج على قانون الطوطم ، والشكل الاصح علما .

ونظن أن شعراء مثل عبد الله كنون ، ومحمد المختار السوسي ، ومحمد المشاني ، وعبد المالك البلغيثي ، ومحمد القري ، وعلال الفاسي ، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد الحبيب الفرقاني ، وعبد القادر حسن ، ومحمد الحلوي ،، الخ قد اعطوا للقصيدة المغربية نفسا جديدا ، واسعفوها بدم فوار يغلي في شرايينها ، فيكسبها نضارة وبهاء ، ويزيدها عمقا واشراقا .

ولا مشاحة من التذكير بأن معظم المفكرين والادباء المغاربة كانت تتوزعهم اختصاصات عديدة وتتقاذفهم اهتمامات ومهمات جسيمة ، فلقد كان بعضهم شاعرا يحمس الشعب ، وخطيبا يوعيه ، ومرشدا يربيه ، وسياسيا ينخرط في التنظيمات وكاتبا يدبج المقالات للدفاع عن مصالح بلاده ، ومن بين أولئك القوم كان عبد الله كنون .

ومن هنا يبتعد كثيرا عن العلمية ، والمنطقية ، والموضوعية ، والسلامة الرؤيوية ما ادعاه الدكتور سيد حامد النساج من أن الحديث عن تلك المرحلة يكاد يقترن بسيل لا متناه من النعوت والاحكام التي تعني كلها الفراغ، والعقم، والاجترار ، والهروبية (44) لان في حكمه هذا شيئا غير قليل من الغلو والغلواء ، ومجانبة الصواب ، ومجانبة اصدار الاحكام :

1 – يصف المرحلة (مرحلة ما قبل الاستقلال) بالفراغ ، وهي لم تكن كذلك ، والابداعات المغربية التي خلفتها تلك المرحلة اكبر شاهد على ذلك ، وخير ترجمان للمشاركة الحميمة التي كانت بين المبدع والجمهور .

(42) احمد زياد : لمحات ،،،، ص 61 .
(43) أبو بكر القادري : سعيد حجي ،،، ص 20 .
(44) سيد حامد النساج : الادب العربي المعاصر في المغرب الاقصى ص 87 .

2 – ينعتها بالعقم – والتاريخ ينكر ذلك ، فهي – وان تميز أدبها بجنوحه الى التقليد « الجيد » (45) لم تكن مرحلة عقم ، بل كانت مرحلة مواجهة وتحد ، ومحافظة على الشخصية المغربية ، واصالتها من الضياع والتغريب .

3 – يقول عنها انها تتسم بالابتسار ، وتظل هذه اللفظة في حاجة الى توضيح وتحقيق أكثر .

4 – وفي نهاية المطاف يسمها بالهروبية ، وهنا نتساءل : ماذا يقصد بهذه « الهروبية » يعني التملص من مواجهة المستعمر ؟ أم يرمي الى ان الادب لم ينزل الى المعركة ؟ ان علال الفاسي ، وعبد الله كنون ، ومحمد الحبيب الفرقاني ، ومحمد المختار السوسي ، ومحمد الوديع الاسفي ... الخ – وقد ذاق بعضهم مرارة المنافي ، وتجرع منغصات السجون والزنازن – لاقوى دليل يفند هذه « الهروبية » التي يحاول الصاقها بتلك المرحلة ، فمن أين أتت ، اذن ، هذه الهروبية ؟ يبقى السؤال مطروحا .

واجمالا فاننا نشير الى ان الفكر المغربي – وعندما نقول الفكر نقحم فيه بطريقة آلية الادب – كان جنوحا الى القديم « الجيد » حرصا منه على تراثه من جهة ، وتأثرا بالسلفية التي داهمت ميدان الادب من جهة ثانية ، ولا يعني ذلك ان الاجماع قد وقع على ضرورة تفضيل هذا المضمار ، بل لقد شهدت الساحة الثقافية صراعات نقدية حادة وجادة ، كل منها يسعى الى طرح وجهة نظره ، والمنافحة عنها بكل ما أوتي من جهد ، واننا نظن ان مجرد الصراع الثقافي هو ظاهرة صحية تساهم في تطور الادب وازدهاره ، لان تبادل الآراء ومحاولة طرح البدائل ، والنقاش المثمر ، والحوار الجاد معالم تعبد الطريق ، تقتحم الابواب الموصودة ، وتقتلع الطحالب والطفيليات لتعطي للادب مجالا أوسع وأرحب ، وافقا أغنى وأخصب في مناحي العطاء ، والخلق والابداع .

– يتبـــع –

---

(45) التقليد الجيد في نظرنا هو التقليد الذي يتم عبر خصوصيات ومميزات المقلد ، ومثال ذلك ما حبلت به سوس من محاكاة الآداب العربية في عصرها الجاهلي حيث القوة والجزالة والمتانة تمشيا مع البيئة التي كان يعيش فيها السوسيون، وهي تشبه الى حد كبير بالبيئة الجاهلية بصحرائها وواحاتها ونخيلها ، وبناء على ذلك تسقط دعوى المشارقة القائلة بان المغرب يعتبر في نهضته الفكرية عالة على النهضة المشرقية.



الإعلام الإسلامي

منطلقات وأهداف

2

• للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ومن أجل ان نهيء المناخ الملائم والتربة الخصبة للصحافة الاسلامية فتطلع لنا في ليل الضلال الاعلامي اصباح الهداية سخية كريمة وتنبت في بلقع الهجير دوحة الخير مثمرة سخية وجب انشاء ما يلي :

(1) معاهد وكليات للصحافة الاسلامية وهي ستضطلع بتكوين الرجال الاعلاميين الاسلاميين الماهرين تكوينا متينا في مجال الدعوة وفي مجال الاعلام الحديث مع التكوين المتين ايضا في اللغات الحية ولغات الشعوب الاسلامية وبذلك نكون قد اعددنا اطرا اعلاميا اسلاميا تنهض باستراتيجية العمل الاعلامي الاسلامي على الوجه المطلوب واحتياطنا مما يمكن ان يبدر من الرجال الاعلاميين غير الملتزمين من اساءة الى الاسلام بقصد او بدون قصد .

(2) وكالة اسلامية عالمية للانباء وينبغي ان تمولها الحكومات الاسلامية على اساس ان تتميز بالاستقلال التام عن كل هيمنة معينة وبعبارة اوضح ان تتميز بالاستقلال التام عن نفوذ الحكومات لتعمل في جو من الحرية وتكتسب ثقة المسلمين وينبغي ان يكون مقرها الرسمي في مكة المكرمة قبلة المسلمين ويكون لها فروع في كل عاصمة اسلامية وتقوم هذه الوكالة بجمع الاخبار على مستوى العالم الاسلامي والعالمي وبتوزيعها على كل فرع من فروعها وتقوم كذلك — وهذا هام — وهام جدا — بتغطية اخبار المسلمين في جميع الارض وتسليط الاضواء عليها وفضح ما يبيت من تآمر على امة الاسلام وكشف ما يدبر من تعتيم اعلامي ضد الاحداث الاسلامية في العالم .

(3) قمر صناعي اسلامي تستعمله الدول الاسلامية في الاتصالات السلكية واللاسلكية وبواسطته يشاهد اهل الارض مثلا برامج تلفزيونية اسلامية وشعائر الله في الحج واستطلاعات من البلاد الاسلامية في انجازاتها الحضارية وغير ذلك .

(4) رابطة الصحافة الاسلامية يكون مركزها الرسمي في مكة المكرمة للاعتبار السابق ويكون لها فروع في كل عاصمة اسلامية ويجب على الحكومات الاسلامية ان تساعدها ماديا بعيدا عن كل هيمنة او مساومة ولا ريب ان مهمة الرابطة تنحصر في القيام باعباء الصحافة الاسلامية في انحاء العالم الاسلامي تلك الاعباء المتمثلة في النظر فيما يعترض صحافتنا من عراقيل وتذليل الصعاب لها ماديا وادبيا .

وسعيا الى استقطاب ما يمكن تصوره من

دعائم ترسو عليها قواعد الاعلام الصحفي الاسلامي ليشق طريقه نحو افاق السيادة فانه يتطلب وضـع مشاريع صحافية عديدة ومتنوعة تنوع اهتمامات الناس ومتباينة تباين مواهبهم لتغطي الاحتياجات ولـذلك اقترح :

(1) صحافة اسلامية سياسية وتهتم بالاخبار اليومية الداخلية والخارجية وتهتم بالتعليقات السياسية على الاحداث الجارية في العالم وتقدم الحكم الاسلامي في كل ما تتناوله من قضايا السياسة على مستوى العالم الاسلامي ومستوى العالم وتنتقد الاوضاع السياسية المجافية للتصور الاسلامي سواء في الداخل او الخارج وتواجه الظلم بكل اصنافه مما قد يفرزه الاستعباد السياسي وهكذا .

(2) صحافة اجتماعية وتحتفل بالدراسة الاجتماعية والقضايا المجتمعية من تخلف وتشرد وتسول وانحراف وفقر وغيره وتحليل ذلك تحليلا علميا واعطاء الحلول الناجعة على ضوء ما يقترحه الاسلام من احكام في المسألة الاجتماعية التي تحتل في منهجه الخالد مساحة هامة جدا ولا نبالغ اذا قلنا انها شغله الشاغل لكونها تتعلق بالانسان والانسان عنده خليفة الله في الارض سخر له الكون وأمره بأن يستغل مواهبه ويمارس حريته ويثور على الظلم الاجتماعي قال تعالى « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (31) .

(3) صحافة اقتصادية وتضم في رحابها شؤون الاقتصاد المختلفة في العالم والسياسة المالية للحكومات الاسلامية وتنقد منها ما هو على طرفي نقيض مع الاسلام وتتناول قضايا المصارف والبنوك ومشاكل الربا ونظام الشركات والتأمين وغير ذلك مما يؤلف الآن الجهاز العصبي في حياة الامم وينبغي الى كل ذلك ان تدلي صحافتنا الاسلامية الاقتصادية برؤيتنا الاسلامية في كل هذه الامور وتدعو الى جعل الحياة الاقتصادية في الوطن الاسلامي والمحيط البشري كذلك حياة اقتصادية اسلامية لانها تقوم على العدل الباني على اكرام الانسان .

(4) صحافة اسلامية علمية وتتناول قضايا العلم في شتى فروعه المختلفة وتجعل نوافذه مسرحا لعرض القدرة الالهية وتحاول ربطه بما جاء في كتاب الله تعالى من حيث مظاهر السنن الكونية المحكومة بالمشيئة الربانية وعلى الا يتعدى ذلك التنبيه واثارة الملاحظة اذ ان كتاب الله تعالى ليس كتاب رياضيات وفيزياء وكيمياء وطب وانما هو كتاب هداية وارشاد وتعليم منهج للحياة فاقحام القرآن الكريم في البحوث العلمية التي تتطور يوما بعد يوم يعرضه الى تكذيب الحاقدين ويكفي القرآن الكريم انه يلفت الانظار وينبه الاحساس ويثير التأمل وعلى الانسان أن يجد في البحث والنظر والغاية طبعا هي انه لا يحجر على العقل البشري ويترك له الحرية في ارتياد آفاق العلم والمعرفة ولو انه ذكر بالطريقة العلمية والبحث النظري قوانين المعارف المتعددة لوقف العقل البشري عن الحركة وهيمن عليه العمى وهذا ليس من رسالة الاسلام ابدا .

(5) صحافة اسلاميه ادبية فنية وهي تعالج الفن الاسلامي في كل جوانبه شعرا وقصة ومسرحا وخاطرة وتتميز خصائصه في انه يحتفل بكل مظاهر

---

(31) سورة النحل 12 و 13 و 14 .

الوجود تبعا لشمولية التصور فيمكن تكون كذلك يقسم في معايشه شتى مشاهد الحياة في نفس رفعلة وهي تستقبل ضياء الدنيا ومن البحر وهو في مده وجزره ، ومن الشمس وهي ترسل أول شعاعها الى الارض الى الانسان في نقاوة سريرته يمارس انسانيته ويتعالى عن التملق ويتملى لحظة الاستعلاء الايماني الى الانسان في مباذله يمارس حيوانيته تهيمن عليه لحظة الهبوط في غيبة الايمان بالله تعالى الى الانسان المعذب يسومه الظلم السياسي سوء العذاب ويعذبه الفقر والجوع أشد العذاب وهكذا .

ويمكن أن تصدر في هذا الصدد مجلة تختص بنشر الشعر الاسلامي القديم والمعاصر ونشر دراسات نقدية عليه ومجلة تختص بنشر القصة الاسلامية ونشر دراسات نقدية عنها ومجلة تختص بنشر المسرحية الاسلامية ونشر دراسات نقدية عنها ويمكن أن تصدر مجلات تحوي كل أصناف الفن الاسلامي فالمسألة اولا واخيرا ترجع الى ظروف العمل ومدى استعدادنا في تحقيق أمثال هذه المشاريع الهامة

(6) صحافة اسلامية نسوية تعالج قضايا المرأة في الوطن الاسلامي وفي كل بقاع المعمور وتكشف عما خوله الاسلام للمرأة من حقوق وضمانات لصيانة حياتها عجزت عن تحقيقها كل القوانين وتكشف كذلك عما يهدد الاسرة المسلمة من كوارث اجتماعية وعرض وجهة نظر الاسلام في القضاء عليها .

من بين ما يمكن أن تتولاه صحافتنا الاسلامية النسوية في عملها نحو تحرير فتياتنا من الخلاعة والتبرج والدعوة الى التزام اللباس الاسلامي ووضع تصميمات له تنشر صورها على صفحاتها كنماذج تحتذى .

ويجدر بها أن تعقد صلات بالمجلات النسوية في العالم وتتفق معها على أن تخصص لها يعنى هذه المجلات قسما من حيزها تعرض فيه الازياء الاسلامية واعتقد ان هذا سيكون له اثر واضح في اقناع فتياتنا اللواتي لا يزلن تحت تأثير عقدة الانبهار بحضارة الشعوب بالاحتجاب كما امر الله تعالى وحتى تكون لهذا النوع من الصحافة آثارها الطيبة وشهرتها الواسعة نامه يجب ان تحرر بلغات الشعوب الاسلامية واللغات العالمية الحية .

(7) صحافة اسلامية للطفل وتقدم للطفل المسلم ما يحبب اليه دينه ويشحن شعوره بالتصور الاسلامي الحق للانسان والحياة والكون تتحدى بذلك استعداداته الفكرية ومثريا طاقاته المتعددة ومغذيا قدراته العقلية وينبغي أن تحرر بلغات الشعوب الاسلامية واللغات العالمية تعميما للفائدة وتوسيعا لنطاق هذا النوع من الصحافة ، ومما يجب ان يقدم في صحافتنا الاسلامية هذه للطفل المسلم العبادات وبعض المعاملات والتاريخ والفن الاسلامي الطفولي.

(8) صحافة اسلامية اذاعية وتتولى نشر ما تقدمه الاذاعة الاسلامية من انتاج في كل مجال كما تتولى نشر اهم ما يذاع من انتاج في الاذاعات الاسلامية الاخرى ومتابعة اهم ما تقدمه الاذاعات الجاهلية من احاديث تحارب الاسلام وتشوه سمعته بجانب ما تعلن عنه من برامج متعددة بتواريخها وساعاتها.

(9) صحافة اسلامية تلفزيونية وتتولى ما يقدمه التلفزيون الاسلامي من انتاج في كل مجال وتعمل بالاضافة الى هذا على نشر اهم ما يقدمه التلفزيون من انتاج في باقي البلاد الاسلامية وتحاول ان تتصدى لما تنشره تلفزيونات جاهلية عن الاسلام من بهتان بجانب ما تعلن عنه من برامج مختلفة بتواريخها وساعاتها .

(10) صحافة اسلامية سينمائية وهي تقوم بنشر الفلم الاسلامي وتقديم المضمون الكامل له وتقديم دراسات نقدية عنه من حيث محتواه وتقنيته وتحاول هذه الصحافة ان تقدم لقراء المسلمين دراسات نقدية اسلامية من الفلم الجاهلي وموازنته بالفلم الاسلامي.

وسائل اعلامية اسلامية مساعدة :

(1) المسرح :

ان المسرح المعاصر بكل اتجاهاته ان هو الا مرآة تمثل الفعاليات الحضرية للقرن الذى نحيا له وتمثل التحولات الانسانية فى جميع مناحيها وهو جهاز من اجهزة الاعلام لكونه يعبر عن رؤية الفن حول ما يؤمن به من قيم شتى على نحو ما تجد عند كبار المسرحيين مثل المسرحى الناقد الالمانى برتولدبريشت 1898 — 1956 فى مسرحيته دائرة الطباشير وعلى نحو ما عند كاتبنا المسرحيين مثل توفيق الحكيم فى مسرحياته العديدة .

او ليس من الواجب على الفن الاسلامى ان يتخذ مركزه بين الفنين الجاهليين ليعرض هو كذلك رؤيته الاسلامية الفذة التى تتميز بالشمولية والواقعية والايجابية مما ينعشم بناتا فى الرؤية الجاهلية .

او ليس من الواجب عليه ان يسهم بنصيبه الوافر فى هذا الميدان وهو يملك رافدا ثرا غنيا فيطلع على قومه بما يصحح المفاهيم الخاطئة وينشر بين البشر التصور الاسلامى الحق فى شتى ميادين الحياة وهذا يستلزم بالقطع اعداد الفنان المسرحى الاسلامى الماهر الذى يستطيع ان يقدم لنا عملا مسرحيا يطرح فيه المضمون الاسلامى بالصورة التى تخدم الدعوة خدمة جلى حتى يتسنى له ان يدعم المسرح الجاهلى الملىء بالتيه والشرود والتحديد سواء فى بلدان المسلمين او فى غير بلدان المسلمين من بقاع الارض .

فالمسرح ينبغى تشكيله على الصورة الاسلامية ليؤدى هو دوره فى تبليغ الفكرة الى البشر ونشرها على اوسع نطاق اذا كان هنالك ما يساعد على دفع المسرح الى الامام وتشجيعه بوسائل الاعلام الاخرى كالاذاعة والتلفزيون والصحافة وكتاسيس معاهد للتمثيل تخرج الممثل المسرحى الاسلامى .

(2) الاشرطة (كاسيت) :

وهى تسهم بدون شك فى مجال بث الوعى الاسلامى والثقافى ويمكن استعمالها فى تعليم القرآن للكبار والصغار وتعليم الحديث الشريف والعبادات والتفسير وغير ذلك مما يكون رؤية ثقافية اسلامية .

(3) انشاء رابطة للناشرين الاسلاميين :

يكون مركزها مكة المكرمة للاعتبار السابق وتهتم بكل ما يتعلق بمسألة النشر للانتاج الاسلامى قديمه وحديثه وتدرس كل ما قد يعترض طريق الناشرين الاسلاميين من عقبات مادية وغير مادية وتعمل على تنسيق الجهود بينهم وتوحيد نشاطهم لاجل تحقيق هدف واحد هو بلورة الفكر الاسلامى فى شتى مجالاته بعيدا عن كل تخبط او تشكيك او تهور .

وفى هذا الصدد ينبغى ان ننبه الى ان رابطة الناشرين ينبغى ان تلتحق عضوا بالاتحاد الدولى للناشرين بسويسرا لتفيد من تجربته ولا شك ان ذلك سيفتح للرابطة افقا رحيبة للعمل الجاد فى ميدان النشر .

ويجب على الحكومات الاسلامية ان تساعد هؤلاء الناشرين فى عملهم وخاصة منهم الذين لا يملكون راس مال كبير على سبيل السلف بدون فائدة طبعا .

(4) اقامة معارض دائمة للصحافة الاسلامية والكتاب الاسلامى القديم والحديث :

وهذا دون شك سيعمل على نشر التوعية الاسلامية وتحبيب الانتاج الاسلامى للجيل الصاعد على الخصوص .

5) انشاء مكتبات متنقلة للناشئة :

وعملها انها تقوم بالطواف على المدارس الابتدائية والثانوية وتزود الناشئة بالكتب الاسلامية

عن طريق الاعارة ولا تتعدى عملية الاعارة هذه اسبوعين ثم تبدأ المرحلة الثانية للاعارة وهكذا وقد عايشت مثل هذا العمل الطيب حينما كنت طالبا في المدرسة الابتدائية فكانت تزورنا مكتبة متنقلة توزع علينا كتبا في شتى المعارف والحق ان هذه المكتبة المتنقلة كان لها اثرها المذكور اذ عودت بعض التلاميذ على القراءة وحببت اليهم العلم وخصوصا من لم تكن ظروف البيت تساعده على تحصيل العلم .

(6) اقامة مخيمات اسلامية للشباب :

وعمل هذه المخيمات هو انها تستوعب عددا من الشباب المسلم لتربيته على السلوك الاسلامي اياما واياما حسب الظروف والملابسات وتلقنه التربية الاسلامية بمعناها العام يعني تلقنه كيفية معيشته فرد للاخر منذ الصباح الى الليل وفي هذه المخيمات يتلقى الشباب محاضرات واحاديث من طرف المشرفين وغير المشرفين من الدعاة كما يتلقون دروسا في التربية الاسلامية بمعناها الخاص كدروس في العبادات والتاريخ الاسلامي ويتلقون كذلك دروسا عملية في الرياضة البدنية بمختلف انواعها كالسباحة والعدو والتزحلق وغير ذلك .

وفي الحقيقة ان الشباب يزود في هذه المخيمات بالتربية الاسلامية في مضمونها النظري ومضمونها العملي وهنا يقع التلاحم بين النظرية والتطبيق وهذه التربية بنوعيها لها انشاء عناصر قيادية اسلامية بين الشباب المسلم ومثل هذا العمل الطيب تقوم به الآن الندوة العالمية للشباب الاسلامي اذ اسهمت في دعم مخيمات شبابية اسلامية ولكن هذا غير كاف فلا بد من توسيع نطاقه وتشجيعه من الحكومات الاسلامية بعيدا عن كل هيمنة ونفوذ .

(7) تنظيم لقاءات اسلامية للشباب الاسلامي :

في هذه اللقاءات سيتعارف الشباب الاسلامي وهذا من الاهداف التي يتطلع الاسلام الى تحقيقها قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (32) ويتدارسون فيما بينهم امر دينهم وما يعترض سبيل الدعوة من عراقيل وما يبيته العدو من مؤامرات لعقيدتهم .

(8) تكوين مكتبة اسلامية :

تحتوي الانتاج الاسلامي قديمه وحديثه يكون مقرها المدينة المنورة قاعدة الدولة الاسلامية الاولى على ان تكون لها علاقة مستمرة بالمكتبات الوطنية الاخرى في كل دولة اسلامية وتتعاون معها لاجل تنسيق الجهود والنشاط في ميدان تشجيع الكتاب الاسلامي والترويج له وبحث الوسائل لتحبيبه والاقبال عليه .

(9) تكوين دار اسلامية للترجمة :

تضطلع بترجمة الانتاج الاسلامي الى لغات الامم الاسلامية واللغات العالمية الحية ويكون مركزها باحدى العواصم الاسلامية ومن المستحسن أن تكون لها فرع في كل عاصمة اسلامية وتتولى الحكومات الاسلامية تمويلها ريثما تشب عن الطوق ويخضر عودها وتقف على رجليها .

(10) تكوين جمعية اسلامية لحقوق التأليف :

ويكون مقرها الرسمي باحدى العواصم الاسلامية ويجدر أن يؤسس لها فروع في كل الاقطار

---

(32) الحجرات : 13 .

الاسلامية لتسهيل الامر على المؤلفين الاسلاميين وسيكون عملها الاساسي هو السهر على حقوق التاليف الاسلامي ويمكن لهذه الجمعية ان تتعاون مع جمعية حقوق التاليف العالمية والاستفادة من تجريبها وخبرتهما .

(11) انشاء وكالـة اسلامية للتوزيـع :

ذلك ان الكتاب الاسلامي لا يقراه الا الاسلاميون والمجلة الاسلامية تدور في نطاق ضيق وان مهمة هذه الوكالة ستعمل على توسيع رقعة الكتاب الاسلامي والمجلة الاسلاميه بجعلها في متناول جميع الناس عن طريق شبكة المكتبات والاكشاك وغيرها وبذلك سيحرك الانتاج الاسلامي في نطاق واسع .

(12) تاسيس نوادى اسلامية للشباب :

وستقوم هذه النوادى بدور حسن هو استقطاب مجموعة من الشباب المسلم وملء فراغه بما يفيده في دينه وعقله وجسمه ويجدر الذي ان تجرى بهم انشطة اسلامية موازية يملأون بها فراغهم ومن جملة ما يمكن ان يتلقوه في هذه النوادى دروس عمليه في الرياضة البدنية كرفع الانقال مثلا وتعليم رياضة الجودو ويتخلل هذه البرامج فترة استراحه يشاهدون فيها عروضا سينمائية اسلامية تشتمل على استطلاعات جغرافية وروايات تاريخية واجتماعية ومتاحية برشة ويشاهدون ايضا عروضا مسرحية اسلامية وهلم جرا .

(13) تاسيس مدارس اسلامية ليلية :

وهى ستتولى تزويد الطلبة بدروس في التربيه الاسلامية ودروس في الثقافة الاسلامية والعلوم الاخرى كالرياضيات والفزياء والكيمياء على ان يعطى ذلك بتصور اسلامي صحيح وذلك ما نسميه بالتربية الاسلامية بمعناها العام ويمكن ان يخصص في هذه المدارس اقسام للاطفال يتعاطون هم كذلك مواد مختلفة بالطريقة التى سلفت وكل هذا من اجل تقوية الناشئة في الميدان المعرفى والاسلامى فيستطيعون متابعة دراستهم في المدارس الرسمية في جو ملائم وبذلك يحصلون نتائج حسنة .

(14) انشاء دار الطباعة الاسلامية :

ويكون مقرها المدينة المنورة قاعدة الدولة الاسلامية الاولى ويجدر أن تؤسس لها فروع فسى الوطن الاسلامي وستقوم هذه الدار بطبع الانتاج الاسلامي فقط قديمه وحديثه ويتعين ان تمولها الحكومات الاسلامية ريثما تبفع وتشق طريقها الى الامام

(15) توظيف الطابع البريدى :

كاداة للدعوة وذلك باستعمال فيه معلومات تتعلق بالسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي وباصدار اصناف منه في المناسبات الاسلامية الكبيرة كفاتح المحرم وذكرى غزوة بدر العظيمة .

(16) توظيفه السكه النقديه والورق النقدى كاداة للدعوة وذلك بالطريقة التى اتبعناها في الطابع البريدى .

(17) استعمال وسائل الايضاح السمعية والبصرية في تعليم العبادات :

المعالم الجمالية في الاعلام الاسلامي :

اود ان اختم هذ البحث بالحديث عن جانب هام له نصيب لا يستهان به في دفع ركب الاعلام الاسلامي الى الامام وهو المعلم الجمالية في الاعلام الاسلامي .

هذا الحديث في الواقع له ارتباط وثيق بموضوع الفلسفة الجمالية ويتطلب ذلك الخوض في المتعددات الفلسفية والنظريات المتشاكلة في الاصول الجمالية عند الفلاسفة اليونان وعند المفكرين المسلمين وعند المفكرين الاوروبيين ويجرنا الحديث بجانب هذا الى قضية الشكل والمضمون عند نقادنا القدامى والمحدثين وما

دار بينهم من نقاش حول تفضيل أحدهما على الآخر كما عند الجاحظ وابن سنان الخفاجي (33) وغيرهما من الذين طلعوا علينا بنظريات جمالية تتعلق بالنص الادبي لذا لا اريد ان اعرج على هذا الموضوع فذلك له مجال غير هذا المجال ومكان غير هذا المكان وحسبي فقط الاشارة مما يوضح المعالم الجمالية في الاعلام الاسلامي .

ان المعالم الجمالية في حقيقة الامر تمثل اسلوبا خاصا ينهض باثارة الحس الجمالي لدى الانسان ولا يخفى ان اثارة هذا الحس يشيع في النفس فيضا من البهجة لانه يتسلل الى اقطارها فيحركها بحسب تفاوت درجات الشعور والوعي بالجمال وبحسب تميز الفرد عن الآخر في تجاوبه مع المحتوى المتلقي . ولا شك ان الاسلام دعوة صريحة الى تحريك الاحساس الجمالي لدى الانسان فالقرآن الكريم تضم اياته الوسيعة المضيئة مشاهد شتى من الجمال التعبيري يتألق في رحابها الاداء اللفظي فقد وتنساب عبر ظلالها رفرفات نغمية تؤلف في تناغمها لمعجز اجواء موسيقية على غير مثال مسبوق ولن يكون لها قطعا مثال لاحق وهذه لمقومات الجمالية تبرز المضامين القرآنية وذلك ما يشكل — عندي والله اعلم — الاعجاز البياني للقرآن الكريم .

بجانب هذه الاضواء الجماليه التي تفرد بها القرآن الكريم فانه دعا الى تملي الجمال الآخر وذلك حين شد الانتباه الانساني عبر افواج من آياته الى ما في الكون من معارض الجمال من ذلك قوله تعالى عارضا لوحة من لوحات الطبيعة في اخراج بديع ينطق بالربانية في الابداع « وهو الذي انزل من السماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون » (34) .

ومن ذلك قوله تعالى « الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبت شتى » (35) .

من اجل هذا كله ايقظ القرآن الكريم الحس الادبي واللغوي العربي وفتق وعيه للنظر في معالم الاعجاز البياني ناطق في صورة غير مسبوقة داعية الى تملي الجمال في اسمى صوره الجميلة الاخاذة .

واذا كان القرآن الكريم قد فتح منافذ الاحساس البشري على آفاق الجمال فان السنة المطهرة هي بدورها لم تأل جهدا في ارهاف الشعور الجمالي وتربية الذوق وترويضه على استطابة ما يمتع ويتعشق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله جميل يحب الجمال) (36) وقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس واللحية فاشار عليه كانه يأمره باصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليس هذا خيرا من

---

(33) أورد الجاحظ نظريته عن المعنى واللفظ في كتابه (الحيوان) ج 3 ص 131 تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الاولى 1356 هـ / 1938 م وأورد ابن سنان نظريته في كتابه (سر الفصاحة) ص 60 — 61 طبعة 1350 هـ / 1932 م القاهرة .
(34) الانعام 99 .
(35) طه 53 .
(36) رواه مسلم وابن ماجة وابن حنبل في المسند .

ان ياتى احدكم ثائر الراس كانه شيطان) (37) وقال عليه السلام (من كان له شعر فليكرمه) (38) وكان عليه السلام يغير الاسم القبيح الى الاسم الحسن (39) وعن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اسمك ؟ قال حزن قال فذكره قال لا السهل يوطا ويمتهن قال سعيد فظننت انه سيصيبنا بعده حزونة (40) .

وغايتنا فى هذا الحديث هو الدعوة الى ضرورة التزام الذوق الجمالى فى مسيرة الاعلام الاسلامى لكونه من احدى مميزات هذا الدين الكريم وعاملا من العوامل الهامة فى التاثير والاقناع ولو لم يكن كذلك ما اعتمده الاعلام الجاهلى فى خطته فاحرز الحظوة والقبول برغم ان ما يدعو اليه بهتان سافر وقلما نلتزم الوجهة الجمالية — نحن اهل الحق — فى عرض الحق فالكتاب الاسلامى والصحيفة الاسلامية لا تزالان عموما فى حاجة الى اخراج يناسبه مقامهما ومكانتهما ولا شك ان الاعلام الاسلامى ان استطاع ان يطور اخراجه فى مظهر جميل فانه سيكون له الصولة والجولة فى معركة الاقناع وما اجمل ان يقدم الحق فى الصورة الانيقة .

وقد يظن البعض بان الشكل لا علاقة له بتاتا بالمضمون اذا كان المضمون فى حد ذاته جميلا اذ الشكل وسيلة من وسائل الخداع والتحايل وهذا يتنافى والتصور الاسلامى فى الالتزام الصدق على عكس الباطل من طبيعته انه يتوسل بالخداع والمكر لاجل ان يسود وقد صدق احد الاعلاميين الجاهليين حين قال معرفا الاعلام بانه اعطاء الشكل .

قد يبدو هذا الظن صحيحا فى ظاهره بادىء الامر ولكن لتامل ينكشف خطا الظن ذلك ان الشكل فى الحقيقه لا يمكن فصله عن المضمون لانه يؤلف شطرا منه او ليس هو وعاءه وما ينبغى ان يكون المضمون جميلا ووعاؤه رديئا فلو فرضنا ان كتابا ما جيد المضمون غير ان اخراجه لا تستريح له النفس ومنهجيته فى ترتيب الفهارس لا يخلد اليها الفكر لانها مرهقة فهل يجد القارىء فيه متعته كلا ثم كلا ان رداءة الاخراج ستجنى على المضمون وتحول بينه وبين القارىء .

ان الاحساس الجمالى من فطرة الانسان فاى تحريك لاشواق هذا الاحساس فانه يدغدغ النفس ويبعث فيها اشتاتا من البهجة والاسلام دين الفطرة لذلك فالاعلام الاسلامى مدعو بالضرورة الى التزام العناصر الجمالية فى عمله ولكن كيف يمكن لنا ان نوفر للمادة الاعلامية العنصر الجمالى ؟

لتوفير العنصر الجمالى فى المادة الاعلامية يجب ان نتوسل بكل وسائل الجمال والاناقة لابراز الحقائق فى صورة محببة اسرة ولنسق لذلك مثالا تتميما للفائدة وزيادة فى البيان .

عندما نود ان نحرر حديثا اذاعيا فما هى العناصر الجمالية التى يجب ان نوفرها له ؟ يجب ان تكون صياغة الحديث صياغة جميلة واضحة التعبير تتضمن اساليب مشوقة ومثيرة فى آن واحد والتشويق والاثارة يكمنان فى القدرة على التصرف فى اوجه التعبير كتكرار الكلمات حين يجب التكرار لاجل ترسيخ الفكرة فى الذهن على ان يكون التكرار غير ممل على نسق ما نجده فى القرآن الكريم كتكرار قوله تعالى « فباى

---

(37) رواه مالك فى الموطا .
(38) اخرجه ابو داود .
(39) اخرجه الترمذى .
(40) رواه البخارى وابو داود واحمد وهناك احاديث اخرى فى هذا المعنى كلها تقرر حب الاسلام لمشاهد الجمال .

آلاء ربكما تكذبان » وكجمل التركيب ذا مسحة ادبية من غير اسراف حتى يكون مقبولا ومستساغا وكاستعمال اساليب الاستفهام والجواب مما يدفع الى ايقاظ الحدس الذهني وبالاضافة الى هذا ينبغي ان يؤدي الحديث بصوت جميل ذي نبرات مؤثرة تلك النبرات التي يتحتم ان تتشكل حسب طبيعة الموضوع فالاستفهام الانكاري له نبرته والاستفهام التقريري له نبرته والجملة والاستفهام للامر له نبرته والاستفهام للوعيد له نبرته وانواع الانشاء الطلبي في البلاغة العربية كالتمني مثلا لها كذلك نبرتها وصيغ التعجب لها ميزتها الخاصة في الاوتار الصوتية وهكذا.

ويضاف الى ذلك امر آخر هو ان على المذيع وهو في غمرة الالقاء ان يحترم قواعد الترقيم الحديث في الوقف كالفصلة والنقطة وهكذا فان فن الالقاء يؤلف العناصر الجمالية في الحديث الاذاعي .

ولنسق مثالا آخر زيادة في الايضاح وهذه المرة عن الصحافة لنفرض اننا كلفنا باصدار صحيفة فما هو عملنا فيها من حيث الواجهة الجمالية ان عملنا سينصب على امرين المادة الصحافية والشكل الذي سنقدم به هذه المادة للقراء فالمفروض علينا اذا هو ان نهيء الصحيفة من حيث الاخراج والمادة وخطواتنا في هذا هي اتباع اسلوب جميل في توزيع مواد الصحيفة توزيعا ينعدم فيه التنافر ويبرز فيه التناظر وهو التناسب في مسافات الخطوط ومسافات الفراغ بين الابواب وحسن استعمال الالوان من اسود واحمر وازرق والحرص على استعمال الخط الجميل وكيفية استعمال العناوين المثيرة الملونة بالالوان المناسبة للموضوع المطروح وكل ذلك يكون تناغما فنيا يهب الصحيفة مميزات جمالية خاصة تحرك المشاعر وتجعل الصحيفة تحظى بالقبول والرضى وتكتسب ثقة القراء ومحبتهم .

هكذا يمكن للاعلام ان شاء الله تعالى في الوطن الاسلامي ان يصبح اسلاميا في مظهره وعمقه في شكله ومضمونه ويحقق ما يصبو اليه من اهداف وما يتطلع اليه من غايات في تصحيح المفاهيم الخاطئة وتكوين الرأي العام الاسلامي على اسس سليمة والتصدي للفكر المستورد الهدام وتطويق الاعلام الجاهلي واحكام الحصار عليه وفضح تهافته والكشف عن واقعه المرير وتمزيق الاقنعة التي يتستر خلفها الكثير من المسؤولين المنسوبين على الاسلام ورفع الظلم عن الانسان في كل مكان والقضاء على الجور السياسي في كل اشكاله ثم اعلان انتصار دولة القرآن الهادية الراشدة



الشاعر الهجاء
أبو زيد عبد الرحمن الخطيب
(ت : 963 هـ . 1555 م)

للأستاذ عبد القادر العافية

هذا احد الشعراء الجبليين الذي نبغوا في القرن العاشر الهجري وهو – بكامل الاسف – لم يحظ بعناية مؤرخي الادب المغربي ، ولعل ذلك يعود الى ضياع شعره ، لاننا لا نجد من شعره الا نتفا قليلـــة هنـــا وهناك ، وحتى هذا النزر اليسير هو في ضرب واحد من الشعر وهو « الهجو » .

ومن المعلوم ان تاريخ الادب المغربي مـازال يشكو من هزال المادة التي يتوفر عليها ، ونرى أن مؤرخي الادب المغربي يتعبون انفسهم في البحث عن النماذج التي يقدمونها ، ويرجعون من أجل ذلك الـى عدة مظان هنا وهناك ... مخطوطة ومطبوعة علهـم يعثرون على ما يلبي رغبتهم .

والحقيقة هي ان كثيرا من ادبائنا لم نتعـــرف عليهم لحد الآن ، ومعظم الذين تعرفنا عليهـم انمـا نعرف نتفا قليلة عنهم ، وعن آثارهم ، وعن اخبـــار حياتهم ...

وقضية البحـث في الادب المغربي موكولة اليوم الى الباحثين الجدد خاصة وقد تمهد لهم السبيـــــل بمجهودات من سبقوهم في هذا الميدان .

واعتقد ان قائمة ادبائنا ، وكذا المادة الادبية ، اعتقد ان كل ذلك سيعرف نموا في الفترات المقبلة ، وما ذلك الا لان البحث في الأدب المغربي اصبح محفلا لكثير ممن يعنون بالدراسات الادبية ببلادنا .

وشاعرنا الذي اقدمه اليوم هو : ابو زيد عبـد الرحمن ابن الخطيب الزرويلي ، الشفشاوني ، فهـــو ينتمي الى (بني زرويل) التي هي فرقة من الاخماس السفلي قرب مدينة شفشاون ، وهي غير قبيلة بنـــي زروال الواقعة شمال فاس ، فشاعرنا يقال فيه الزرويلي، ومن المعلوم ان بني زرويل هذه قد نبغ منها عدد من الفقهاء والعلماء و الادباء ... ومن أدبائها المرموقين : الشاعر ابو الحسن على مصباح الزرويلي (1) والشاعر ابو اسحاق الزرويلي ايضا (2) ومن فقهائها المشهورين: ابو الحسن الصغير الزرويلـــي (ت : 719 هـ) شارح المدونة ، والفقيه مصباح ابو الضياء (ت : 750 هـ / 1349 م) الذي تنسب اليه المدرسة المصباحية بفاس ، والقاضي أبو الحسن علي ابن القاضي عبد الواحـد اليصلوتي الزرويلي وغيرهم ... (3)

وكما ينسب مترجمنا الى بني زرويل ينسب كذلك الى شفشاون فيقال فيه الشاعر الشفشاوني .

---

(1) انظر حديثنا عنه ، والتعريف به في مجلة دعـوة الحق العدد : 1 السنة : 21 .

(2) الاستاذ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ج : 1 : 261 ط : 2 بيروت سنة 1961 .

(3) انظر حديثنا عن (الاسرة اليصلوتية بشمـــال المغرب) بمجلة دعوة الحق العدد : 10 السنة : 19 ص : 41 .

وشاعرنا هذا ترجم له ابن القاضي في جذوة الاقتباس وفي درة الحجال ، فقال عنه ما يلي : « عبد الرحمن ابن الخطيب الزرويلي الشفشاوني ، كان شاعرا هجاء ... » (4)

وقال عنه في درة الحجال : « عبد الرحمن ابن ابي القاسم الشفشاوني ويعرف بابن الخطيب ، كان شاعرا هجاء ، لم يمدح احدا من خلق الله قط ... (5)

وترجم له كذلك العباس بن ابراهيم المراكشي في الاعلام نقلا عن ابن القاضي في الجذوة (5) .

حياتــــه :

يبدو ان شاعرنا عاش حياة مضطربة ، وكان كثير التنقل لا يستقر على حال ، فهو قد ولد ببني زرويل ، وقضى شطرا من حياته بمدينة شفشاون ، ثم قام بالرحلة عبر مدن المغرب وقراه ، فهو بعدما مكث في (القصر الكبير) خرج منه وهو يهجوه ، ويتصح بعدم التعريج عليه ، ثم نجده بمراكش وقد ضاقت نفسه بها ، ويكاد يختنق فيها اختناقا .

عاش صاحبنا في صميم النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، وعاصر عهد احمد المنصور الذهبي الى سنة : (993 هـ / 1585 م) وفي هذه الفترة كان البلاط المغربي بمدينة مراكش يعج بالشعراء والادباء والكتاب والفقهاء والعلماء ... يحجون اليه من مختلف انحاء المغرب ، بل حتى من البلاد البعيدة كمصر ، والشام ، والحجاز ، (6)

ويبدو ان صاحبنا لم تتح له الفرصة للاتصال بالبلاط السعدي او ربما كان هو نفسه لا يبحث عن ذلك ، لان البلاط يبحث عن المداحين او يبحث عنه المداحون ، اما الهجاؤون مثل صاحبنا ، فانهم كانوا يعانون البؤس والحرمان ، وهذا ما يستفاد من قصيدته التي هجا بها مدينة مراكش ، وهي في ايام ازدهارها التاريخي ، وفي ايام شموخ (بديعها) ، وازدهار عمرانها ، وابهة وعظمة جيشها ...

في هذه الفترة بالذات نجد شاعرنا يهجو عاصمة المنصور الذهبي ويصورها من زاويته هو ، لا من زاوية الحاشية ورجال البلاط .

فنراه في هجوه لمدينة مراكش ، يعبر عن قلقه البالغ لوجوده في هذه المدينة ، ويصور بؤسه فيها ، وقتامة الحياة التي يحياها ، بل يتوق الى الخلاص والنزوح عنها . !

ونستغرب من كون مباهج مراكش في عهد المنصور لم تأخذ بلبه ، ولم تستهويه ، بل تراه يصور نفسه فيها وكانه اسير ينتظر الفرج ، ويترقب الفرصة المواتية للبعد عنها ... !!

ويبدو أن صاحبنا ضاق ذرعا بوجوده في مراكش، كما ضاق ذرعا من قبل بوجوده في القصر الكبير .

ويبدو من مقطوعته في هجو مراكش ان بعض اخوانه بهذه المدينة كانوا يعملون على تمديد اقامته بها ، او ان ظروفا خاصة كانت تستدعي تمديد اقامته بها ، ولذلك نراه يبدأ مقطوعته هكذا :

« ما كان ظني وحق الله فرقتكم
لو ان مراكشا كانت تواتيني»

ومهما يكن من امر ، فان صاحبنا عاش حياة قلقة مضطربة ، متنقلا عبر المدن والقرى ، هاجيا هنا وهناك ... وساخطا على الحياة والناس ...

شعـــره :

اورد له ابن القاضي ثلاثة نماذج :
- النموذج الاول في هجو مدينة القصر الكبير بشمال المغرب .

(4) (جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس) ج : 2 : 413 ط دار المنصور الرباط 1974 .

(5) درة الحجال في أسماء الرجال : 3 : 98 ط : القاهرة ، بتحقيق الدكتور محمد الاحمدي أبو النور : سنة 1970 .

(5) (مكرر) الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام : ج : 8 : 112 : المطبعة الملكية بالرباط 1977 .

(6) مناهل الصفا للفشتالي : ط : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والنبوغ المغربي : 1 : 260 .

- والنموذج الثاني في هجو مدينة مراكش ،
- والنموذج الثالث في هجو ابن عسكر .

والنماذج الثلاثة تشهد بقذاعة هجو صاحبنا ، وتدل على انه كان شاعرا هجاء ، له مقدرة في فن الهجاء .

ولاشك ان فن الهجاء الذي تفوق فيه بعض الشعراء كالحطيئة ، وابن الرومي ، وغيرهما ، يعتبر من الناحية الاخلاقية فنا ممجوجا ، الا انه من الناحية الادبية قد يأتي فيه الشاعر بصور بالغة الدقة في الوصف ، خاصة وأن الهجائين يتمتعون بحاسة عجيبة مرهفة الى حد بعيد ، فهم ينظرون الى الاشياء والاشخاص من زاويتهم الخاصة بهم ، ولذلك فهم يأتون باوصاف كثيرا ما تكون باعثة على الضحك ، والاستغراب ، ولعل قصيدة ابن الرومي في هجو اللحية الطويلة العريضة تعد من روائع القطع الفنية في الادب العربي . (7)

ومع ذلك يبقى الهجو فنا ممجوجا الى حد بعيد .

ولعلنا نستطيع ان نقول : ان الهجو يعبر عن نفسية مريضة ، وعن عقد نفسانية مزمنة ، تولدت لدى الشاعر من ظروف قاسية مرت به ، ومن منعطفات في حياته ، جعلته ينظر الى الحياة والناس بالمنظار الاسود القاتم .

فالشاعر الهجاء هو في الحقيقة انسان مريض يعاني من نوع من الشعور بالنقص ، وهو في شتائمه المنظومة الموزونة يحاول ان يقوم بعملية تعويض ، أو بعبارة اخرى يحاول رد الاعتبار .

والشاعر الهجاء يجد في الهجو ميدانا يتنفس فيه ، ولذا فهو يريد ان يهجو ليتنفس ، وقد يهجو أقرب الناس اليه ، او من أسدى اليه معروفا ، او من يعطف عليه ويشفق من حاله ... !! قد يهجو هؤلاء جميعا بل ربما هجا نفسه ، كما فعل الحطيئة في الابيات المشهورة عنه في هجاء نفسه ، !!

وشاعرنا ابن الخطيب الزرويلي الشفشاوني هو احد الشعراء الهجائين في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وهو لا يختلف عن باقي الهجائين الا في كونه لم يمدح أحدا قط ، كما يقول ابن القاضي .!!

ويبدو أن صاحبنا كانت له عدة قصائد في هذا الميدان ، لان ابن القاضي المعاصر له ، يصفه بكونه شاعرا هجاء ، ويتحدث عنه وكان بعض قصائده معروفة ، ومشهورة ، وغير بعيد أن يكون لشاعرنا ديوان كامل في الهجو ، أو له عدة قصائد في هذا المجال ... وقد تكشف الايام عن ذلك .

ومهما يكن من امر ، فان النماذج التي بين ايدينا ، وشهادة المعاصرين له ، تشهد انه أحد الشعراء الهجائين في هذه الفترة .

نماذج من شعره :

جاء في المقطوعة التي يهجو فيها مراكش قوله:

« ما كان ظني وحق الله فرقتكم
لو أن مراكشا كانت تواتيني »

« أظل في نصب مما اكابد من
نفض الغبار ومن طرد الذبابين »

« وطول ليلي في كد وفي تعب
ما بين بق وناموس يناغيني »

« ابيت أحرس فرشي من عقاربها
والقلب في فكر منها وتخمين »

« اذا رأيت سوادا مربي واتى
ظننتها عقربا دبت لتؤذيني »

« لم يبق في الفم ضرس استعديه
أفناه مضغ احصى من ذي الطواحين »

« منوا علي باطلاقي بفضلكم
هذا المجاج يكاد يميتني »

« لم يبق في الكيس فلس استعين به
افنيت مالي في غسل وتصبين » (8)

وهذه المقطوعة في هجاء مراكش نقلها الشيخ العباس بن ابراهيم في الاعلام ، وعقب عليها بقوله :

« قلت لما قرأت هذه الابيات ، أجبته عنها بمدح مراكش في قصيدة على وزن قصيدته ورويها ، مع التشجير بلفظ مراكش المحفوظة بتاريخ 22 صفر الخير عام : 1330 هـ وهي هذه :

(7) انظر : ديوان ابن الرومي .
(8) جذوة الاقتباس : 2 : 413 .

« مراكش البهجة الحمراء تسقيني
بمائها السلسبيل العذب تشفيني »

« راقت لناظرها جناتها وحوت
كل الازاهر من نوع الرياحين »

« رام الحسود لها عيبا فما نفثا
الا بما كان من وحي للشياطين »

« اهل المجادة و لتقوى بها سكنوا
واحمدوها لدى كل الاحايين »

« كل الفضائل في بطحائها اجتمعت
مما يعين على الخيرات والدين »

« شاهقتني الغداة الغراء اذ سكنني
فيها وانجلت في تلك البساتين »

« اسوارها كالحديد في حصانتها
ابراجها قد غدت مثل الاواوين »

« لها مساجد لا تنفك عامرة
بالذكر والعلم في نشر وتلقين »

« ما امها نازح الاوطان مغترب
الاوفاز ، بما يبغيه في الحين »

« حوت قديما كراسي الملك وابتهجت
باواردين من اقصى الغرب للصين »

« واهلها ملئوا عيما ومعرفة
بثوا الصلاح بتذكير وتبيين »

« طارت مناقبهم في كل ناحية
حازوا المعارف في عز وتمكين »

« تمت معارفهم عمت عوارفهم
بهم أرجي المنى مع نيل تاميين » (9)

وبعد ما أورد قصيدته التي عارض بها مقطوعة ابن الخطيب الزرويلي ، قال « وكثيرا ما هجيت المدن مع عظمتها فمن ذلك قول الحصري فيما نسبه اليه ابن دحية :

صاقت بلنسية بي
وذاد عني غموضي

رقص البراغيث فيها
على غناء البعوض » (10)

ثم أتى بأبيات في هجاء (المرية) ، وبأخرى في هجاء (رندة) ثم في هجاء صنعاء ، وأتى بمقطوعة نثرية لابن المعتز يهجو فيها بغداد (11)

وهكذا نرى ان مقطوعة شاعرنا الزرويلي حركت في الشيخ العباس بن ابراهيم ذكريات ، وجعلته ينظم مقطوعة لطيفة في الرد على هجاء مراكش .

اما النموذج الثاني من هجاء شاعرنا ، فهو قوله في هجاء القصر الكبير :

« ارحل من القصر واسمع قول ذي ثقة
ان المقام به ضرب من الحمق

« ان لم تمت في اوان الحر محترقا
لم تنج فيه اوان البرد من غرق » (12)

واذا كان شاعرنا لم يمدح احدا قط ، فلا ينتظر منه ان يقول غير هذا .

اما النموذج الثالث من هجائه ، فبيتان من الشعر اوردهما له ابن القاضي في درة الحجال حيث قال :
« وله يهجو بعضهم – اسمه ابن عسكر » :

« لج ابن عسكر يهجو في الانام وقد
اضحى لهم علما في كل مذموم

« ان قلت ديوثا فاسم ليس ينكره
او قلت بوتي فاخبار بمعلوم » (13)

ووجدت هذين البيتين على هامش (كناشة العلميين) الموجودة بالمكتبة العامة بتطوان ، فقال صاحب الكناشة انهما في ابن عسكر صاحب الدوحة حدث كان يتكلم عنه وعن خصامه مع العلميين بشفشاون (14) .

ومن خلال هذه النماذج اليسيرة التي سجلها ابن القاضي في الدرة ، والجذوة نتبين ان صاحبنا كان سليط اللسان لا يتورع عن التلفظ بالبذيء من الكلام ، ومع هذا نتمنى ان نعثر على نماذج مختلفة من شعره حيث يبدو انه كان شاعرا مطبوعا ، وموهوبا .

---

(9) الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام : 8 : 113 .
(10) نفس المصدر ص : 114 .
(11) نفس المصدر ص : 115 .
(12) درة الحجال : 3 : 99 .
(13) درة الحجال : 3 : 99 .
(14) كناشة العلميين بشفشاون ، المكتبة العامة بتطوان تحت رقم : 656 .

دراسات في الأدب المغربي (٦)

ب: الأوضاع الثقافية والأدبية في عهد المرابطين

للأستاذ عبد الكريم التواتي

.. انه اذا كان في الامكان تسجيل ظواهر متنوعة ومتعددة للحركة الفكرية والثقافية العامة ، في بلاد الاندلس أثناء انضوائها تحت راية المرابطين ، وبعد ان أصبحت مجرد اقليم من اقاليم هذه الامبراطورية المغربية الشاسعة الاطراف المتعددة الاجناس ، من امثال مدرستي ابن رشد وابن ميمون الفلسفيتين اللتين كلتا تتغييان التوفيق بين العقل والدين ، مع ملاحظة أن ابن رشد كان يحاول ذلك بين الفلسفة والاسلام ، بينما حاول ابن ميمون تطبيق ذلك بين الفلسفة والموسوية اليهودية .

.. ومن امثال مدرسة المتصوفين التي كان يتصدرها ويتزعمها ابن العربي والحاتمي وابن سبعين وابن رشد الكبير وابن علي بن حرزهم .

... ومن امثال مدرسة الموسوعيين التي كان من ابرز من يجسمها كل من ابن الصائغ وابن بكر بن باجة الفيلسوف والموسيقي والطبيب ..

اذا كان ذلك ، فان ظاهرتين اثنتين تسترعيان الانتباه فيما يخص اوضاع الثقافة الادبية لعهد هذه الدولة في المغرب :

الاولى أن جل حملة الثقافة والفكر — وفي مختلف الميادين ان لم نقل كلهم — كانوا من اصول اندلسية مولدا ونشأة واقامة او تلقيا او انتماء واصلا مع نفر قليل من سبتة او طنجة او فاس .

والظاهرة الثانية ان المجالات الادبية ، شعرا ونثرا — فيما عدا الترسل — كانت لا تمثل من الحركة الثقافية العامة سوى المرتبة الثانوية ، وقس هذا ايضا بالنسبة للعلوم وللفلسفة ، التي لم تهمل فحسب في هذا العهد ، وانما حوربت واضطهد اصحابها ، وكانوا محط امتحانات عصيبة ، بلغت في عهد علي ابن يوسف بن تاشفين حد ازعاج امثال ابي الحكم ابن برجان الاشبيلي الملقب بغزالي المغرب ، ومثل ابي العباس علي في العريف ، ومثل الميورقي ، ازعاجهم الى النهوض الى مراكش عاصمة المرابطين للمثول امام لجن شكلت خصيصا لمحاكمة الفلاسفة وتأنيبهم او تاديبهم بما فيهم أولئك الذين تهافتوا على تدارس كتب أبي حامد الغزالي بالخصوص كتابه الاحياء .

واذا كان علي بن يوسف — فيما يتحدث عن

التاريخ — قد ندم على ما بدر منه في حق أولئك الفلاسفة ، فان اصول فكرة محاربة ما عدا العلوم الفقهية ، ومبدا المطاردة لمن يشتغل بغير هذه العلوم كانت فكرة مسلمة ومبدا معمولا به لدى الراى العام بما فيه الفئة الحاكمة ، خضوعا لراى الفقهاء الذين كانوا يكونون يومئذ شبه سلطة كهنوتية فيما يخص انواعا من العلوم والافكار .

... ثم بالنسبة للظاهرة الاولى نلاحظ بالخصوص انه حتى كتاب يوسف بن تاشفين كانوا كلهم — وبدون استثناء — من الاندلسيين ، وعلى راسهم ابو بكر بن القصيرة كاتب المعتمد بن عباد سابقا ، ومحمد بن عبد الغفور ، وابو محمد عبد المجيد ابن عبدون صاحب القصيدة المشهورة في رثاء الاندلس وسقوط بني الافطس والتي مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور ؟

.. وابن عبدون هذا قد كتب قبل ذلك للامير سيرين بن ابى بكر بن تاشفين .

.. وكتاب على بن يوسف بن تاشفين هم ايضا اندلسيون ، وفي مقدمتهم ابو عبد الله محمد بن ابى الخصال وابو القاسم بن الجد بن الاحدب ، وابو بكر محمد بن القبطرنة .

ويقول المراكشى صاحب المعجب في هذا الموضوع : « ولم يزل امير المسلمين من اول امارته يستدعى اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس ، وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك »، ثم يقول المراكشى : « فانقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحوله ، حتى اشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم » (1).

وحتى كتاب امراء هذه الدولة والمنتمين لاسرتها هم كذلك من اروقة الاندلسيين ، اذ نجد مثلا ان كاتب ابى بكر ابراهيم المعروف بابن تيفلويت والذى هو صهر على بن يوسف وواليه على تلمسان وسرقسطة ، وكاتب ابراهيم بن يوسف بن تاشفين، والامير عبد الله بن مزدلى ، كانوا كلهم اندلسيين ؛ فقد كتب لابن تيفلويت ابو بكر في باجة وكتب لابراهيم ابن يوسف بن تاشفين الفتح بن خاقان صاحب كتابى المطمح وقلائد العقيان ، وكتب لابن مزدلي الوزير ابو جعفر بن مسعدة .

وكان ابن مزدلى هذا ، بالخصوص ، مقصود مدائح الشعراء ومناط آمالهم ، وكان ابن عطية ابو محمد المفسر والقاضي ممن خصه بمدائحه ، ومن اروع ما قيل فيه قصيدة الوزير ابى عامر بن ارقم ، ومنها :

سريت ، والليل من مسراك في وجل
مبرا العزم من اين ومن كلل
وسرت في جحفل ، يهدى فوارسه
سناك تحت الدجى والعارض الهطل
والبدر محتجب لم تدر انجمه
اغاب عن سرر ام غاب عن خجل
هوت اعاديك من نار يؤرقه
ركض الجواد وحمل اللامة الفضل
اذ الملوك نيام فى مضاجعهم
مستحسنون بهاء الحلى والحلل
لله صومك برا ، يوم فطرهم
وما توخيت من وجه ومن عمل
نحرت فيه الكماة الصيد محتسبا
وحسب غيرك نحر الشاء والابل
اذا سرير المذاكى هزهم طربا
الهاك عنه صرير البيض والاسل
وان ثنتهم عن الاقدام عاذلة
مضيت قدما ولم تاذن الى العذل
كم ضم ذا العيد من لاه به غزل
وانت تنشد اهل اللهو والغزل :
في الخيل والخافقات البيض لى شغل
ليس الصبابة والصهباء من شغلى

ظللت يومك لم تنقع بـه ظمـأ
وظـل رمحـك فى عـل وفى نهـل
وكلما رامت الـروم الفـرار اتـت
مـن كـل اوب وضمنهـا يـد الاجل
فصـار مقبلهم نهبـا ومـدبـرهـم
وسـاد غانمهم مـن جملـة النفـل

وكـم فككت من الاغـلال عـن عنق
وكـم سددت بهذا الفتـح مـن خلل
انت الامير ، الـذى للمجـد همتـه
وللـمـاليـك تـحـمـيـهـا وللـدول
وللـمـواهـب وللـحـظ أنمـلـه
مـا لـم تحـن الى الخطيـة الذبل

.. حتى اذا جئنا نبحث عن ادباء مغاربة اصلاء لم نعثر فى هذه الفترة الا على العدد الضئيل ، من بينهم افراد من الاسرة المالكة ، ففى فاس — وقد كانت العاصمة العلمية حتى لعهد هذه الدولة — لا نجد من الادباء والشعراء حتى من نعدهم على رؤوس الاصـابـع .

على ان من اشـهر ادباء الاسـرة المالكة نجد اثنين فحسب ، ابن تيفلويت ، وام طلحة تميمة بنت يوسف بن تاشفين اخت على .. ومما نسبوه مـن شعر لابن تيفلويت الابيات الآتية التى قالها — فيما زعموا — حين راى على بن يوسف بن تاشفـين يهـز سيفا :

هـززت حسـامـ فشبهتـه
غـديـرا مـن المـاء ، لكن جمد
فلمـا بـدا لـى افـرنـده
لهيبـا مـن النـار ، لكـن خمـد
فلـولا الجمـود ، ولـولا الخمـ
ود لسـال لـدى الهـز او لاتقـد

ونسبوا لام طلحة بيتين يتيمين قالـوا انهـا انشدتهما فى حالها مع كاتب امرت بمحاسبته ، ولما برزت له بهت لروعة جمالها ، وحين فطنت هـى لما عراه اومأت الى نفسها تقول :

هـى الشمس مسكنهـا فى السمـاء
فعـز الفـؤاد عـزاء جميـلا
فلـن تستطيـع اليهـا الصعـودا
ولـن تستطيـع اليـك النـزولا !

اما الادباء المغاربة الاصلاء فلم اعثر من بينهم الا على ثلاثة انفار مع تجاوز فى عدهم من الادباء الشعراء ، وهؤلاء الثلاثة هم : ابن زنباع — وابن القابلة السبتى ، ويحيى بن الزيتونى الفاسى الذى سنفرد له حديثا خاصا

.. وابن زنباع من مواليد القـرن الخـامس الهجرى ، وكل ما تثبته له من آثار مما عثرنا عليه القطعة الشعرية الآتية التى يصف فيها الربيـع ، والتى تلد فيها الاندلسيين مع وصفه للواقع اعتمادا على الصور والحركة لكثر من الاعتماد على الاصباغ والقوالب ، ويبدو على القصيدة تاثر صاحبها بالقرآن والدين عامة ، وقد اورد اصحـاب التراجـم تلك القصيدة على الشكـل الآتى :

ابـدت لنـا الايـام زهـرة طيبهـا
وتسربلـت بنضيـرهـا وقشيبهـا
واهتـز عطف الارض بعـد خشوعها
وبدت بهـا النعمـاء بعـد شحوبها
وتطلعت فى عنفـوان شبـابهـا
مـن بعـد ما بلغت عتـى مشيبهـا
وقفت عليهـا السحب وقفـة راحـم
فبكت لهـا بعيـونهـا وقلوبهـا
فعجبت للازهـار كيف تضاحكـت
ببكـائهـا وتبـشـرت بقطـوبهـا
وتسربلت حلـلا تجـر ذيولهـا
مـن لونهـا فيهـا وشق جيوبهـا
ولقد اجـاد المـزن فى انجادهـا
واجـاد حـر الشمس فـى تربيبهـا

ما اتصف الخيرى يمنع طيبه
لحضورها ، ويهيجه لمغيبها

وهى التى قامت عليه بدنها
وتعاهدته بدرها وحليبها

فكأنه فرض عليه مؤقت
ووجوبه متعلق بوجوبها

وعلى سماء الياسمين كواكب
ابدت ذكاء العجز عن تغييبها

فادر كؤوس الانس فى حافاتها
واجمل سعيد القول فى مشروبها

تحديث اخوان الصفاء لذاذة
تجنى ويؤمن من جناية حوبها

واركض الى اللذات فى ميداتها
واسبق لسد ثغورها ودروبها

اعريت خيلك صيفها وخريفها
وشتاءها ، هذا اوان ركوبها

اولا ترى الازهار ما من زهرة
الا وقد ركبت فقار قضيبها

والطير قد خنقت على افنانها
تلقى فنون الشدو فى اسلوبها

تشدو فتهتز الغصون كأنما
حركاتها رقص على تطريبها

اما ابن القابلة السبتى ابو محمد عبد الله بن هارون فقد ترجم له صاحب الذخيرة . وذكر ابن سعيد المغربى انه من شعراء القرن الخامس ، كما ذكره ابن دحية فى كتابه المطرب من اشعار المغرب ، وابن القابلة هذا ، ليس هو ابن القابلة الآخر المدعو محمد بن يحيى الشلطيشى المذكورة اقرباؤه فى الصلة وصلة الصلة لابن بشكوال ، ومما نسبوه لابن القابلة الذى نعنيه من شعر قوله يتغزل :

ووجه غزال راق حسنا أديمه
يرى الصب فيه وجهه حين يبصر

تعرض لي عند اللقاء به رشا
تكاد الحميا من محياه تقطر

ولم يتعرض كى أراه وانما
اراد يريفى ان وجهى اصفر

وفى هذا المناخ الذى يسجل فيه هذا النضوب الذى تشكو منه الحياة الادبية تشاهد خصوبة عظيمة متزايدة فى ميدان العلوم الشريعية والدينية ، وخاصة علوم الفقه المالكى الذى بذلت محاولات فرديه مهمه من طرف بعض العلماء لحمل الدولة المغربية على فرض هذا المذهب اواسط القرن الرابع ، وقبل ظهور المرابطين بزمن كثير ، والى الدرجة التى اصبح معها عدد من افراد البيت المالك يتخرجون فى علوم الحديث والسنة بل ويتبوأون فيهما مراكز كراسى التلقين ويتصدرون كراسى التدريس حتى فى الاندلس.

فهذا ميمون بن ياسين الذى كان سمع اثناء حجه سنة 497 هـ صحيح البخارى من سماع ابى مكتوم عن ابى ذر الهروى عن اسحاق المستملى ، كما سمع من ابى عبد الله الطبرى صحيح مسلم ، يتصدى للتلقين مسموعاته . . والامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الملقب بابن تعيشت يقوم هو الآخر بنفس الدور ، وعن طريقه تروى كلمة الرسول عليه السلام التى قال فيها : « لا يلقى مسلم مسلما فيبش به ويرحب به ويأخذ بيده الا تناثرت الذنوب بينهما كما يتناثر ورق الشجر اليابس »

ومثل ذلك ابن تقسوط زاوى بن مناد فى كثرة السماع والاخذ عن جلة العلماء كابى الصدفى ، ثم فى لقيام بدور التدريس والتلقين .

وبلغ الاهتمام بالفقهيات المالكية ان تجاوز عدد المشتغلين بها وبعلوم القراءات والحديث والتصوف والكلام المئات بينما لم يتجاوز غيرهم ممن يشتغلون بالطب والرياضيات والادب رؤوس الاصابع ، وحتى ان صاحب النبوغ المغربى ـــ فيما اعتاده من اتيان

مجرد لاهم مؤلفات كل عصر من عصور الادب المغربي عبر اطواره ، عندما أورد اسم عشرين مؤلفا مما وضع في هذا العهد كان ثمانية عشر منها في علوم الفقه والديانات ، وكان المؤلفان الباقيان ديوانى خطب واحد لمروان بن سمجون الطنجى والاخر للقاضي عياض (2) .

واذا نحن ذهبنا نتساءل عن السبب او الاسباب التى اصابت الساحة الادبية في مغرب المرابطين بالمحل والنضوب لم تجد اسبابا طبيعية تعود الى المناخ او جذب الارض من دواعى التغنى بالطبيعة وتملى مختلف مظاهرها : فهنالك الجنان والبساتين المزهرة ، وهنالك الجداول والانهار المتدفقة ، وهنالك الشلالات ، وهنالك جبال الاطلس المجللة قممها بالثلوج على طول السنة ، وهنالك الشطان والبحار وهنالك الجمال المغربي الاطلسي الفتان الاخاذ ، وهنالك كل ما يجعل الحياة اغنية دائمة وانشودة مرتصة وشعرا رقراقا ، كما أن ليس هنالك شيء يعود الى تكوين الانسان المغربي يعوقه عن ارتياد ميادين الادب والثقافة الانسانية العامة ، فالانسان المغربي ذو احساس مرهف وذكاء وقاد حاد ، وكرم منعدم النظير ، وهو ذواقة لكل ما هو جميل ، وهو متعلق بكل ساحر اخاذ ، ونظرة واحدة الى فنون العمران والزخرفة والموسيقى والرقص الشعبي الفولكلورى والاعتناء بالجنان والحدائق والرياض تكفى للتدليل على ان الانسان المغربي لا تتجافى طباعه عن فنون الادب والشعر ومجاملاتهما ، فاذن ما هو السبب فيما امتازت به الحياة الادبية من محل ونضوب لعهد المرابطين ؟ لقد فكرت طويلا علني اقف على هذا الشيء الذى حال دون قيام لسوق ادبية لهذا العهد ، ولقد انتهيت اخيرا الى الاسباب التالية، وقد تكون هنالك اشياء اخرى غابت عنى انا آمل ان يتوصل اليها الباحثون والمنقبون والدارسون ، اما هذه الاسباب في نظرى فهى :

اولا ميلان المؤسس العملى لدولة المرابطين اعنى عبد الله بن ياسين الى علوم الفقه والدين اكثر من ميلانه الى سواهما من العلوم ، الشيء الذى حمل اللمتونيين الى تولى مراكز الدولة، وتسلم مراتبها العليا يهتمون بما يظهرهم في عين صاحب الامر ، اهلا لتحمل المسؤولية ، والاشراف على توجيه الحركة السياسية الى ما يحقق اهدافها ، وهكذا رجحت كفة الفقهاء على كفة سواهم ، واصبح النظر الى ارائهم ومواقفهم تجاه الاشياء كلها يتخذ صبغة التقديس والاحترام والامتثال حتى انه عندما وصل كتاب الاحياء للغزالى الى المغرب ورأى فيه الفقهاء مالا يتفق ووجهة نظرهم ولم تستسغه فهومهم الدينية لايامئذ لم يتورعوا عن اصدار قرار قاطع بحظر تداول هذا الكتاب ويمنع ترويجه مما حمل الدولة ازاء موقف الفقهاء منه — ومسايرة منها لهم — على اصدار امر رسمى لا يمنع الكتاب وتداوله فحسب ، ولكن بتحريقه وابتلافه .

وزادت دعائم الفقهاء توطيدا عند ما تقيدت الدولة في سياسة اسناد مراكزها العليا لخصوص الفقهاء فكان ذلك دون شك ، مما صرف الناس عن الاهتمام بالادب والشعر وحفزهم الى الاقبال على علوم الفقه واصوله وعلم الكلام وبحوثه ، وعلوم القرآن والقراءات ومناقشتهما ، وعلوم الحديث رواية ودراية ، حتى انهم ليتحدثون بأن مالكا بن وهب لم يتربع على كرسى وزارة على بن يوسف حتى ارتدى مسوح الفقهاء .

ويصف المراكشى صاحب المعجب ولوع على بالفقه والفقهاء فيقول : « واشتد ايثاره لاهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع امرا في جميع مملكته دون

(2) النبوغ ج 1 ص 94 .

مشاورة الفقهاء ، فكان اذا ولى احدا من قضاته كان فيما يعهد اليه ان لا يقطع امرا ولا يبت حكومة فى صغيرة ولا كبيرة من شؤون الحياة والناس الا بمحضر اربعة من الفقهاء ، فبلغ الفقهاء فى ايامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله فى الصدر الاول من فتح الاندلس ، فعظم امر الفقهاء وانصرفت وجوه الناس اليهم ، فكثرت لذلك اموالهم واتسعت مكاسبهم " ثم أورد المراكشى بكلمات معبرة ـ كدليل على حنق الادباء والشعراء على ما خص به الفقهاء من حظوة وما نالوه من شفوف ابيات ابى جعفر احمد بن محمد المعروف بابن البنين وكان من اهل مدينة جيان ، والتى يقول فيها ، تعريضا بقيدوم الفقهاء ليومئذ القاضى ابى عبد الله محمد بن حمدين قاضى قرطبة :

اهل الرياء لبستم ناموسكم
كالذئب ادلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك
وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب الدواب باشهب
وباصبغ صنعت لكم فى العالم (3)

وورد المقرى فى نفح الطيب لهذا الشعر فى نفس المعنى ابياتا اخرى يقول فيها :

قل للامام سنا الائمة مالك
نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من امام ماجد
قد كنت راعيك فنعم الراعى
ومضيت محمود النقيبة طاهرا
وتركتنا قنصا لشر سباع
اكلوا بك الدنيا وانت بمعزل
طاوى الحشا ، متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة
ماذا رفعت به من الاوضاع ! (4)

وقد ادى تخلى المغاربة فى عهد المرابطين عما سوى المغلق من علوم الفقه والدين الى انهم عند ما دعوا الى مناظرة المهدى بن تومرت الذى كان احضر امام على بن يوسف لدحض ما نسبت اليه من اقوال فلسفية تناقض الدين فى مفهوم أولئك الفقهاء ولا تساوقه ، لم يجدوا من بين الذين حضروا المناظرة من يحاجج ابن تومرت سوى الوزير مالك بن وهيب ، قال المراكشى يصف الحادثة : « .. فلما دخلها ـ اى ابن تومرت ـ احضر بين يديه وجمع له الفقهاء للمناظرة ، فلم يكن فيهم من يعرف ما يقول حاشا رجل من اهل الاندلس اسمه مالك بن وهيب ، فقد شارك فى جميع العلوم الا انه كان لا يظهر الا ما يتفق فى ذلك الزمان » (5) .

ثانيا ، نشأة الدولة : قد قامت اساسا على مبدأ الدعوة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحفيظ القرآن ، وتعلم الحلال والحرام ... ونشأة كهذه تقتضى التقشف والزهد فى مظاهر الحياة اللاهية، وتقتضى عدم الخوض بل الابتعاد عن مناحى الحضارة والرفاهة ، ولا تدع لمعتنقيها مجالا يوجهون اليه بعض عنايتهم اللازمة لطرق ابواب الادب والشعر ، والاشتغال بما يعد بعيدا عن الجدية والصرامة ..

والمجالات الشعرية والادبية انما تزدهر فى الغالب ، حيث الحضارة الزاهرة وربما حيث الاخلاق الماجنة والفوضى الاخلاقية وانعدام المسؤولية الواعية، الا عندما يتحول الشعر الى التزامية مذهبية ويصبح سلاحا من اسلحة التوحد او الانتقاد كما يحاول شعراء العصر الحديث ان يحصروا مجال الشعر فى

---

(3) المعجب ص 171 .
(4) نفح الطيب ج 4 ص 411 طبعة مصر .
(5) المعجب للمراكشى ص 187 .

خصوص هذا الجانب الالتزامى اولا ، فهو عندهم شعر ترف لا مبرر له وليست له قيمة او مضمون

وظهور بعض النوابغ فى الاندلس — فى هذا العهد — لم يكن وليد الوجود المرابطى بقدر ما هو استمرار وتواصل للحركة الادبية التى صاحبت الوجود العربى فى الاندلس ، وما نالته من تشجيع على يد الامراء الامويين ، او وجدته من دواعى وادب فى غفلة عن الحكام ، ولم يكن الوجود المرابطى ساهم فى تشجيع اولئك الشوامخ على المضى فى دروبهم لاداء رسالتهم وبالاخص حين استقدمهم اولئك المرابطون الى حضرتهم ، وزينوا بهم مجالسهم وقصورهم ، واتخذوا منهم الحاشية الخاصة والبطانة المحظوظة وخاروا منهم الكتبة والوزراء ثم اغدقوا عليهم وافر النعمة وجميل الاستقبال .

ويضاف الى نشاة المرابطين الدينية ما صحبها من اهتمام خاص بالطبقات الشعبية المدعوة بحرارة اولا وبالذات — لمساندة الحركة الاصلاحية التى كانت تبنها الدولة الناشئة وتسعى جاهدة لتثبيت اركانها ، هذه الطبقة يغلب عليها — وربما فى كل زمان ومكان — البساطة والسذاجة ، ومحصولها اللغوى لا يتجاوز البربرية يومئذ او العربية الدارجة كما يقال ، ثم هى موجودة فى هذه القرية المشحونة مناخيا بالتاهب للحرب والاستعداد لكل التحديات ، وكل ذلك ما كان ليوجد التربة الخصبة الصالحة لانبات شجرتى الشعر والادب .

ثالثا : بساطة حصيلة قيدوم المرابطين ابى يوسف بن تاشفين من اللغة العربية الفصحى ذات التعبير الفنى ، وعدم تمكنه منها التمكن الذى يحمله على الزامها الآخرين واعتبارها وحدها مجال التفريخ الحضارى لوجود دولته ، ولعل هذا هو الذى جعله يهتم بخصوص الحروب فى حياته او فى معظمها على الاقل

واذا كنا نحن لا نستطيع ان نساير باطلاق راى القائلين بجهل ابن تاشفين تماما للعربية ، فانا من جهة اخرى لا نستطيع ان نعتبر تقرير ابن تاشفين للغة العربية على انها لغة رسمية اداريا ، كما لا يمكن ان نعتبر مجرد سماع ابن تاشفين لقصائد مادحية او ارد المنسوب اليه على رسالة الادفونش السادس فى وقعة الزلاقة ، والذى صيغ فى اسلوب التوقيعات كما لا يمكن ان نعتبر ايضا وصفه لجزيرة الاندلس بتلك العبارات الوصفية المنسوبة اليه والتى جاء فيها حسب تعبير المؤرخين « شبه بلاد الاندلس بعقاب راسه طليطلة ، ومنقاره قلعة رباح ، وصدره جيان ، ومخاليه غرناطة ، وجناحه الايمن بلاد المغرب ، وجناحه الايسر بلاد الشرق » .

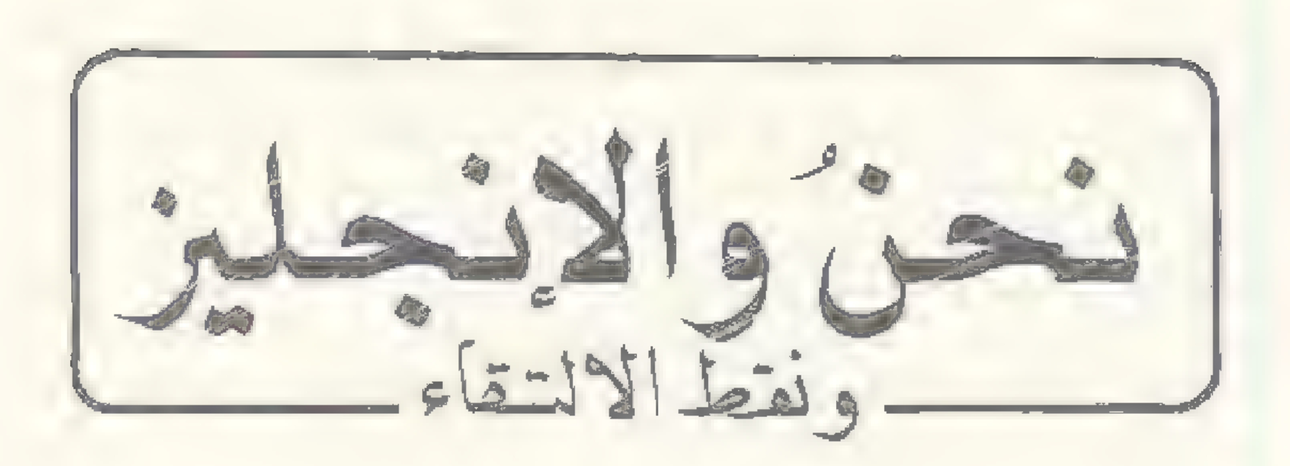
ان نعتبر من ذلك دليلا على تمكن يوسف بن تاشفين من اللغة العربية الفصحى ، اذ لا دليل محسوس يؤكد ان وصف ابن تاشفين لبلاد الاندلس كان صدر منه بالعربى الفصيح ، مع العلم بان الافكار والمعانى ووسائل التعبير ليست وقفا على الاوضاع الثقافية لعهد المرابطين او وقفا على هذه الامة دون تلك او على هذه الطائفة من الناس دون الاخرى ، ولا على هذه اللغة دون سواها ؛ خاصة لدينا نحن ابناء القرن العشرين الذى نشاهد ونسمع ونحس ان العقل والادراك قائم مشترك بين جميع من انعم الله عليهم بهما ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان تقرير اللغة العربية رسميا كلغة الادارة والمراسلات انما كانت اولا رمزا لنشاة الدولة القائمة على القرآن والحديث ، وقطعا لا يمكن لحماة القرآن والحديث ان يجفوا اللغة التى نزل بها القرآن ، مع القطع بان معانيه اى القرآن لا تفهم الفهم الجيد بدون فهم لهذه اللغة ، واننا ليس فى المؤكد ان لغة المراسلات كانت من اللغة الفنية المستعملة عبر عصور تاريخ اللغة العربية لغة الشعر والادب .

ومن هنا رأينا كيف اقتصر تعليمهم من العربية وبالدرجة الاولى على ما يسمى بالعلوم الآلية اى القواعد : نحوية وصرفية وبلاغية ، ثم ما يوضح العقائد وشرائع الدين او يعين على فهمها ونحن لا نعثر فى هذا العصر على دراسات أدبية مستفيضة حتى فى الكتب التى وضعت تحت هذا الشعار ، وانما تأتى على شكل كتب الجاحظ والمبرد وأبى على القالى .

ولكن مع كل ذلك فبادر الى القول بان مناقشتنا هذه ليس معناها ان المرابطين ولوا ظهورهم للعربية او وضعوها جانبا وجبى آذانهم ، فان كثيرين منهم ، وقد اومأنا الى بعضهم سابقا ، اهتموا بخصوص المفاهيم الادبية لذلك العصر وكانوا من ابرز رجالاتها مثل تميم وعلى ابنى يوسف ، ومثل افراد من اسرة ابن الحاج .

كما ان الحركة الثقافية والفكرية على وجه العموم شهدت فى عهد هذه الدولة ، وخاصة فى الاندلس ، نشاطا عظيما وعملا دائبا تجلى فى نبوغ رجال تلك المدارس التى اشرنا لبعضها فيما مضى ، كما تجلت فى تشجيع حركة تنقل الطلبة ورجال العلم بين مختلف الاصقاع والاقاليم التى كانت تحت نفوذهم مما اعان على خلق شخصيات فذة من امثال القاضى عياض وابراهيم بن جعفر اللواتى ، وابى عبد الله التميمى ، وعبد الله بن سعيد الوجدى ، وعيسى الملجوم ، واحمد بن الحطيئة ، وعلى بن حرزهم وابى القاسم المعافرى .

ثم يتجلى اهتمام هذه الدولة ايضا بالثقافة فى تشجيعها المادى والادبى لكل الذين ابدوا بوادر طيبة للاهتمام بالعلم والفكر ، ولكن دون أن يتجاوز ذلك الى طور انشاء المدارس الخاصة لرجال العلم وطلبته كما سنرى ذلك فى عهد الموحدين ممن جاءوا بعدهم ووجهوا الحياة فى هذه الارض الطيبة المعطاء .



للأستاذة ليلى أبوزيد

يعتقد الانجليز ان المغرب يقع فى امريكا اللاتينية وان سكانه بدو يعيشون فى الخيام ويقتاتون بالتمر ولبن الابل . وهى صورة اليفة عندهم يصيبهم تصحيحها بالخيبة . وقد وجدت بعجب عجاب ان المغاربة فى اعتقادهم شعب من الشعوب الزنجية وارجعت ذلك الى موقع المغرب فى القارة الافريقية حتى عثرت على تفسير معقول آخر فى كتاب The Moors للباحث الاجتماعى الانجليزى ماكينز . ومفاده ان التصور الانجليزى للمغاربة يأتى من خلال عطيل ، مغربى البندقية الذى لا يمثل المغربى الاصيل بل يعد زنجيا فى واقع الامر وان الخطأ شاع فى عصر شكسبير وانطلى عليه حتى انه ساهم بشخصية عطيل فى تثبيته على غرار الشاعر مارلو الذى كان يقول عن المغاربة « انهم سود كالفحم » ومن ثمة تداول الانجليز المثل الذى ما يزال موجودا بينهم Black a Moor ومعناه اسود مثل مغربى .

كنت ابذل قصارى الجهد لتوضيح ان المغاربة بيض البشرة برغم انف عطيل لانهم من سلالة عربية بربرية ، وان البربر ليسوا بيضا وحسب بل هم شقر بعيون زرق كأنهم نزلوا لتوهم من الدانمارك وان كانت شقرتهم مشربة بلفح الشمس فى الجبال ، وان العناصر السوداء فى المغرب اصلها افريقى مثل كناوة الذين جيء بهم من غينيا (1) كما يدل اسمهم، وان هناك عنصر هى نتاج اختلاط السلالة البربرية والافريقية مثل دراوة الذين انطلقوا من وادى درعة كما يدل اسمهم مرة اخرى (2) .

ولما كان الخطأ لا ينفك يتكرر والشرح يطول فقد كنت كثيرا ما استغنى عنه واقول : « تبا لانجليزكم يلتصقون بالافكار البالية » .

ويزيد ماكينز فى شرحه ان ما ساعد على اثبات الخطأ ما كان يشاهده الرحالة الانجليز فى المغرب من تمتع العبيد بوضعية اجتماعية جيدة نقلوا اخبارها

(1) (2) هذا الاستنتاج راجع لماكينز الاجتماعى الانكليزي الذي عاش فى اواخر القرن 19 وبداية القرن العشرين .

الى بلادهم فتوهم الناس ان هؤلاء الزنوج احرار وان المغاربة بالتالى زنوج .

وقد وجدت فى كتاب ماكينز هذا تحليلا طريفا آخر لاصل التسمية التى عرف بها المغرب فى اللغات الاوروبية والتى تعود الى كلمة Marruecos الاسبانية المأخوذة من مراكش وهو الاسم الذى عرف به المغرب فى المشرق الى حين . ولما كان اسبان الاندلس لا ينطقون حرف ك فى آخر الكلمات فقد اخذها الانجليز عنهم وحرفوها الى Marocco ثم Morocco بينما اختصرها الفرنسيون الى Maroc واخذت أمم اخرى اللفظة « الانجليزية بكتابات مغايرة.

اما كلمة Moro او .. او Maure فقد جاءت بدورها من Marruecos للدلالة أصلا ليس على سكان المغرب وحدهم وانما على كل العرب لان المغاربة هم اول من عرف الاسبانيون من العرب ثم شاعت اللفظة على يد البحارة الاسبانيين والبرتغاليين الذين أوصلوها الى الهند وسيلان وماليزيا . وما زال مسلمو ماليزيا يعرفون الى اليوم ب Moor Men رغم انهم من أصل عربي ولا علاقة لهم بالمغرب على غرار قبائل الهنود الحمر فى امريكا الذين سموا هنودا وهم أبعد ما يكونون عن الهند .

فيما عدا عطيل سئلت عن نقط الالتقاء بين الانجليز والمغاربة ورأيت لاول وهلة ان السؤال فى غير محله . اذ فيما يمكن أن يلتقيا ؟

فى الطباع ؟ او فى السلوك ؟ أو فى العقلية ؟ او فى العادات ؟.

ووجدت انهما لا يلتقيان الا فى المكانة التى يحتلها لديهما شرب الشاى .

فى انجلترا لن يحول بين الانجليزى وكوب شايه حائل . وهم يخصصون له موعدا فى الخامسة مساء . وشاى الخامسة يصحب بالحلويات ويعد من الشعائر التقليدية عند بعض الاسر العريقة . وتقدمه هذه الاسر فى أوانى الفضة الخالصة وضروب من الطقوس . وهناك قاعات الشاى العمومية التى تفتح فى الموعد المقدس ويعد ارتيادها سلوكا اجتماعيا له متعة . وانت ان زرت لندن ولم تر هذه القاعات ، لم تر شيئا .

وعتاد الشاى عندهم مجال للابداع والخلق ، لهذا يعد رواق الفضة من درر لندن الفريدة . وهو رواق يضم مجموعة من الدكاكين تبيع عتاد الشاى المصنوع من الفضة التى لم تخلط بمعدن آخر .

وفى المغرب كان بامكان البدوى أن يعيش دون اللوازم كلها باستثناء ثلاثة أشياء : الخيمة والبندقية وكاس الشاى . وما زلنا الى اليوم لا نكل من احتساء الشاى طول النهار .

على انه اذا كان الانجليز يشربون الشاى صرفا فنحن ، برغم التسمية نشرب النعناع فى واقع الامر ، ونعمد احيانا الى تعطيره بورق الورد وماء زهر البرتقال والليمون وأنواع من النباتات العابقة(*)

وعلى غرار الانجليز نفرغ عبقريتنا فى اعداده كما نفرغ اصالتنا فى صنع اوانيه ونفرح بجلساته التى تصل بسكان المناطق الصحراوية الى حد الانتشاء .

التشابه اذن قائم فى هذه النقطة بيننا وبين الانجليز .

ولكن لماذا وكيف ؟ .

بحثت عن الجواب فوجدته فى كون الشاى الذى دخل

(*) كان المغاربة قبل 1854 يشربون النعناع او الشيبة لانهم لم يكونوا قد اكتشفوا الشاى بعد عن André Launoy فى كتابه Morocco صفحة 57 .

الى المغرب على يد الانجليز بالذات وهذه تفاصيل الحكاية كما ترويها كتب الاجتماعيين :

في 1854 ادت حرب كريميا الى اغلاق منفذ بحر البلطيك وحالت دون وصول سفن الشاى الانجليزية الى اسواقها المعتادة فالزم اصحاب البضاعة بتفريغها في ميناءي طنجة والصويرة ريثما يدبرون امرها ثم بدا لهم ان يكون المغرب هو البديل لسوقهم التقليدية .

ولان المغاربة لم يكونوا يعرفون الشاى . قرروا أن يعرفوهم به وبدأوا حملة لتعميمه فانتشرت الموضة من طنجة في الشمال والصويرة في الجنوب وزحفت على البلاد بأسرها (*) .

وفي اعقاب تجار الشاى جاء من منشيستر رجل يدعى ريتشارد رايت وهو صناعي يختص في اواني الشاى الفضية التى تحمل اسمه . جاء ليقدم منتوجاته ويخبر ان المشروب شعبي، نعم، ولكن هذا لا يفرض أن يتجرع بابتذال بل ان له قواعد واصولا وانتشرت اواني رايت بين الاثرياء واصبحت من سمات المجتمعات المتمدنة . وما زالت بعض الاسر تحتفظ بها وما زالت ادوات الشاى المصنوعة من الفضة الخالصة تعرف بين المغاربة « بالرايد » وهو تحريف لاسم صناعي مانشستر

(*) كتاب André Launay Morocco ص 57 .

إقرأ في العدد القادم

دلالات الروافد المحورية في "اليد السفلى"

للاستاذ مصطفى بوهلال
(تونس)

الدكتور محمد عبده يماني ، علامة بارزة في الحياة الثقافية بالمملكة العربية السعودية ، ذلك انه يشرف — حاليا — على دواليب وزارة الاعلام ببلده، من ناحية ، كما ويساهم في اثراء انشطة المعرفة ، بالكتابة المتزنة في مجالات مختلفة من ساحة الوعي الانساني ، ومنها الميدان القصصي (1) .

وقبل ان الامس مضامينه القصصية ، اود استكشاف ركائز رؤيته ، في تعميق الادراك الذهني، والاحساس الروحي ، بغية النهوض بانسان العصر، وانك لواجد الكاتب ، حاملا قلمه ، لا لتكلف الترف الفكري والتسلي) او الانسياق في (تيار ايديولوجي ما) بل هو يرفعه ارضاء (لالحاح الفكرة) وتلبية عفوية (لمخاض المعاناة) (2) وتبعا لذلك ، تصدر الكتابة ، عند الاستاذ يماني ، انبجاسا من معين (توظيف الكلمة للخير والحق والعدل) (3)

ومن ثمه ، وازاء عالم (مليء بالتيارات والضلالات ، وبه ما فيه من بصيص خير ، ولكن ماديات الحياة تطغى عليه وتدفع بالحياة الانسانية الى الوان مختلفة من الشقاء) (4) بين النور ، نور الكلمة المسؤولة ، تتوجه الهمة نحو المساهمة (في تخفيف آلام الانسانية بتقديم المثل الطيب الصادق والقدوة الحسنة) (5) .

صدورا من هاته العمد ، تتصدر (اليد السفلى) ككتابة متقومة بما سبق ، وكتعبير متخرب لشرائط الصدق والواقعية ..

*

(1) (اليد السفلى) مجموعة قصصية للدكتور محمد عبده يماني ، صدرت طبعتها الاولى سنة 1399 هـ 1979 م ، عن (المطابع الاهلية بالرياض) في 309 صفحة .
(2) انظر مقدمة (اليد السفلى) .
(3) دليل الوفود الاعلامية للحج ، د . محمد عبده يماني صفحة 6 .
(4) و (5) نفس المرجع ، ص 7 .

(اليد السفلى) خلق قصصي ، من نتاج الادب العربى المعاصر فى السعودية ، تقطى قصته الاولى — وهى بهذا العنوان ، عنوان المجموعة — مساحة 130 صفحة صقيلة ، مضافة اليها رسوم فنية بارعة (6) ·

تعالج القصة محورا طريفا هو (كفالة خادم شاب ، ضمن اسرة بها فتاة) الى جانب ما تبسطه — اثناء حركة شخوصها — من مشاغل اجتماعية ، وهموم حضارية ، ومسارب سلوكية .. فى مساحة مكانية هى البقاع المقدسة ، وعلى امتداد فسحة زمانية هى ما بعد الثلاثينات من القرن العشرين ·

وتراني مستعرضا شخصيات القصة ، لمصادرة المواقف والابعاد ، ذلك ان احمد طفل يلقى به والده القروى المعدم فى خضم (سوق الشغل) بمكه ، فيعمل متنقلا من اسرة لاسرة ، الى ان يبلغ به المطاف الى بيت عريق — علما وثروة — فيخلص له الخدمة ، مما دفع بصاحبه الى احاطته بالرعاية المثلى حيث ارسله الى المدارس ، ثم الجامعة ، فيتخرج طبيبا .. انما الخيط الممدود ، كمؤشر يشدنا باتجاه العقدة دوما — هو الحب ! حب احمد لعزيزة ، كريمة مخدوميه ..

ولعلك سائل ، فى شيء من الامتعاض ، اى حب تعنى ؟ اهو المفارقة المادية ؟ وعشق اليافعين اللا اسوياء .. ؟ هنا تتحدد وجهة « توظيف الكلمة » وتتجمع ملامح التصور ، وانت تحاصر هذا الاثر وترصد صاحبه ؛ تفتيشا عن دلائل التقويم ..

ان « عيضة » — والد احمد — مثال للاب الفلاح الذى لا تشغله مصاعب السعى لتوفير الغذاء عن توفير التربية القويمة لهم ايضا .. فقد مكن أحمد النافع ، واللباس اللائق ، لافراد عائلته العديدين ، من فرصة التعلم بالقرية ، فى الكتاب ، كما نفث فيه من روحه الاسلامية الطاهرة ، كلما سنحت له الفرصة بذلك · قال الطفل احمد :

(وانتبهت من خواطرى على صوت ابى وهو يقول لى :

— هيا بنا للطواف تحية المسجد ..

ودهشت لقول ابى هذا ، فلقد تعلمت من قبل ان تحية المسجد — اى مسجد — هى ان نصلى ركعتين عند دخولنا اليه ...

وقلت ذلك لابى ، فابتسم فى عطف وهو يجيبنى :

— هذا صحيح يا احمد .. ان تحية المسجد هى ان نصلى فيه ركعتين اما تحية البيت الحرام فهى الطواف ...) (7)

وتراه — مخطرا اخاك لا بطل — حين يدفع بابنه الى (باقيس) صديقه بمكة ، ليبحث له عن عمل بمنزل ما . فيقفز بذهنك التساؤل التالى : اليس فى هذا طغيان تنير المادة ، واهمال لحق الطفولة ؟ لكن الحدة ، ستتلاشى بعد سماعك هذا الحوار : (— انك اكبر اخوانك يا احمد .. واكثرهم فهما ووعيا .. واحسب ان حالنا لا تخفاك بصورة لا اجد معها داعيا لان اشرحها لك او ازيدك عنها ايضاحا ...) (8)

وتشير شخصية « باقيس » — الوسيط لاحمد فى الشغل — الى شهامة الصداقة ، ونقاء التعارف ، وتقدير الامانة .. فهو لم يشأ ان يقيم علاقته باحمد — وهو التاجر — على اساس « النظرة التجارية »

(6) ثانية التقصص بالمجموعة وآخرها : « مشرد بلا خطيئة » اؤجل النظر فيها الى فرصة قادمة ·
(7) اليد السفلى ، ص 14 ·
(8) اليد السفلى ، ص 20 ·

انما حرص — عظيم الحرص — على وضع الطفل موضع امين

وفى موقع مغاير تماما ، ينهض « صلاح » كرائع للواء الطبقية الاجتماعية القائمة على الاحتقار، والرغبة فى الايلام ، والانانية .

اما الشيخ « عبد الحميد » فمثال المثقف المثالى ، والمؤمن الاتقى ، ذلك ان المادة لم تخلق فجوة بين مسلكه العلمى — كمدرس علم بالحرم — وبين تعامله مع خدمه ، كرجل موسر ، بمعنى ثان : لم يترك الشيخ عبد الحميد اى انتقاد يوجه اليه من خلال :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك اذا فعلت عظيم

لذا كنت تجده حانيا رفيقا ، راعيا لوحيدته عزيزة ولخادمه الطفل ثم الشاب احمد .

من زاوية اخرى — وهذه صورة ثانية للعالم الملتزم — فكما يشن بالحرم المكى حملاته الشعواء ضد الجهل ، نراه ايضا يوجه عناية قصوى لرفع الامية من احمد ، بل قل ، ولتخريجه عالما صالحا .

ومن هذا الشعور ، لك ان تؤكد على «انسانية» عبد الحميد و « علميته » و « خلوص اسلامه » .

ومن شخصيات القصة ، تعترضك الخادمة الدادة جمعة ، فتثير فى لفتات بعدا اسلاميا آخر الا وهو السعى بين الآخرين بالحسنى ، على اساس السمو ، والحفاظ على الاعراض ، فذلك ادعى لرسوخ البيوت ، واذهب لحبائل الشيطان .. الدادة جمعة لم تستثمر ما بان لها من علائق المودة ، بين احمد وعزيزة ، ولم تستغلها — لفائدتها المشبوه فيها — كما تفعل عجائز السوء ، حمالات الحطب .

ان القاص الاستاذ يمانى ، يتجول بنا ، بين شخوص حققت لذاتها اسباب التوافق الاجتماعى، ولن تكون غير الاخلاق العربية الفضلى ، والمبادىء الاسلامية العالية ، كالتعاون ، ومراعاة حق الجار وذوى النعمة ، والبذل السخى للغير دونما جزاء او شكور ، والاخلاص فى العمل ، والايثار ، وتقوى الله والالتجاء اليه .. تتجلى هاته المعانى حين مراقبة الادوار الموزعة بحكام ، على شخصيات ثانوية بالقصة — بالاضافة الى الرئيسية بها — امثال : النجار تحسين ، وعبد الرزاق الموظف السامى بوزارة النعيم ، والطبيب .

وتبدو عزيزة — من مجموعة الشخوص — الفتاة المتعلمة ، صورة لوالدها ، فى حسن التصرف والتكيف مع البيئة . ذلك ان الوالد لم تطلق لابنتها الحبل على الغارب ، كما ولم تستدع عوامل الكبت لتضييق الخناق عليها ، بل سلحها بالادب الراقى ، والمعرفة اللائقة ولم يقف سدا منيعا يتحدى بعنف الحوار المشروع بين الفتى والفتاة ، وغير عجيب اذن ، ان تلتزم الحدود ، ولا نظن ان عزيزة مجردة من الاحساسات العطفية ، فقد بلغت بها الميول حدا اطاح بالتقلب على فراش الوهن ، بل سلطت الارادة على قمع النزوات حتى يحين الاوان ، وعقلت من الاهتزازات ، كى لا تسرع بها نحو الاتصال الجسدى ، فهى رمز المحبة العفيفة ، والامل الباسم، والتفاؤل العريض ، وحرب على الغزل المنحرف . تقول لاحمد ، يوم حصوله على الثانوية : (مبروك يا احمد .. الف مبروك) .

كانت عزيزة هى التى نطقت بالجملة الاخيرة ، وفرحة صادقة تطل من عينيها الجميلتين وبدون شعور .. تناولت يدى عزيزة بيدى وضغطت عليهما فى حرارة ، ثم انتبهت لموقفى فسحبت يدى فى الحال وانا اشعر بالخجل الشديد ، واؤنب نفسى على المدى الذى ذهبت اليه فى التعبير عن فرحتى .. وكان وجه عزيزة قد تضرج بحمرة شديدة ، فاطرقت فى خجل ، اذ لم يحدث قبلا (كذا) ان امسكتها من يديها بتلك الطريقة .. ولاحظت عزيزة ما اعترانى من ارتباك شديد تمدت يدها ، عبر والدتها ، وتناولت

بدى الباردة بيدها وضغطت عليها بعطف وهى تهمس :

ــ مبروك ياحمد مرة اخرى . الف مبروك !(9)

وحين اختلى الشابان ، اسر احمد لها ، مبررا هذا التصرف المريك :

(ــ فقط .. اردت .. اردت .. ان اعتذر ..

ــ تعتذر ؟ .. عن ايش ؟

ــ عن .. عن الذى حدث اليوم

ــ وماذا حدث اليوم ؟..

ــ والله العظيم يا عمتى (يقصد مخدومته) لم اكن اقصد شيئا .. والله العظيم .. كل ما فى الامر اننــى شعــرت ...

فابتسمت عزيزة وقاطعتنى قائلة :

ــ وايش صار ؟.. ايش صار يعنى ؟.. لا عليك يا احمد .. انما الاعمال بالنيات كما تعلم .. وان لكل امرىء ما نوى .. كده والا لا ؟ .. اننــى احس بمشاعرك الاخوية نحوى يا احمد .. فــلا تهتــم لشىء) (10) .

من مثل هذا الموقف استحضــر الآن الوظيف البطولى .. بجلاء ، بدا أحمد قمة الوعى الفائق من الوجود الانسانى ، والحضور الاجتماعى ، لقد احس ــ عن ادراك ــ بالبعد الزكى من وراء خدمة الغير بحثا عن النبع الشامل ، كما شعر ــ عن فقــه ــ بثقل المسؤلية فتحملها ، راعيا لحقوقها ، بكل ما لديه من قوة عقيدة ، بعيدا عن اللهاث فى اثر المتع والشهوات ، غير القوت القلبى . ! ولن يجنح بك الخيال فترى احمد ملاكا سماويا ، او شابا متبلد محروما من الحاسة الجمالية .. ! كلا ، ثم كلا ، فأحمد بشر سليم الحساســية رهيفهــا ، جيــد الاحساسات الوجدانية ، خفاق القلب امام كل مــا هو رائع وجميل .. ! على ان البديع فى شخصيته : رفعة همته ، وثباته على مغالبة النفــس الامــارة بالسوء ، وصلابة قراره ، ان احمد يسبح بعواطفه فى عالم ، تحبــه صوفيا ، بغية بلــوغ شاطىء الامان .. وفعلا ، تجسم ذلك فى الزواج الهانىء .

ثك ان تلمح جريان (اليد اسـفى) فى مستوى، وكانه مستوى (السير الذاتية) ! غير انك لا تفى القرائن الكفيلة بالبرهنة على ذلك ، فحين تسرح النظر فى (ايام) طه حسين ــ مثلا ــ تلحظ العناية المتعمدة باستقطاب مجريات الاحداث ، قصد محورتها حــول (الانــا) باسلــوب (اعتصــراق) . فى اليــد السفلــى) يغيب هذا الملحظ ، والا فلماذا لم يقع استنطاق السنوات السبع التى قضاها (البطل) فى القاهرة ؟ ثم لماذا يعامل اشخاص النص ــ على امتداد الساحة ــ برحابة فكر ، كى يدللــوا علــى حضورهم الفعال ؟ وهم بصنيعهــم ذلك ينهجــون بالحادثات نحو التموضع المتمكن لرفد منطقة الجذب المحورى : رصدا لعلاقة البطولة الثنائية الطــرف (احمد ، عزيزة) مما متن حبل القصة ، واعطاها الجدة والطلاوة ، بقدر قد يفوق ما بــ (المذكــرات الــذاتيــة) .

ان الاديب يمانى ، أبان قدرة الادب العربــى الحديث على جذب الاهتمام لاحتواء التصور الاسلامى لمشاغل المراهقين وتنويرها ، واضفاء هالة من المهابة على نوازع الالفة والود والعشق .

ولن ادعى أن هذا هو رد الفعل الواجب اتخاذه تدام كثافة الانتاج القصصى الزاحف باتجاه (الحب الزيف ــ الحب الرذيلة) بل ازعم ان هذا هو الوضع الطبيعى لما ينبغى ان يكون عليه ادبنا .. لقد آن الحين، لنعلنها مدوية : كفى جنســا مبتذلا يا سادة القصة ..!

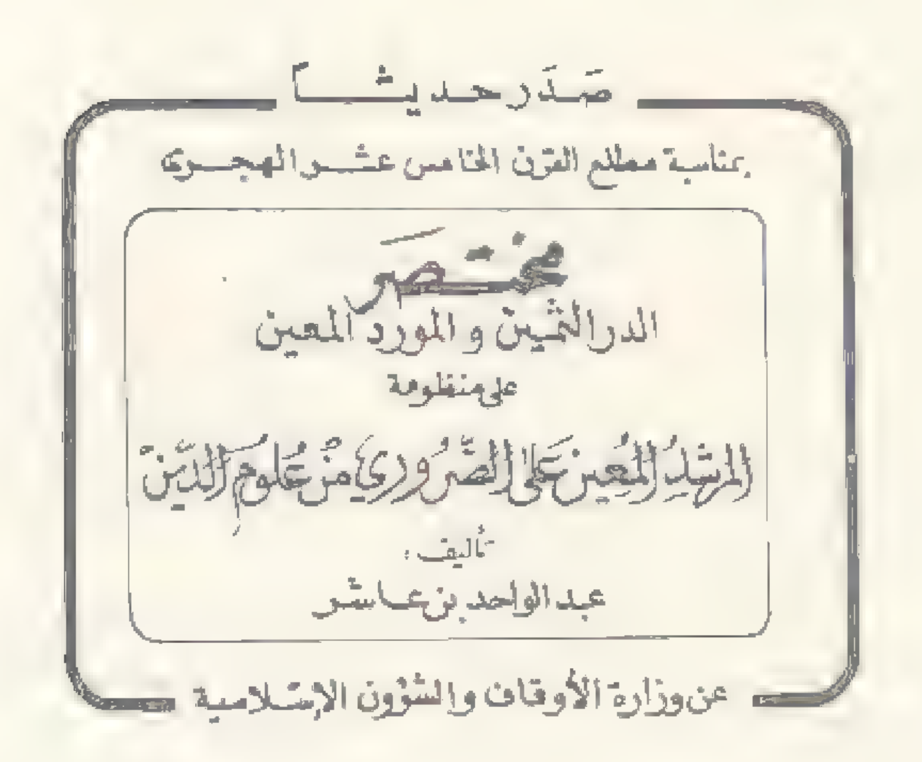
---

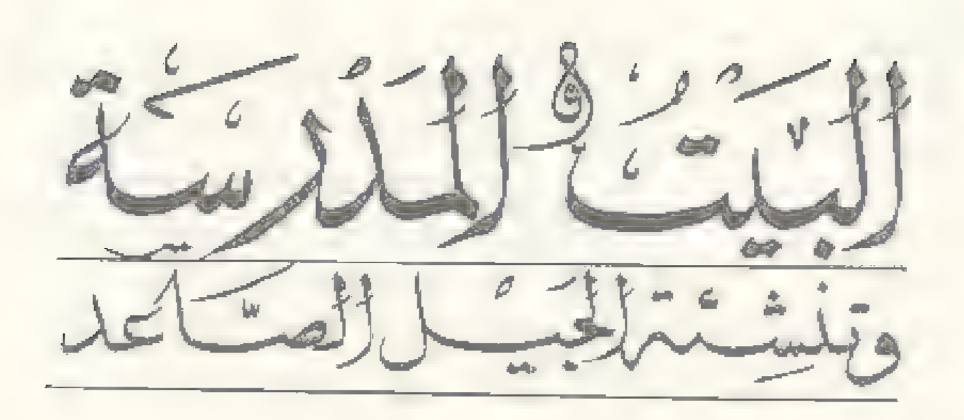
(9) اليــد السفلــى ، ص 68 .

(10) اليــد السفلــى ، ص 71 .

ولا يفوتني هنا ، الا أن أسجل بعض ما أصاب (اليد السفلى) من لحن انشائي — وان لم يطغ ذاك على بهاء اللغة الميسرة ، من ذلك مجيء (مـا) دخيلة على هذه التركيب (الفارق ما بين العمل واللعب — ص 46) وسقوط الفه كان ، في (ولما كنت تلك اول ليلة لي في مكة — ص 125) وتعويض من ، بعلى ، في : (آه على شعرها ذاك الطويل المسترسل ! — ص 44) فالمقام مقام تعجب ! ومثل هذا تنقيص (يده) من : (وفي وسط الباب حلقة معدنية صدئة مد الرجل اليها وراح يقرع الباب بها بقوة — ص 27) . اخيرا ، قال الكاتب: (ووقف الشيخ صلاح يحدق بي مستغربا — ص 30) وفي مختار الصحاح : حدقوا به ، واحدقو به — احاطوا به . والتحديق : شدة النظر ، لذا حدق اليه : حدد النظر اليه ، وحدقه : نظر اليه . ومن هنا وجب التصحيح .

وكما افتتحت ، آمل — كقارىء عربي مسلم — انتشار مثل هذا النتاج القصصي ، انشاء وتوزيعا ، فذلك من احتياجات المرحلة ، مرحلة التحديات الثقافية .. وتحية عطرة — من الاعماق — للقاص الاصيل محمد عبده يماني .





للأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله

ما فتئت التربية ، بما تطرحه من معضلات في عالم اليوم ، تحتل مكان الصدارة في شواغل الاختصاصيين في علوم التربية والنفس والاجتماع . واذا كنا قد عرضنا في دراسة سالفة لهذا المشكل الدقيق من منظوره النفسي والفني البحت *، فاننا نود ، تكملة لما انجزناه ، أن نتولى معالجته من الوجهة الاجتماعية العامة ، انطلاقا من الاسرة التي قلنا سلفا انها الخلية التي تتخذ فيها الشخصية الطفولية صورتها الاولى الى المدرسة التي يبدا فيها الطفل تجربته الاجتماعية ، حيث يعايش من انماط الشخصيات ما يستجيب له بالتفتح والاقبال او العزلة والانسحاب ، الى المجتمع الكبير الذي يتطلب منه تكيفا موصولا ولباقة متنامية والذي يقوم اساسا على الاخذ والعطاء ...

لقد اكدنا على ضرورة اشاعة جو الانسجام والتلاحم في مجال العلاقات التي تشد الام الى الاب. بيد اننا نلاحظ ، آسفين ، ان الام في معظم الاسر التي اخذت باسباب الوئام والتوافق لا تنفك عن التدخل في كثير من المواقف التي يريد لها الاب ان تكون — تجاه الابناء — حازمة صارمة ، بغية استجداء عطفه واستثارة حنانه . وقد يكون في ذلك ما يخل الى حد بعيد باخلاق الابناء وتصرفاتهم فلا يتورعون عن ارتكاب المحرمات وممارسة المواضع والاستخفاف بسلطة الاب ، اعتقادا منهم بان الام سند صحيح يصد عنهم عقاب الاب وغائلة سخطه ، والعكس صحيح ، بيد أنه نادر ، فقد تمحي شخصية الاب ، المعروفة عادة بسيطرتها وقوة سلطانها ، لضعف في تكوين بنيتها ، فتقوم مقامها الوالدة بالزجر والعقاب او الحرمان من الثواب . ، على ان ذلك لا يمنع الابناء من أن يتصرفوا في هذا وذلك على النحو الذي سبق أن ذكرناه . وتلك ظاهرة نلحظها في الاسر العربية الكبيرة ، ولها مضاعفاتها المعروفة التي تنعكس على المواضعات والاخلاق عموما

ومن المشاهدات المتواترة التي لا تخفى على الناقد البصير ان الاسرة تجتاز مرحلة انتقالية حاسمة تتعرض فيها القيم والاعراف لتغيرات جوهرية . ويرى فيها المحللون مظهرا من مظاهر الصراع الذي يعتلج في نفس الجيل الجديد . فالطفل غالبا ما يكون موزعا

* راجع بحثا لنا بمجلة دعوة الحق عدد شتنبر 1970 تحت عنوان (في آفاق التربية) .

بين موقفين فى غاية التناقض : موقف التبعية للاب الذى تفرضه التقاليد والذى غدا من الامور المسلم بها حتى أنه تقبله لا شعوريا فاستتبع لديه ثورة باطنية عارمة لا يتيسر لها أن تجد عنده متنفسا فى صلاته بأبيه ، وموقف التكامل والاستقلال الذى يتوق اليه المراهق فى بداية اطوار هذه المرحلة الخطيرة عن طريق الميل الى الثورة على كل طارف وتليد ، حتى اذا اصطدمت هذه الرغبة الجامحة بالموانع التى تملها ضرورات التربية ومواضعات الاخلاق ، اصطبغت العلائق بين الاب والابن بصبغة الاكراه وأصبح الابن (أو البنت) يتحاشى الحوار المباشر الصريح فى « بعض المواضيع الحرجة » .

كل هذه معطيات تعيشها الاسرة فى مرحلة الانتقال ولا تكاد تعيرها للاسف اى اهتمام . الا انها تتاصل بمرور الايام فى نفسية الجيل الصاعد ، فينمو وقد اخذت شخصيته طريقها ، فى بطء وعلى غير علم منه ، الى التصدع والانهيار . ويقف على عتبة الحياة بتكاليفها ومسؤولياتها ، والتكيف المطلوب والمرونة المنشودة شيء عسير بعيد المنال

هنالك ظاهرة اخرى كادت تختفى فى علاقات الآباء بالابناء نتيجة احتكاك الاسر العربية بالثقافة الغربية ولكنها لا زالت ذات وزن فى أذهان الكبار والصغار على السواء . تلك هى لعنة الوالدين او ما ندعوه عادة بسخط الوالدين فى مختلف الاوطان العربية ويرى علماء الاجتماع انها تشكل تهديدا صريحا لبناء الشخصية ، خاصة حين تكون هذه الاخيرة فجة لم تستو بعد على اتجاه تتميز به عن غيرها من انماط الشخصيات . ويعتقد هؤلاء العلماء انها تصبح ذات خطر جسيم حين يقترن مبدأ السلطة الابوية لدى المراهقين بالايمان الراسخ بالقدر المحتوم ! . وهى بالبداهة اشياء لا يمكن بخسها حقها من الدراسة والتأمل وان كان المجتمع يتخطاها اليوم الى غيرها من الظواهر المعقدة التى لم تجد لها بعد حلولا تخفف من حدة الجدل القائم بين المراهقين وأولياء الامور .

من هذه المعطيات مأساة التعارض الملحوظ بين عقلية الآباء الثابتة وعقلية الابناء الناشئة ، بين العقلية المهيمنة على الكتاب ، التى تؤمن ايمانا راسخا بالاساليب التربوية التى عفى عليها الزمن والاساطير المتوارثة التى لا تساوى اطلاقا وبنية المدرسة الحديثة حيث يتلقن المراهق انماط السلوك من خلال الاقاصيص والروايات والصور المتحركة واللقاءات الوطنية والدولية والمبادلات الثقافية وغيرها ...

ها هنا صراع آخر يقف الآباء ازاءه ساخطين غاضبين ... فتتسع الهوة على مر الايام بينهم وبين الابناء لانها مواجهة لا تعرف المرونة والاعتدال ، فالجانبان منها على طرفى نقيض : لا الآباء يتنازلون عن مواقفهم ويسعون الى التوفيق بين القديم والمحدث ، ولا الابناء يقبلون الاخذ بالقيم القادرة على مسايرة متطلبات العصر الحاضر والتى يمكنها أن تندمج فيها . وفى اعتقادنا اننا لا نغالى حين نضفى طابع المأساة على هذا الصراع ، لانه غالبا ما يفضى الى الشتات والفرقة وانعدام الحوار بين افراد الاسرة الواحدة فتتفكك اواصرها وتتهافت الجسور الممدودة بين اعضائها . على أن للآباء بعض العذر فى اتخاذ مواقف التصلب والاستياء تجاه هذه التحولات الجذرية التى لا نعتقد أن التاريخ قد عرف لسرعاتها مثيلا قبل اليوم ، ومن الانصاف أن نعترف بأن الجيل المخضرم الذى ننتسب اليه ، أى الجيل الذى عاصر عقلية الكتاب القديم بمثلها وقيمها ثم واكب نشأة العقلية الجديدة بنظراتها الى الحياة وطرائقها فى العيش ، قد يلاقى هو الآخر فى كثير من الاحيان عنتا كثيرا فى تمثل بعض النظريات والايديولوجيات او مسايرتها ، فضلا عن المناداة بها والتشيع لها ...

هذه العراقيل التى تقف فى طريق النمو السوى للطفل اما أن تجد لها حلولا عن طريق الاسقاط او التعويض ، والا بات على المدرسة أن تتولى مساعدته

على تخطيها ، لقد اصبحت المدرسة ، الى جانب دورها التعليمي المحض ، اطارا يحتضن التربية بمدلولها ويمتد حتى يشمل الوظائف التي كانت الى عهد قريب وقفا على الاسرة وحدها . يقول احد المربين : « ان المدرسة لن تلبث ان تصبح بالنسبة للطفل اسرته المفضلة اثناء فترة المراهقة بينما لا تعدو اسرته الحقيقية ان تكون اسرته اثناء الطفولة فحسب ، وفي هذا القول وحده دلالة قاطعة على التقدم المنشود في هذا المضمار »

وقد اتيح لنا غير ما مرة ان نلاحظ بمزيد الاغتباط عناية المسؤولين عن مدارسنا بالنشاط التعاوني الذي ينمي في الطفل روح التعاون والتعاضد وينقله من افق التعليم الضيق الى آفاق الحركات التعاونية التي تصهر « الانا الفردي » في « الانا الجمعي » وتمكنه من توسيع نطاق معارفه واغنائها بما تيسره له من لقاءات على المستوى الوطني والدولي وما تبعث في نفسه من توقان الى ترسم سبل التنافس البناء . واذا كانت امكانياتنا المادية والتأطيرية لا تيسر لنا اليوم ، بوصفنا دولة نامية ، احلال النشاط التعاوني مكانه اللائق به في برامج المدرسة ، فان مجرد التفكير في خلقه وتعهد خلاياه وامدادها بالمقومات المحدودة التي نملكها شيء يدعو الى الارتياح ويقوي الامل في مستقبل للناشئة اسعد ، تتخطى فيه حواجز الماضي وعوائقه وتمسي ملاذا للطفل كلما اشتدت لديه وطأة الصراع في هذه المرحلة الانتقالية من حياتنا .

ما من احد يماري في ان المدرسة لم تعد ذلك البناء الذي يرتاده الطفل مكرها لان والديه يجبرانه على الاختلاف اليه و لانه امر ينقاد اليه بدافع التقليد الذي تفرضه المواضعات ، اسوة بجيرانه أو معارفه من الاطفال ، فالمدرسة تهيء اليوم للطفل كل الوسائل الكفيلة باشباع رغائبه في التجاوب المحمود مع اقرانه والمكاشفة الصريحة مع معلمه أو استاذه وارضاء ميله الفطري الى الاستزادة من المعارف بما تضعه بين يديه من كتب شيقة ينهل من فيضها ، وصور متحركة ترضي لديه ملكة الخيال وتنميها ، ونشاطات مختلفة تحبب الى نفسه تبادل الافكار ومقابلة الآراء وتدفعه الى تعشق الخلق والابداع .

فعلى هذا الدور الخطير الذي تضطلع به المدرسة يتوقف بناء الشخصية . وعليه أيضا تقع المسؤولية الجسيمة في تقويم سلوك الناشئة بالنصيحة الهادفة والتوعية الصادقة . وما من شك في أن المدرسة هي المصنع التي تتخذ فيه مكونات الشخصية طابعها النهائي لتخوض معترك الحياة . ولن يتأتى لها أن تكتسب ملكة التكيف التي تتطلبها الحياة اليوم ما لم تكن المدرسة معوانا لها عليه ، وهي بعد فتية تخطو ببطء في طريقها الى النمو والاكتمال .

لا شك في اننا اسهبنا بعض الشيء في تبيان ما يواجه الاسرة والمدرسة من عراقيل ومن مسؤوليات وان كان اسهابا لا اختيار لنا فيه اذ انه أمر ضروري لجلاء المسوغات الكامنة وراء السلوك السوي والسلوك الشاذ في حياة الكبار .

فالشخصية مثلا بنظر العلامة « يونغ » تنقسم الى انبساطية وانطوائية . بيد أن اصطباغها بهذه الصبغة او تلك ، اذا كانت الوراثة تلعب دورها المعروف فيه ، فان للتربية والمناخ العائليين فيه اثرا لا يقل وجاهة واهمية يمكنه أن يتدخل بصورة مباشرة فعالة لتحوير بنية المعطيات الوراثية ذاتها . والدراسات الميدانية التي أجريت حتى الآن تنهض شاهدا لا يمكن دحضه على أن معاملة الاولياء من جهة والهياكل المدرسية من جهة اخرى أمران يلعبان اخطر الادوار في حياة الشخص ، لا سيما في مرحلة الطفولة الاولى.

كما اثبتت البحوث التي قام بها فريق من الاخصائيين منذ سنة 1950 في ميدان الاجرام ان معظم المجرمين ان لم يكونوا كلهم ، يعانون — الى جانب سوء الاحوال المادية والاجتماعية — من قصور في النمو الوجداني راجع بالدرجة الاولى الى نوعية

التربية التي تلقوها في البيت او الملجأ مع اخلال الاولياء بأبسط قواعد التوعية الصحيحة

هذه تأملات لا ندعي انها احاطت بالموضوع احاطة شمول واستقصاء لاننا سنعود اليها بحول الله بمزيد من التفصيل والاسهاب ، ولكنها مجرد خواطر كتبناها على نور الشعور الانساني الذي يستوي فيه كل الناس . وتنشئة الاجيال عبء نقدره حق قدره ونؤمن جازمين بانه يستحق كل جهد ويتطلب بذل كل التضحيات ، ولنا في المناظرة التعليمية الاخيرة التي دعا اليها وترأسها ورعاها سيد البلاد خير دليل واجمل قدوة .

جل ما نأمله ان نكون قد وفقنا في بعض ما ذهبنا اليه .

دكتوراه الدولة في العلوم الاسلامية والحديث لأحد موظفي قسم الدراسات الإسلامية بالوزارة .

● حصل احد موظفي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمصلحة احياء التراث الاسلامي التابعة لقسم الدراسات الاسلامية ، هو الاستاذ صلاح الدين الادلبي على درجة دكتوراه الدولة في العلوم الاسلامية والحديث من دار الحديث الحسنية وذلك بميزة (حسن جدا) ، وكان موضوعها : (منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي) وقد اشرف على الاطروحة الدكتور محمد فاروق النبهان وشارك في المناقشة العلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله والدكتور رشدي فكار والدكتور عبد السلام الهراس .

وكان الباحث قد حصل على دبلوم الدراسات الاسلامية العليا منذ خمس سنوات من دار الحديث الحسنية في موضوع (كعب الاحبار: حياته ـ آثاره ـ تجريحه وتعديله) .

ويسعد (دعوة الحق) أن تهنيء الاخ الدكتور الادلبي ، بتفوقه وحصوله على هذه الدرجة العلمية الكبرى ، التي هي في نفس الوقت تشريف للوزارة الذي يعتبر الباحث الاخ صلاح الدين احد موظفيها المشهود لهم بالكفاءة والعلم ■



للأستاذ الشاعر: محمد بن محمد العلمي

يا قدس ، يا مهد السلام ... يا موطن الرسل الكرام ،
مسرى الرسول ، وقبلة ... أولى ، ومنبع الاحترام ؛
يا جنة الزيتون ، يا ... مغنى العباقرة العظام ،
مهما يطل كر الزما ... ن ، فانت انت على الدوام !
نبض من التكبير والـ ... تهليل يعبق بالهيام
فى حضرة الله المهيـ ... ـمن ، من تنفل بالسلام !

***

يا قدس ، يا عطر الفرا ... ديس التى تبرى السقام ،
لك عهدنا فى كل جيـ ... ـل ، ليس يدركه انصرام
انا رضعنا حبك السـ ... ـخياض من غير انفطام
والمسلمون قلوبهم ... ما ضيعت منك الذمام ،
فى كل لحظ يذكرو ... ن لديك ما فعل اللئام !

***

يا قدس ، كوثرنا الذى ... برحيقه يشفى الاوام !
فى لجنة القدس انجلى ... لضميرنا احلى ابتسام
يزداد فى (البيضاء) تضـ ... ـل راق منه الاغتنام
ورباط وحدتنا على ... امجادنا ابهى وسام
كل من الاجداد والـ ... حفاد مجد لا يرام

عود على بدء ، وصـ   ـف واحد فى الخلد قام

تى الفرع للاصل المؤتـ   ـل ها هنا اقوى ارتسام

والمجد للحسن المثـ   ـنى من له أعلا مقام

فى الدين والدنيا لقد   ملك القيادة والزمام

بمضى امير المؤمنيـ   ـن بنا الى اسمى سنام

ما اخطات منه الفرا   سة فى العقيدة والكلام

فى العمق غاص مذكرا   بالقدس ، نهى لنا قوام ،

والنصر معقود على   راياته ، وفق المرام

وبقدس مؤتمر صدا   ه بوقعه هز الانام !

وروائع الحسن العظيـ   ـم تجددت فى كل عام

والمسلمون توسموا   فى شخصه ازكى امام

فيه (صلاح الدين) يشر   ح كل سر للقيام

ويعيد للتاريخ غيـ   ـرة ذلك البطل الهمام !

فالقدس ليس تعود الـ   بالفداء ، والاقتحام

وسلاحنا حب ومعـ   ـنى ، مشعل اقوى ضرام

فى قلب صهيون ، يذيـ   ـق ذلوله الموت الزؤام !

اذ نهضة الاسلام تبـ   ـعث كل قلب مستهام ،

والقدس ما اتصاعت ولن   تنصاع قط للانهدام :

تهويدها معناه غا   ية الامحاء والانعدام !

اذ كيف يرضى المسلمو   ن المؤمنون ، بالانهزام ؟ !!

فالمسجد الاقصى يثنا   دينا لغايات جسام

بشكو من الاعماق محـ   ـنته الى البيت الحرام !

ويقول : « للثار انهضوا ،   فالركب يمضى للامام !

وتقدموا قولا وفعـ   ـلا ، للوفاء بالالتزام ! »

*****

فى القدس اولى القبلتيـ   ـن ، لقد تبادلنا الغرام

فى مشرق ، او مغرب ،   القدس جوهر الاهتمام

لا ، لن تهون ، ولن تدنـ   ـس ، او تهود ، او تضام !

هى مذ كانت فى ظلا   ل الحق منطلق الحمام

لم تعرض ما تاتيه اسـ   ـرائيل مفسدة النظام

والجرح مشترك يحـ   ـث المسلمين على الوئام

من يعرف الحق المبيـ   ـن ، فلن يخاف من الحمام

فـي اللـه حصن المؤمنيـ ـن .. لهم سـه سوى اعتصام
قـد حرر الاسـلام معتقيـ ـه ، مـن دل ودام
من ثار من اجل الحقو ق ، ومـن يعاتب ، ولـن يلام !
والمجـد شـاد صروحـه ، مـن جاهدوا يوم الزحام
فالنصـر مكتـوب ومضـ ـمون على حد الحسام !
يكفـي تمرينـا ، ولهـ ـفتنا على جمع الحطام !
اذ كيف تقبـل لا صـلا ة ، او زكـاه ، او صيام ،
ممن تناسوا ربهـم ، وتجرعوا كأس المدام !.
واستهتـروا اللـذات ، لا يثنيهـم عنهـا احترام .
فالعروة الوثقـى بعهـ ـد اللـه ، ليس لها انفصام
والقدس من صهيون تبـ ـرا ،، لـن تعيش في الانقسام
أتكون عاصمـة لـه ؟ ! كلا ! شجيتنـا الانثلام !
ادعـى الدواعـي ما نـرا ه من تجنـد واحتـدام ،
وتهتـك ، وخلاعـة ، وتميـع دون احتشـام :
تجتـمون الاستهـلاك لـم يفـرق حلالا من حرام
تسري بـلايـا ، الانحـلا ل ، كما سرى داء الجذام !
يا سعد من عرف الطريـ ـق ، ومن تذكر وانتقام !
ان الحقيقـة دائمـا عنها لقد كشف اللثام
والسر متضح من الـ ـرحمان ، ليس لـه انكتام
والصحوة الكبرى هنـا . لم تبق من قوم نيام
واللـه جـل جلالـه . رب عزيـز ذو انتقـام !
والليل مهما طال . اعـ ـقبه انقشاع للظلام
والقدس بخضعها الصبا ح ، وينجلي عنها القتام

***

انـ ـلاحـوج ما نكـو ن للاتحـاد والانسجـام
وخصومنـا زالـوا . اذ زال التنابـذ والخصام
فالنصر للاسلام يكـ ـمل بالصفـاء والانسجام !

***

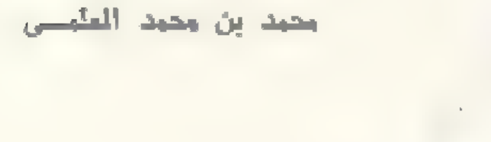
وا حسرتـا لـلاجئيـ ـن تشردوا تحت الخيام !
عيـوننـا لمصابهـم جـادت بدمع كالغمام
وقلوبنـا حنـت اليـ ـهم ، مثلما حن الحمام
بالرغم من صهيون ، من كيد الدعاية اللئام .

لا بد ان تخلص (فلسطيــ ـــن) الحبيبــة بالمـرام !
لا بــد مــن يــوم الخــلا ص ، وعــودة الاهــل الكـرام !
فالحــق ينصــــر دائمــــ ـــا انصاره بيــن الانــــام !

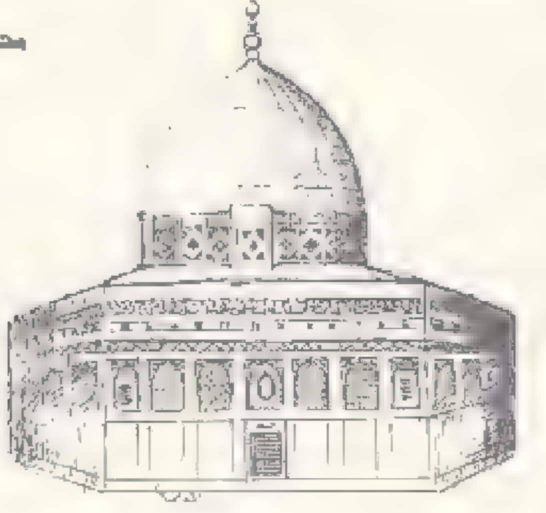
*****

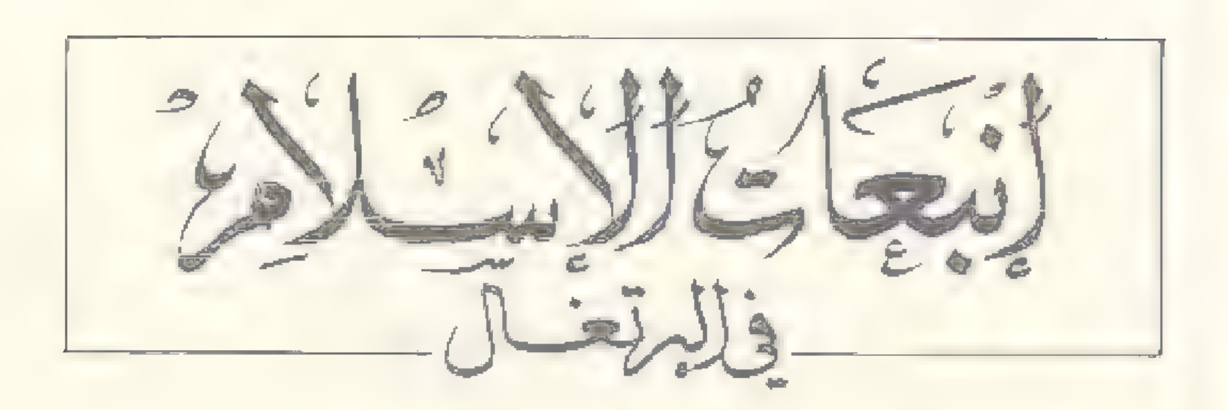
المــغرب المضيـــاف رو ض الوافديــن علـى الـدوام
وحـــرارة الترحـــاب بــ ــرز فـي العنــاق والاستلام
مـرحـى باخــوان لنــا فـي دينتــا رمـز الســلام !
جـــاءوا لنجـــدة قــدسنــ ـا يحدوهمـو اقـوى اعتـزام
ونظامنــا فــي روحـه واصــولــه ، اهــدى نظـام
بــه نتــفاخــر دائمـا اتـرابنـا بيـن الانــام !
من لم يعـز بذاتـه ضـل الهـدى قطعـا ، وهـام !!
والشكـر للحسـن الـذى بجهـاده بعـث الـرمـام
من وحـد الاوطـان حـ ـقـا فـي نظـام وانتظـام
والـى سيـاستـه الحكيـ ـمـة صـار يحسن الاحتكام
ولـه الكـرامـات التـي تحيـي المبيـرات النظـام
فانظـر الـى الـوادى ، بمـا قيـة ، يـروق لـه انضمام !
فـي وحـدة لتـرابنـا قلـب الاعـادى ذو اضطـرام
والاطلـس الجبـار حصـ ـن قـد محـا كـل اصطـدام !
تلـك الحقـائق نحـن نحـ ـيـاهـا ، فلسنا فى المنـام !
والـوقت وقـت الجـد ، بـ ـعـونـا الـى شـد الحـزام !
بشـرى لعـاهلنـا العظيـ ـم ، فانـه نعـم الامـام !
فلـوكـه استمـرار نـبـ ـرة جـده ، بـدر التمـام !
والامـر للـه المهيـ ـمـن فـي البدايـة والختـام!!

محمد بن محمد العلمي



الربـــاط





للأستاذ محمد قشتيليو

قد يستغرب القاريء عندما يطالعه هذا العنوان ربما يقول من الافضل ان نقول ظهور الاسلام فـي البرتغال او دخول الاسلام الى البرتغال ، الجواب على هذا نستنتجه من راي اسبانـي وقـال من جملـة ما قال فيه : « لا يجمل بنا ان نقول ظهور الاسلام في اسبانيا بل نقول انبعاث الاسلام في اسبانـيـا ان اسبانيا كانت قطرا اسلاميا وهذا ينطبق ايضا علـى البرتغال التي كانت هي ايضا قطرا اسلاميا .

كانت البرتغال قبل ثورة الازهار كما يسمونهـا ويرمزون اليـها بزهرة القرنفل على راس البندقية ــ ثورة 25 ابريل 1974 تعيش تحت نظام استبدادي فلا حرية للتعبير ولا للتظاهر ولا ابداء الراي كعادة كـل الانظمة الدكتاتورية ولما رفع عنها هذا الكـابـوس انفجرت انفجار البركان واظهرت ما كانت تخفيه بالامس فخرج للوجود دستور جديد ومن بين فصوله الفصل الاحدى والاربعين الذي ينص على منح حرية المعتقدات للشعب فبرزت للوجود الاحزاب والنقابات والمنظمات وغير ذلك مما هو موجود في العالم الحر وعـلـى الخصوص في اوربا الغربية فاصبح كل واحد يجهر بـمـا يعتقـد ومـا عنـده مـن افكـار واراء ويعبـر بكـل حريـة عمـا يختلج في نفسه فظهرت للوجود اراء جديدة واديولوجيات غريبة عن الشعب وبالطبع فقد كان للعقيدة الاسلامية تصيب بعض الشيء من هذه الحركة فبرزت للوجود هيئة تحمل اسم (الجماعة الاسلامية) ، قلنا عنـدما قامت ثورة ابريل الانفة الذكر تحررت الافكار من قيودها والشعب البرتقالي كان متعطشا لهذه الحرية التـي انسجمت وطبيعته فهو غير متعصب في تفكيـره ولا متزمت في آرائه فلا يجادلك في دينك ولا يحاجبك في معتقدك فهذه مسالة بالنسبة اليه هامشية بل لا تحدثه نفسـه البتة بذلك كما انه غير عنصري فالناس عنده سواسية فتجد الاسود متزوجا بالبيضاء والعكـس دليل على هذا فقد نزح كثير من سكان المستعمرات السابقة بافرقيا فتجد الاسرة الواحدة تتكون من خليط مـن البشـر ما بين أسـود وابيض ومخضرم كما ان صفـة البرتقالي تكتسي طابع الجدية فهو قليل النكتة جاد في المعاملة فيعكس ما تجده في جاره الاسبانـي المتعصب للدين ويعادي كـل من هـو من غيـر دينه اذ لا يستبعد ــ والحالة هذه ــ ان تجد الدعوة الاسلامية في البرتقال عقولا خصبة واذانا صاغيـة وعقولا متفتحة ، وقد تلمس هذا منهم في محادثتـك معهم ــ حول الشؤون الدينية ، فهـم يحترمون اراء الغير ، فمن هذا نستنتـج ان حملاتهـم التبشيريـة وبعثاتهم العسكرية التي كانت ترسل من طرف ملوكهم واباطرتهم في الماضي انما كانت حملاة تكتسـي صبغة تجارية وفتوحات لاسـواق اقتصاديـة جديدة

فرأي رجل الشارع في البرتغال حول موقعة وادي المخازن مثلا مجرد راي او فكرة تكتسي صبغة ترسعية فاذا حدثك عنها تحس من حديثه انه يحدثك عن حملة توسعية لا حملة دينية كما كانت حملاتهم الى الهند وآسيا من اجل التجارة وجلب مواد تلك البقاع للاتجار فيها ، فضون سيبسطيان حسب ما يستنتج من ارائهم كان لبرنامجه الذي خطه وجهان : الوجه الديني وهو الذي اظهره للبابا لكسب تأييده لان البابا رجل دين ، ووجه آخر للشعب وهو التوسع والتجارة لضيق رقعة ارضه فهو قد خاطب كل واحد بما يروقه وما يريد .

لقد ظهرت بعد الثورة عدة احزاب ومنظمات بعد ما كان حزب واحد وهو الحاكم اذ ذاك فاصبحت البرتغال تتوفر على اثني عشرة حزبا ، وقد اغتنم المسلمون الموجودون بالبرتغال الحالة الراهنة فتقدموا بطلب الى المسؤولين لاجل تاسيس جماعة ومركز اسلاميين بعدما اخفقوا في الحصول على اذن لذلك من مسؤولي العهد البائد ، ظهرت هذه الهيئة الى الوجود يترأسها السيد سليمان بالي محامي من اصل مزنبيقي يقطن لشبونة من عدة سنوات قبل الثورة ففي سنة 1977 تاسس المركز الاسلامي بالبرتغال بصفة قانونية وهو مؤلف من رؤساء البعثات الدبلوماسية الاسلامية المعتمدة بالبرتغال كاعضاء شرفيين وعاملين في نفس الوقت وهدف المركز هو :

(1) — العمل على تدعيم وتوثيق روابط الصلة بين افراد الجماعة الاسلامية المتواجدة بالبرتغال والعمل على تثبيت مشروعيتها .

(2) — بناء مسجد بلشبونة .

(3) — بعث الروح الدينية في مسلمي البرتغال .

(4) — تنظيم دروس في اللغة العربية للمسلمين وغير المسلمين .

ويتكون المركز من جمعيتين : الجمعية العامة المكونة من رؤساء البعثات الدبلوماسية الاسلامية المعتمدة في البرتغال ثم الجمعية الادارية المؤلفة من رئيس الجماعة الاسلامية واحد رؤساء البعثات الدبلوماسية الاسلامية المعتمدة في لشبونة .

لقد اصبح الآن للمركز كيان وحرية ، فصار المشرف عليه السيد سليمان يصدر النشرات وينظم تجمعات دينية بالمناسبة ويستدعي اساتذة وعلماء لالقاء محاضرات في اهم المراكز العلمية والثقافية بالعاصمة البرتغالية كمركز كولنكيان ذا الشهرة العالمية والذي يعتني بالبحث العلمي ، والحكومة البرتغالية تقيم فيه الحفلات وكل التظاهرات ذات الصبغة الرسمية واهم حدث سجل فيه في عهد الثورة تنظيم الانتخابات التشريعية بالبلاد ، وقد اشتد ساعد رئيس الجماعة الاسلامية بورود كثير من المهاجرين المسلمين القادمين من المستعمرات البرتغالية السابقة بعد اعلان استقلالها وخاصة من المزنبيق حتى اصبح يقدر عدد المسلمين بالبرتغال الآن باثني عشرة الف مسلم يقطن اغلبهم بالعاصمة اشبونة ، وتصدر الهيئة بعض نشرات باللغة البرتغالية لتعريف بالاسلام واللغة العربية تنشر على صفحاتها تعاليم الدين الحنيف وترجمة لبعض سور القرآن والاحاديث النبوية ومعلومات عن تاريخ الاسلام وعن الاقطار الاسلامية الى غير ذلك ، كما تقوم الهيئة ايضا بترجمة لكتب بعض اعلام الاسلام الى اللغة البرتغالية فقد ترجمت كتابا لابي الاعلى المودودي (التعريف بالاسلام) وكتابا لحمودة عبد اللطيف ، كما اصدر رئيس الهيئة عدة تآليف نذكرها فيما يلي :

(1) — مصدر القانون الاسلامي

(2) — محمد والاسلام

(3) — الاسلام والقانون

(4) — الاسلام في البرتغال الآن

(5) — فلسطين : مأساة العصر

(6) — الفكر الاسلامي

(7) — القرآن والثقافة البرتغالية

(8) — الاسلام في العالم

(9) — الزواج في الاسلام

(10) — النهضة في العالم الاسلامي

(11) — علاقات البرتغال بالعالم العربي

وقد ذكرنا اهم مؤلفاته وهو باستمرار يصدر في كل مناسبة كتابا ، ومن نشاط رئيس الجماعة الاسلامية تاسيسه (جمعية اصدقاء البلاد العربية) هدفها العمل على توثيق عرى الصداقة بين البرتغال والبلاد العربية

بواسطة التبادل الثقافي والتجاري وهو الاسفار الى البلاد العربية الشرقية وخاصة السعودية هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان الحكومة السعودية قامت بنشر كتاب عن الاسلام باللغتين العربية والبرتغالية قصد تزويد الجالية الاسلامية بالبرازيل بمعلومات عن الدين الاسلامي عنوانه : (الطريق الى الاسلام) تاليف احمد صالح وهو مبعوث الحكومة السعودية لدعوة الى الاسلام بالبرازيل ، وقد استفادت منه الجماعة الاسلامية أيضا بالبرتغال نظرا للغة التي نشر بها .

الجماعة الاسلامية في حاجة الى مسجد

قام رئيس الجماعة الاسلامية بعدة مساعي لدى الدوائر المسؤولة بالبرتغال بقصد الحصول على قطعة ارض لبناء مسجد بالعاصمة ، وكان يستعين هذا بسفراء الدول الاسلامية وفعلا تكونت لجنة من سفراء المملكة المغربية ، مصر العربية ، ليبيا ، تركيا ، باكستان وقامت اللجنة بعدة مساعي الى ان حصلت في النهاية على قطعة ارض من طرف بلدية لشبونة لبناء مسجد اسلامي في اجود احياء العاصمة ثم عملت اللجنة عدة اتصالات مع حكومتها بقصد المساومة في بناء المسجد وكذا مع بعض الدول الاسلامية الغير الممثلة في البرتغال بقصد الحصول على مساعدة مالية كمساهمة منها في تحقيق المشروع وقد وضع في انتهائه الحجر الاساسي للمسجد بصفة رسمية ، اما الصلوات فقد كانت تقام بصفة مؤقتة وخاصة صلاة الجمعة والاعياد والتراويح في ليال رمضان المعظم في قاعة بدار سكنى سفير مصر كان قد سبق ان تكرم بذلك للجالية الاسلامية وكان سفير مصر اذ ذاك يبذل مجهودات في هذا الباب تشمل عدة مجالات ، كما وضع كتيبا باصطلاحات املائية للغة البرتغالية بقصد النطق الصحيح للآيات القرآنية التي تكتب للبرتغاليين المسلمين كما كان يضع يومية سنوية بالتاريخين الهجري والميلادي حسب التوقيت المحلي لمدينة اشبونة وما جاورها وحصة لاوقات الصلاة في شهر رمضان المعظم ، وعندما غادر السفير المصري اشبونة بصفة نهائية اكترى رئيس الجماعة مكانا مؤقتا لاقامة الصلوات ريثما يبنى المسجد .

وقد جرت العادة أن تحتفل الجماعة في كل عيد فيساهم كل أفراد الجالية الاسلامية بواسطة اكتتاب لاقامة حفلة شاي او عشاء يوم العيد بقصد التعارف .

ان المسلمين بالبرتغال هم في حاجة الى من ياخذ بيدهم ويفقههم في دينهم فهم لا يعرفون من الاسلام الا مظاهره وخاصة الجيل الصاعد منهم فقد تجد الشاب منهم صائما ولكنه يدخن وهو لا يعلم ان التدخين يفسد الصيام ، كما ان لهم عوائد غريبة في اداء الشعائر الدينية ، فالفرد منهم لا يؤدي الصلاة الا بعد ان يضع طاقية في مؤخر رأسه وان لم يجد فمنديلا يظهر ان لهم بعض عوائد ماخوذة عن بعض المذاهب الاسلامية في البكستان او الهند ، فمسلمو الموزنبيق على الخصوص لهم سحنة خاصة بهم يشبهون كثيرا في تقاسيم وجوههم ولون بشرتهم للبكستانيين او الهنود حتى تظن انهم منهم واليهم وهذا اصله راجع الى هجرة الهجرة من الهند الى هذا القطر الذي هو مقابل له جغرافيا ولكن الشيء الوحيد الذي يلاحظ من هؤلاء هو حبهم العميق لكل مسلم وخاصة المسلم المنحدر من الاقطار العربية حيث يرون فيه المسلم الاصيل والقدوة الحسنة لانه يتكلم العربية والعربية هي لغة الدين وهم ذوو اخلاق طيبة فاذا علم الشخص منهم أنك مسلم يبادرك بالسلام ويعرض عليك خدمته ففيهم علماء اجلاء واطباء وذوو ثقافة عالية ولهم وزن في الحياة البرتغالية .

فقد يستنتج مما ذكر ان للاسلام مستقبلا مشرقا بالبرتغال ويمكن ان ينتشر بسرعة غيره في جارته اسبانيا بسببين التاليين :

(1) عقلية البرتغالي الخالية من التعصب الديني الاعمى كما اسلفنا ،

(2) الامتزاج بالعنصر الافريقي المسلم بالمصاهرة وهذا عامل اساسي وفعال في انتشار الاسلام وتجذره في البرتغال ، فالعنصر الافريقي المسلم متشبث بدينه وغيور عليه نظرا للاضطهاد الذي لاقاه من الوثنيين من ابناء جلدته في ارضه الاصلية حتى ادى به الحال الى الهجرة منها الشيء الذي لم يجده من طرف البرتغاليين.

هذه نظرة خاطفة عن المسلمين في البرتغال وحسب ما يبدو انها نهضة مباركة للاسلام بشبه جزيرة ايبريا على العموم وفي لوسيطانيا على الخصوص الذي نراه ينبعث فيها من جديد وما ذلك على الله بعزيز .

الرباط — محمد قشتيليو

المظاهر الثقافية فى الحضارة الاسلامية : 2

الرياضيات والفلك

للدكتور محمد كمال شبانة

من المجالات التى أسهم فيها العرب بنصيب وافر الرياضيات والفلك . وكان العرب فى صدر الاسلام لا يابهون لتعلم الحساب ، فلما تحضروا وراوا افتقارهم للحساب مالوا اليه ، ثم ما لبثوا ان استغرقوا فى طلب العلم كله على اختلاف انواعه ونقلوه الى لسانهم ، فكان الحساب فى جملة تلك العلوم .

ومن أكبر مآثر التمدن الاسلامى فى الرياضيات نقلهم الحساب الهندى ، والارقام الهندية من الهند الى سائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهند . والافرنج يسمونها عربية لانهم اخذوها عن العرب ، واول من نقل هذه الارقام عن الهند هو ابو جعفر محمد بن موسى .

ومن أعظم ما أسداه العرب للعالم فى الرياضيات اختراع علامة الصفر ، فهم اول من استعملوه كما تستعمله اليوم ، وهذا الاختراع جعل فى الامكان حل المعادلات الطويلة ، والعرب هم واضعو الكسر العشرى . وبصفة عامة فان الحساب اصبح بفضل العرب علما راسخا ، اذ صاغوه فى الصورة التى نالفها اليوم والتى اخذها عنهم الاوربيون .

واما الجبر فللعرب فضل كبير فى وضعه او تاليفه ، ففي حركة الترجمة من اليونانية نقل كتابان فى الجبر ، وقد اصبح معروفا ان هذين الكتابين ليسا من الجبر فى شىء ، او انهما قدما اصولا ضعيفة لا يعتد بها ، والاعتقاد السائد فى اوربا ان الجبر من موضوعات العرب .

والحقيقة ان العرب بعد ان اطلعوا على حساب الهنود واضافوه الى ما نقلوه عن اليونان بنوا على ذلك علم الجبر . وقد بلغ علم الجبر من الانتشار بين العرب الى الحد الذي الف معه ابن موسى كتابا موطئا له بامر المامون . ومن هذا الكتاب اقتبس الاوربيون — بعد زمن طويل — معارفهم الاولى لعلم الجبر .

ومن اشهر المؤلفات العربية فى الجبر كتاب الجبر والمقابلة ، الذى الفه محمد بن موسى الخوارزمى من علماء القرن الثالث الهجرى . والظاهر ان الخوارزمى جمع ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنودوالفرس ، واستخرج من كل ذلك الجبر العربى .

عنى العلماء العرب بشرح كتاب الخوارزمى مرارا فقد شرحه كل من سنان بن الفتح ، وعبد الله بن الحسن الصيدنانى ، وابى الوفا البوزجانى ، والبيرونى. وقد ترجم كتاب الخوارزمى الى اللغة اللاتينية ، وبذا انتقلت معارف علم الجبر العربى الى اوربا ، ولاصالة العرب فى هذا العلم فانه يعرف باسمه العربى فى جميع اللغات الاوربية .

والف ايضا فى الجبر ابو كامل شجاع بن اسلم، وابو حنيفة الدينورى المتوفى سنة 281 هـ ، وابو العباس السرخسى المتوفى عام 286 . وعن هؤلاء العلماء العرب وغيرهم اخذ الاوربيون اصول نهضتهم الحديثة .

ومما احدثه العلماء العرب فى الهندسة انهم طبقوها على المنطق ، وقد فعل ذلك ابن الهيثم اوائل القرن الخامس الهجرى ، فانه الف كتابا جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وغيره ، ونوع فيها الاصول وقسمها ، وبرهن عليها ، وادخل التحليل الهندسى والتقدير العددى ، وعدل فيه عن اوضاع الجبريين والفاظهم .

وقد اشتغل بن موسى بن شاكر باستخراج مسائل هندسية لم يستخرجها احد من الاولين ، كقسمة الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ، وغير ذلك .

وبجانب ابن الهيثم والحسن بن موسى نجد علماء آخرين اشتهروا بابحاثهم فى الرياضيات ، مثل محمد بن محمد البوزجانى من علماء القرن الرابع الهجرى ، وقد اشتغل هذا العالم بعلمى الفلك والرياضيات ، ويقول عنه علماء اوربا : « ان له فى الهندسة استخراجات غريبة ، لم يسبق اليها ، وله كذلك مبتكرات فى الاوتار » . وقد كتب هذا العالم فى الجبر ، وكتب فى العلاقة بين الجبر والهندسة ، وله بحوث قيمة فى المثلثات ، وادخل تجديدات على القطاع ، وعلى يده تقدمت نظريات المثلثات .

واشتهر فى اوائل القرن الرابع ايضا محمد بن الحسن الخازن ، ويقال عنه انه اول من حول المعادلات التكعيبية بوساطة قطوع المخروط ، وله بحوث كثيرة فى المثلثات .

واشتهر فى هذا العصر ايضا ابو عبد الله البتانى فى الفلك والرياضيات ، وكان لهذا العالم باع طويل فى الهندسة وحساب النجوم ، وقد ترجمت بعض مؤلفاته الى اللاتينية وطبعت بروما سنة 1799 .

ويحتل بعض علماء الرياضة العرب الذروة فى نظر الاوربيين ، فمما هو مشهور عن الاستاذ كارل ساخاو — الذى كان استاذا للغات السامية فى جامعة فيينا — قوله عن البيرونى : انه اعظم العقول التى ظهرت فى العالم . كما يعتبر البتانى — فى نظر أحد اساتذة فرنسا الكبار — واحدا من عشرين رياضيا ظهروا فى العالم الحديث والقديم .

وفى ختام الحديث عن الرياضيات تحسن الاشارة الى اهم ما يمكن أن ينسب الى العرب من التجديدات، فهم قد ادخلوا الخط المماس الى حساب المثلثات ، وحلوا المعادلات المكعبة ، وتوسعوا فى مباحث المخروطات ، وحلوا تجيوب محل الاوتار ، واشاروا النظريات الاساسية لحل مثلثات الاضلاع ، كما انهم توصلوا الى نتائج باهرة فى علم الضوء ، وامتداد الضوء على السموت المستقيمة ، وفى الاضواء العرضية والمنعكسة ، وانعكاس الضوء وانعطافه .

ولا يسعنا الا القول بان تجديدات العرب فى هذه المسائل وغيرها كانت ثورة علمية بعيدة الاثار بالنسبة للحضارة الاوربية الحديثة .

بجانب دراسة الرياضيات اهتم العرب بدراسة الفلك وصار لهم فى هذا العلم فضل كبير ، ويكفى انهم جمعوا فيه بين مذاهب اليونان والهند والفرس نبغ فى هذا العلم محمد بن موسى الخوارزمى ؛ وقد اصطنع هذا العالم « زيجا » جمع فيه بين مذاهب الهند والفرس والروم . وقد اخترع الخوارزمى فى

مؤلفه ابوابا حسنة ، فاستحسنه اهل عصره وطاروا به فى الآفاق . (الزيج كتاب فيه جداول حركات الكواكب يؤخذ منها التقويم) .

وقد اشتهر فى علم الفلك ايضا بنو شاكر الثلاثة، ومن اعمالهم المشهورة انهم قاسوا للمأمون درجة خط نصف النهار ، واستعملوا فيها محيط الارض . وقد الف بنو شاكر كتبا جليلة فى الفلك ودرجة خط نصف النهار ، واستعملوا فيها محيط الارض . ونبغ فى هذا العصر ابو معشر البلخى المتوفى سنة 272 هـ، وقد الف ابو معشر فى علم الفلك كثيرا . واشتغل بالفلك كل من البوزجانى والبيرونى ، وفى القرن السابع الهجرى نبغ فى علم الفلك نصير الدين الطوسى

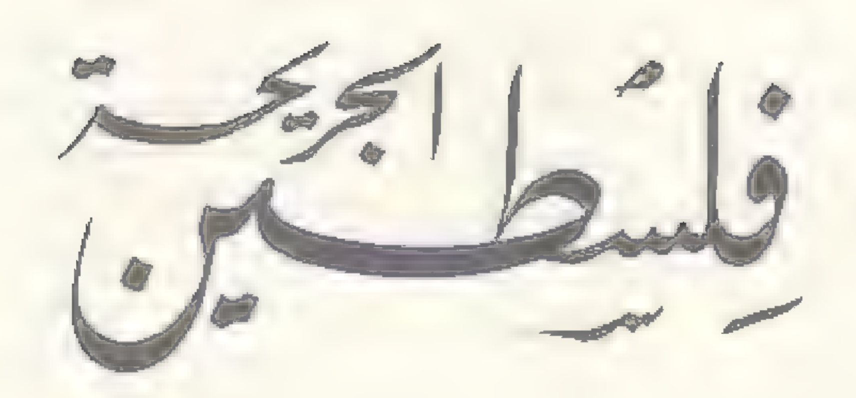
وقد انت مباحث العلماء العرب والمسلمين فى علم الفلك الى نتائج هامة ، ومن اول ما يشار اليه فى هذا الصدد ما قالوه بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ، ولعلهم اول من عمل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها كلية ، ولكنهم مالوا بعلم الفلك نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم الكيمياء .

وقد ادى الفلكيون العرب خدمات جليلة للانسانية بما توصلوا اليه من نتائج هى ثمرة تجاربهم وابحاثهم، فان تقديرهم لانحراف سمت الشمس هو ما يعدل التقدير الذى انتهى اليه علماء الوقت الحاضر ، وقد نشأ عن تحقيق العرب للاعتدال الشمسى تعيينهم مدة السنة بالضبط ، وقد اقدموا على قياس خط نصف النهار الذى لم يوفق اليه علماء اوربا الا بعد مرور عشرة قرون .

هذا ، وكانت المراصد التى انتشرت فى حواضر العالم الاسلامى — حتى القرن الثامن من الهجرة — مراكز ابحاث هامة فى علم الفلك ، وقد زودت هذه المراكز بالكثير من الاجهزة والآلات التى استخدمها فلكيو العرب فى تجاربهم ودراساتهم . والى هذه المراصد يعود الفضل فيما استطاع العرب ان يتوصلوا اليه من الحقائق .

اخيرا ، لقد انتقلت المعارف التى توصل اليها العلماء العرب فى علم الفلك الى اوربا ، وانه استنادا اليها فقد نشأ علم الفلك الحديث .





للأستاذ شهاب حنبكلي

جرح العروبة بالفداء سيزهر ... ودم الشهيد على الغزاة زواجر
صوت الوفاء يشق أطراف الدجى ... والواهبون نفوسهم لم يخسروا
جنت ماقى الروع واحتبست لها ... انات شعب مزقته الاعصر
كانت عيون السفح تغضى بالاسى ... واليوم بالعزم الشديد تحرر
ان كان فى الاعصار ادمع نازح ... شدت عليه صواعق ومخاطر
فلسوف ينقشع الغمام ويرتوى ... من أرضنا شمخ علا ومعابر
بيسان (1) تخوى من قيود غزاتها ... وجنين تشكو من قرى يدعر
فى كل يوم تستقى ارباعهم ... حمرا طهورا من رعبل يجار
الارض ثكلى ، والعزيز مشرد ... والام ظمأى ، والدماء تخبر
ارض العروبة ما انحنت لملمة ... فالريح تعصف بالوضيع وتدسر
صفحات قلب المشرفى (2) شبهت ... وشهامة الابطال أضحت تفخر
هاجت رياح (3) فى الجنوب تراعها ... أنباء عقد فى الرباط توقر
طلعت نجوم فى الضحى تتلالات ... والشمس تبسم للقاء وتخطر
عبرات قومى فى الفواجع بدلت ... يوم الرباط بفرحة لا تنكر
والطامحون بأرضنا لم يفلحوا ... فى غرسهم للفساد يسجر (4)

(1) بيسان وجنين مدينتان فى فلسطين
(2) المشرفى : سيف له شهرة ، وكناية عن الاستعداد للقتال .
(3) رياح فى الجنوب : اى اسرائيل .
(4) يسجر : يوقد ويزداد اشتعالا

عـادت الينـا عـزة لا تنثنـى
وتشـابت ربـح الفجـاج وقد غدت
فاذا الصبـاح يـرد ليـلا قاتمـا
واذا السمـاء تهـز طـرقا ماجـدا
نفيـا الشهامـه في حنايـا امتـى
حدب عليهم مـن عميـق جـراحنا
نـاد الحقيقـة للعروبـة وانجلـت
حمل الامانـة للتيـام بنهضـه
والقـدس انت مـن جـراح غزاته
دوت فلسطيـن الجريحـة صيحـة
مـن كان ذا صول فيحمـى ارثنـا!
مـن كان ذا قـدر يحـرر قدسنا ؟
عمـر الفتـى ، مقيـاسه بفعـالـه
اسلامنـا يحميـه مـن قاد الجيـو
طابت لـه الدنيـا بقـدرة يعـرب

عـادت الينـا قـوة تتفجـر
مـن عاديـات النصـر صوتا يغمر
واذا الفيـاق تستجيب وتظهـر
واذا الوجـوه مشاهـد وبشائـر
والمخلصـون تعانقـوا وتآصـروا
والعـن تهفـو للمليـك وتنظـر
آفـاق فجـر للمروءة تـذكـر
تعطـى الفـلاح لامـة تتحـرر
قـرات عـزاء في الرباط يـزمجـز
كـانت لهـا فاس تـرد وتـزار
والعاهـل المغـوار ليـث اغـدر
ومليكنـا في عهـدة بتصـدر
والزائفـون بـدهم لـن يـذكروا
ش لوحـدة في مغـرب لا يقهـر
ولـه المـروءة حافظـا يتبصـر

(5) مؤتمر القمة الاسلامي في فاس ، وتسلم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رئاسة لجنة انقاذ القدس

على هامش نداء اليونسكو لانقاذ آثار مدينة فاس :

تصويبات لبعض الأخطاء بالمدرسة البوعنانية

- 2 -

للدكتور عثمان عثمان اسماعيل

اشرت بالمقال السابق الى وجود رخامة صغيرة الابعاد حديثة العهد ملتصقة باحد جانبي مدخل المدرسة الشهيرة باسم (البوعنانية) بالطالعة الكبرى من مدينة فاس ، وقد نقش باللوحة المذكورة اسم المؤسس وتاريخ البناء فى اربعة اسطر هذا نصه (مدرسة البوعنانية اسسها ابو عنان المرينى بتاريخ 759 هجرية) .

لقد اوضحت للقارىء الكريم بالمقال السابق الخطأ التاريخى الوارد بتلك اللوحة ، وقدمت نصا لنقش التاسيس والتحبيس الاصلى على المدرسة المتوكلية التي اسسها امير المؤمنين ابو عنان المرينى بمدينة فاس .

ولا باس مرة اخرى من تذكير القارىء الكريم باهم عبارات النص الذى اوردناها بالمقال السابق لامكان متابعة البحث وتحليل نقش التحبيس الاصلى :

(... امر **بانشاء هذه المدرسة** المباركة السنية **المسماة بالمتوكلية المعدة لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة امير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين على الله ابو عنان فارس** ابن مولانا الامام العادل الفاضل ...**امير المؤمنين ابى الحسن** ابن مولانا ... ابى سعيد ...**وكان ابتداء بنائها** فى الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم **عام احد وخمسين وسبعمائة والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة** وكان بناؤها على يدى الناظر فى الحبس بحضرة فاس حرسها الله تعالى ابى الحسن بن احمد بن الاشقر وفقه الله تعالى ...)

وكنا قد بدانا تحليل نقش التحبيس بالمقال السابق ووقفنا على اهمية النص على (الامر بالانشاء)، ثم تحديد وظيفة المؤسسة فاسمها الاصلى (المتوكلية) ومصدره ثم لقب امير المؤمنين الى ان وصلنا الى تحليل قيمة اللقب التاريخى التقليدى (المجاهد فى سبيل رب العالمين) الذى يطبع عصور ودول المغرب الاسلامى .

ونشرع الآن فى تحليل بقية النص مع دراسة الميزات المعمارية للمدرسة المتوكلية ومكانها بالنسبة لتطور التصميمات المعمارية الاسلامية بالمغرب والمشرق .

※ وقع خطأ مطبعى بالعدد 4 (يوليوز 1980) فى مقال (على هامش نداء اليونسكو) ص 67 بشرح اللوحة الاخيرة . وصحة الشرح (نص رخامة التاسيس والتحبيس لمدرسة ابى الحسن المرينى بسلا المؤرخة بعام 742 هـ) .

6 ـ (لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة) :

ويوضح النص هنا القصد من تشييد ذلك البناء كمدرسة لتدريس العلم شأن بقية المدارس المرينية السابقة ثم يضيف ميزة أخرى للبناء تنفرد بها تلك المدرسة عن بقية المدارس الاخرى باعتبارها مسجدا جامعا يقام فيه فرض الجمعة ، لقد اصبحت البوعنانيه حقيقة الجامع الرابع بمدينة فاس بعد القرويين وجامع الاندلس والمسجد الكبير بفاس الجديد . وهكذا تنفرد البوعنانية عن المدارس المعروفة باشتمال وحداتها المعمارية على صومعة في نفس الوقت الذي زود فيه بيت الصلاة بمنبر لخطبة الجمعة . لقد اصبح البناء مدرسة ومسجدا كما حدث في القاهرة بالنسبة لمدرسة السلطان حسن او جامع السلطان حسن في مواجهه القلعة .

على ان ذلك النص يفيد الاثرى من جهة أخرى، انه يجعلنا ندرك يقينا بان البناء قد زود منذ بداية تشييده بصومعة مرينية ومنبر مريني ، لانه من الجائز ان يعتقد الباحث باضافة تلك الوحدتين ـ الصومعة والمنبر ـ في عصر متاخر عن عصر بناء المدرسة نظرا لخلو جميع المدارس المرينية الاخرى من هاتين الوحدتين واعنى بذلك الصومعة والمنبر ، خاصة بعد ان نقل المنبر أخيرا الى متحف البطحاء بفاس .

7 ـ (المتوكل على الله ابو عنان فارس) :

مر بنا ان (المتوكل على الله) لقب استمدت منه المدرسة اسمها . (وابو عنان) هى الكنية كما سبق تبيانه ، اما (فارس) فهو الاسم . لكن المهم هنا النص على ان الامر بالبناء (أمر بانشاء هذه المدرسة) تم توضيحه بالاسم والكنية واللقب مع تواجد التاريخ الذي تناقشه بعد اسطر ويقع ضمن مدة حكم ابن عنان . وبهذا يكون ابو عنان قد أمر بالانشاء وباشر ذلك وتم جميعه في مدة حكمه هو حيث نرى سوابق أخرى يقوم فيها ولى العهد بالبناء في حياة ابيه كما حدث عندما باشر ابو الحسن في ايام امارته تشييد بعض مرافق الدولة ومدارسها بأمر والده السلطان ابى سعيد عثمان الذى لم يترك نقشا تأسيسيا في حياته لتلك المؤسسات .

ـ (وكان ابتداء بنائها في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم عام احد وخمسين وسبعمائة).

لا خلاف هنا على تاريخ البدء في البناء الذى وقع في عهد امير المؤمنين ابى عنان سنة 751 للهجرة، لكن الموضوع يجب ان يطرح تساؤلا آخر لان ذلك التاريخ يدخل من جهة أخرى في حياة امير المسلمين أبى الحسن والد ابى عنان الذى كان بقيد الحياة حتى عام 752 هجرية . ونحتاج هنا الى تحديد وضع السلطان ابى عنان فهل كان في ذلك التاريخ وليا للعهد مثلا ننفذ اوامر السلطان ؟ يذكر المؤرخون ان ابا عنان ثار على والده ابى الحسن وتابعه الى نواحى وادى ام الربيع حيث تراجع ابو الحسن الى جبل هنتانة ، والمعلوم ان ابا الحسن توفى 23 ربيع الثانى سنة 752 هجرية (13 يونيو 1351 م) (1) وكان ابو عنان قد بويع منذ (منسلخ ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبعمائة) (2) وباشر مسؤولياته كامير للمؤمنين قبل وفاة (3) ابيه .

A.BEL. IBID TX I. Nov. Dec. 1918 P. 342

(2) الاستقصا 182/3 .

(3) عن وفاة أبي الحسن ودفنه الاول ثم نقل جثمانه الى شالة راجع كتابنا تاريخ شالة ثم حفائر شالة .

9 ــ (والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة) :

وهكذا كمل البناء ووقع الفراغ منه فى حياة امير المؤمنين ابى عنان آخر السلاطين العظام فى تاريخ الدولة المرينية الذى توفى عام 759 (4) للهجرة . وبالنسبة الى تاريخ تمام البناء فقد وقع خلط فى الجزء الثانى من جامع القرويين حيث ذكر الدكتور عبد الهادى التازى اولا تاريخ 756 هجرية (ولم تتم الا فى اواخر شعبان المكرم من سنة 756 (5) هجرية ، ثم يعود بصفحة تالية الى القول بان الفراغ منها كان 755 (6) . ولهذا لزم التنويه والاشارة الى قراءة (الفردبل) الذى قام بعمل قالب جبسى لدراسة النص وذكر ان (الفراغ منه كان آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة) (7) .

ومن هذا رابنا ان اللوحه الصغيرة الملصقة حاليا بمدخل المدرسة موضوع ابحث انها تحمل تاريخا واحدا فقط (اسسها ابو عنان المرينى بتاريخ 759 هجرية) بعيدة عن الصواب وتستحق الوقوف عندها للتصحيح نظرا لاهمية البناء التاريخية وشهرته وقيمته المعمارية ... ذلك ان المدرسة بدا بناؤها سنة 751 وتم تشييدها 756 هجرية .

وفضلا عن انفراد المدرسة المتوكلية بين مدارس المرينيين بالصومعة (8) والمنبر ، فلا باس هنا أن نتعرض لترتيبها بالنسبة لتطور التصميمات الهندسية لتلك العمائر الاسلامية .

وفى هذا الصدد يمكننا الآن تقسيم مدارس القرن الثامن الهجرى بالمغرب الاقصى الى ثلاث مجموعات داخلة فى النطاق التاريخى لمؤسسيها ، وذلك بعد مدرسة الصفارين (ابو يوسف يعقوب 670 هـ وهى المدرسة الوحيدة التى وصلتنا من القرن السابع الهجرى .

لقد شيد المجموعة الاولى السلطان ابو سعيد عثمان الاكبر (4) فخر الدولة المرينية المتوفى عام 731 هجرية . ويضم تلك المجموعة مدرسة فاس الجديد (او مدرسة دار المخزن) (9) التى امر ببنائها ابو سعيد عثمان عام 720 هـ وتمت فى ذى القعدة عام احد وعشرين وسبعمائة بمباشرة ولى عهده الامير ابو الحسن . ونحن نعلم ان ابا سعيد عثمان لم يترك نقشا تاريخيا بتاسيس المدرسة والاعيان المحبسة عليها وانما تم ذلك بامر ابى الحسن بعد وفاة ابيه كما تقرا بنقيش لوح التحبيس (... وبعد ، فهذا ما امر بتخطيطه وانشائه ::: مولانا الخليفة الامام ... ابو الحسن واسطة سلك ملوك المرينيين ... حكم ما كان والدهم مولانا الخليفة الامام المرحوم ابو سعيد ... ذخره من اعمال البر ... وكمل بناء هذه المدرسة المباركة وبدى بالاقراء فيها

---

(4) عن تاريخ وفاته ودفنه كاول ملك مرينى يدفن بفاس الجديد وخارج خلوة شالة راجع كتابنا تاريخ شالية .

(5) جامع القرويين 363/2 .

(6) نفس المصدر 364/2 .

(7) A.BEL : نفس المصدر الجزء 12 نوفمبر وديسمبر 1918 ص 365 .

(8) موجز سيرته بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 289 ، ثم انظر تحقيقاتنا التاريخية حول مكان دفنه واكتشافنا لقبره بشالة فى كتابنا حفائر شالة الاسلامية.

(9) كتابنا دراسات جديدة فى الفنون الاسلامية والنقوش ص 216 وراجع كتابنا حفائر شالة ص 382 وما بعدها .

وسكناها (10) فى ذى القعدة عام واحد وعشرين (11) وسبعمائة) .

وتاتي بعد ذلك مدرستان اسستا فى عصر أبى سعيد عثمان بمباشرة ولى عهده ابى الحسن كذلك ، ونعنى بهما مدرسة الصهريج المؤسسة سنة 721هـ ومدرسة السبعيين ، المجاورة والمعاصرة لها (12) ، وكانت مدرسة تازة التى شيدها ابو سعيد عثمان سابقة على مدرسة الصهريج بقليل حيث ورد اسمها فى النقش التاسيسى لتلك المدرسة الاخيرة .

وكانت اشهر مدارس فاس والمغرب على الاطلاق مدرسة العطارين (13) من بناء ابى سعيد عثمان ما بين عامى 273 و 275 هـ (1323 — 1325 م) ونقرا فى نقش التاسيس :

(... وبعد فهذا ما حبسه وامر بتخطيطه وانشاءه ... ابو سعيد ::: برسم المدرسة التى اتم بناءها فى عام خمسة وعشرين وسبعمائة وهى المقابلة لسماط العطارين من فاس القرويين (14) .

اما المجموعة الثانية من المدارس المرينية فقد تم تشييدها مدة حكم امير المسلمين السلطان ابى الحسن وتشتمل على مدرسة سلا لصق المسجد الاعظم بطالعة سلا وهى المؤسسة سنة 742 هـ «1341 م» (15) ، ثم المدرسة المصباحية (16) بفاس المؤسسة عام 747 هـ (1346 م) (17) ، هذا وقد

---

(10) لاحظ تحديد وظيفة المدرسة المرينيه .

(11) A.BEL : نفس المصدر لجزء العاشر للوقوف على المعلومات التالية :

ص 137 وما بعدها ، عن مدرسة دار المخزن.

ص 144 الغرض من المدارس بالمشرق والمغرب

ص 145 المدارس المغربية من عمل الملوك بينما المدارس بالمشرق تنسب الى الوزراء .

ص 148 اول مدرسة مرينيه .

ص 149 تشييد المدارس المغربية جميعها فى اقل من قرن .

ص 151 اقراره بقيمة وعظمة المدارس المغربية

ص 160/158 القراءة الكاملة لنقش تاسيس مدرسة دار المخزن وترجمته الفرنسية .

(12) الجزء الثاني من جامع القرويين للدكتور عبد الهادى التازى .

G. Marçais : L'architectare Musulmane d'acci dent P. 287-288 et fig. 175-176

(13) A.BEL : نفس المصدر جزء 12 حيث ص 189 مدرسة العطارين ، ص 196 صورة لوح التاسيس ص 205 تخطيط الطابق الاسفل لمدرسة شكل 31، ص212 ربا مدرسة العطارين المعاصرة للبناء شكل 33 ص 250/212 القراءة العربية وترجمة جميع النقوش العربية فوق تيجان الاعمدة وجدران المدرسة .

(14) نفس المصدر ص 198/197 قراءة نص نقش التاسيس . وكتاب مارسيه عن العمارة ص 288 وشكل 177 .

(15) كتاب دراسات جديدة فى الفنون الاسلامية والنقوش ص 126 واشكال 83 — 85 . وكتب مرسيه ص 289 وشكل 179 .

(16) نفس المصدر ص 216 . وكتاب مارسيه عن العمارة ص 289 وشكل 178 .

(17) القربيل : نفس المصدر ج 12 سبتمبر واكتوبر 1918 حيث نجد :

ص 250 المدرسة المصباحية 747 هـ ، ص 255 صورة لوحة التاسيس ، ص 256 نص النقش الكتابية بمختلف وحدات وعناصر المدرسة . ص 266 تخطيط المدرسة المصباحية (مدرسة الرخام) ، والى ص 276 يعطينا جميع قراءة النقوش التاسيسى .

نقش نص التأسيس للمدرسة المصباحية بخط نسخي متقن وبديع فوق الرخام من اربعين سطرا نقرا منه « وبعد فهذا ما امر بتخطيطه وانشائه ... مولانا الخليفة الامام ... ابو الحسن على ابن مولانا امير المسلمين ... ابى سعيد ابن ... » (18) ، كما شيد ابو الحسن مدرسة العباد قرب تلمسان (الواقعة ضمن الحدود الجزائرية اليوم) فى نفس تاريخ بناء المدرسة المصباحية .

وتمثل المجموعة الثالثة المدرسة البوعنانية بمكناس وكان قد شرع فى تاسيسها امير المسلمين ابو الحسن واتمها خلفه امير المؤمنين ابو عنان فارس عام 751 هـ ولهذا نسبت اليه . ومن هذه المجموعة كذلك المدرسة (العجيبة) بسلا من تاسيس ابى عنان وقد تحولت فيما بعد لما عرف بفندق اسكور قبل ان تتحول اخيرا الى محكمة حديثة البناء قديمة التصميم لا زالت تحتفظ بمدخلها القديم الاصلى من عهد بنى مرين . كما تدخل ضمن هذه المجموعة الثالثة اى (البوعنانية) المدرسة المتوكلية موضوع بحثنا هذا والتى شرع ابو عنان فى تاسيسها عام 751 هـ وتم تشييدها كما اسلفنا مفصلا عام 756 هـ كما هو مسطور باللوحة الرخامية الحديثة الملصقة بمدخل المدرسة الرئيسى وسبب اثارة هذا الجدال.

ويعنيف الآن امر تلك المجموعة الثالثة التى تنتسب اليها المدرسة المتوكلية موضوع البحث ، فان تلك المجموعة من العمائر المدنية والدينية فى نفس الوقت (حيث يقيم ويتابع استذكار دروسه ويتعبد طلاب جامعة القرويين التى تتوسط التوزيع الجغرافى لتلك المدارس) تمثل تطور مراحل التصميم والتخطيط فى سلسلة المدارس الاسلامية بالمغرب ابتداء من النظام الذى بدا بسيطا متماثلا خاليا من التعقيد فى مدارس فاس الجديد والتدريج الى النظام المركب المعقد فى بوعنانية فاس اى المدرسة المتوكلية موضوع البحث .

ان النظام المركب والتخطيط المعقد الذى تتميز به تلك المجموعة يعكس عبقرية المهندس المغربى فى عصر الدولة المرينية (القرن الثامن الهجرى = 14 م) وقدرته الفائقة على تعبير محاور البناء وتصرفها بكفاءة منفردة فى تصميم العمائر ذات المرافق العامة المتعددة حيث تبدو سمته البارزة التى تدخل . متناسقة التنظيم . متتابعة الاقسام ، منطقية الترتيب، متناظرة الوحدات ، على الرغم من انها شيدت فوق مساحة ارضية غير منتظمة الشكل تحيط بها عدة مبان من عدة جهات لا تترك للمهندس المعمارى الفرصة الكافية والابعاد الحرة اللازمة لتصميم الواجهات والمداخل والمرافق ، ولعل هذا هو سر العبقرية المغربية فى تخطيط وهندسة العمائر الاسلامية التى تمثلها تلك المجموعة من المدارس المرينيــة .

وفضلا عن ذلك كله تشتهر المدرسه المتوكلية «البوعنانية» (19) موضوع الدرس بالمنجانة (الساعة) الغريبة الصنع الشهيرة الوضع فى مقابل باب المدرسه، وقد تم تركيبها وتصميمها بامر ابى عنان من طيقان وطسوس من نحاس جعل شعار كل ساعة ان تسقط صنجة فى طاس وتنفتح طاق وذلك عام 758 هجرية.

ويشتمل بيت الصلاة بالمدرسة الجامع على اسكوبين فى موازاة حائط القبلة ، وينفرد بخصوصيات

---

(18) النص الكامل بنفس المصدر ص 256 — 257 واشكال 182 — 183

(19) كتاب مارسيه عن العمارة : بوعنانية مكناس ص 291 ، بوعنانية فاس ص 291 — 294

معمارية تميز البناء عن بقية مدارس المغرب ، وينفتح على الصحن بخمسة عقود (اقواس) تربط سعته باتساع الصحن ليعكس تخطيطه خصائص المساجد المرينية .

هذا ، ويبرز تصميم البوعنانية وحدة الفن المعماري في العالم الاسلامي بالمشرق والمغرب من حيث تشابهه لتخطيط مدرسة السلطان حسن بالقاهرة في نظام الايوانات الجانبية ، كما يكشف عن سنة التطور في الفن الاسلامي على مستوى التطور بالنسبة لفنون العمارة العالمية اذ تمثل عناصر العمارة والزخرفة بتلك المدرسة روعة الطراز المغربي الاندلسي الذي اثرى فنون المغرب وتميز بحلاوة الاعمدة الرقيقة وطلاوة التيجان المنحوتة والنقوش والزخرف اجماله فوق عنصر الخشب والجص والرخام . وابتكر التركيبات الهندسية والتسطير والتوريق ، وانتشار وسيادة فنون الزليج التي خلدت روائع التشكيلات وعجائب التركيبات ، والنقش الكتابية التي لعبت دورا بارزا الى جانب شبكات المعينات الزخرفية التي كست جدران المباني وواجهات الصوامع لتؤكد خاصية الهرب من الفراغ التي ميزت الفن الاسلامي بين فنون العالم اجمع بجمال الايقاع مع تناوب الوحدات وتنوع المواد والالوان .



قصة قصيرة



الدماء تعكر الوادي

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

دخل « الشاوش حميدة » على الكاتب العام لرئيس ناحية مدينة مكناس ، وعلى وجهه بعض الشحوب ، وفي كلامه بعض الاضطراب ، ليخبره ان جماعة من المعمرين بناحية مكناس جاءوا يطلبون مقابلته ، ثم مقابلة رئيس الناحية فورا ، وفي هذه الضحى بالذات .. والعادة جرت الا تتم مثل هذه المقابلة ، وفي هذا المستوى العالي ، الا بعد ارسال طلب مكتوب ، فيه توضيح الغرض من المقابلة ، ثم تعقب ذلك مرحلة الانتظار ، وتاتي المقابلة عاجلا ، او آجلا او ترفض !

قال الكاتب العام : ماذا يريد منا هؤلاء الجفاة ؟

وضغط على زر الهاتف الداخلي ، وطلب من الكاتبة الخاصة للرئيس أن تعلمه برغبة جماعة من المعمرين الفرنسيين والمتفرنسين من مقابلته ...

ضحكت ضحكة حلوة في الهاتف وقالت :

ـ لقد رآهم داخلين من خلال الشرفة ، ولذلك انسحب وتركها معلقة في عنقك يا عزيزي « ايريك ».

ـ تتلذذين بتعذيبي ايتها الهرة الظريفة ! سارد لك الصاع بصاعين ، لحظة التقائنا المقبلة ، ولا مسامحة !

ـ اياك ان تتربص بالنساء أو تتوعدهن ، تضر لك ان تسالم او تستسلم ، هذه نصيحتي ..

ـ دعيني من هذا ، وابحثي معي عن حل لهذا « القطيع » من الثيران الذي يحاصر مكتبي .

ـ ارسلهم الى المجزرة ، واوص الجزار ان ياتيني ويأتيك بقطعة من كبد « بوجي » الوقوح ، الثقيل الظل !

ـ اتركك ، انهم يطرقون الباب ...

دخل المعمر « بوجي » تسبقه بطنه المنتفخة ورائحة سيكاره ، الضخم المقذر الرائحة ـ والسيكار من لوازم شخصية هذا الرجل ، فهو لا يفارق فمه ، لا مشتعلا ولا منطفئا ، وهو به يستأنس بحجمه الثقيل بين شفتيه ، صامتا ومتحدثا ، متعطلا وعاملا، منشرحا وغاضبا .. ولا يعرف احد كيف يستطيع التحكم في هذا القضيب الغليظ ، في كل تلك الاحوال !

— انعمت صباحا يا سيدى الكاتب العام ، اننا نحن الفلاحين — ومعذرة — لا نتقيد بضوابط الادارة ، ولا بقيود « الاتيكيت » ، نحن جفاة كما تسموننا ، ولكننا ابعد ما نكون عن النفاق والنميمة ، والشتم من وراء الظهور ، ما نود ان نقول نقوله بكامل الصراحة وبالمواجهة - و —

وقبل ان يدعوهم الموظف السامى الى الجلوس ، توجهوا بعد كبيرهم « بوجى » واخذوا يحتلون الكراسى والارائك ... وامتعض الكاتب العام من هذا التصرف الخالى من اللباقة ، وبادر قبل ان تثار مواضيع لا فائدة منها ، وسأل :

— ايها السادة ، ماذا وراءكم ؟

قال بوجى بصوته الابح ، مشيرا بيده الغليظة:

— الماء ، الماء ، يا سيدى الكاتب العام ، جئنا ممثلين لاصحابنا ، من معمرى ناحية مكناس ، دعنى اولا ، اقدم لك الاصدقاء الحاضرين ... المتحدث اليكم معروف لديكم ولدى الجميع ، فلا حاجة الى ان يقدم نفسه ، انه مثل « الثور الابلق » كما يقول هؤلاء المغاربة ، الذين ابتلينا بهم ، والذى بجانبى هو « فيكتور » الذى يلقبونه بالديبلوماسى ، والذى بجواره هو « لاند » المعتى الملقب « بوقفا » والثالث هو « جاك » العملاق ، غير انه — بالمناسبة — لا يستطيع ان ينزع دجاجة وهى راقدة فوق بيضها — والذى تراه قبالتى هو الصديق اللدود « كارسيا » الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية ، ميزته انه اشدنا كرها للاهالى المغاربة ، ويختار لهم النعوت المناسبة ... آه بجواره ذاك البرتغالى القادم الينا منذ أعوام قليلة ، غير انه بدهائه ومهارته استطاع ان يقتنى كثيرا من البقاع الزراعية ، انتزعها من أيدى الاهالى وهم راضون ضاحكون ، اظنه اصبح ملاك اراض اكثر منى ، وهذا من غرائب الاستعمار الفرنسى ذى النظرة الانسانية والتعاطف الروحى مع اخوانه من سكان القارة السعيدة أوربا ... لم يبق بعد هذا الا الصديق الشهم الجالس عن يمينى انه الايطالى الرومى الخالص ، وابن رومة الاصيل ، انه رفيقى فى الصيد لانه مثلى قناص ماهر ... لكم يحكى عن بنى جلدته القاطنين فى طرابلس الغرب ، الذين يقتنصون الاهالى — سرا وعلانية — كما تقتنص الارانب ، ولولا فضول بعض الدول لاخلوا مدينة طرابلس ممن يعمرونها بلا استحقاق ، كما تخلى الغابات من الوحوش ، ليعمرها الناس الايطاليين بعد ذلك ... طالما تساءل فى مجامعنا الخاصة : هل هناك من سبيل لتحقيق هذه الفكرة هنا ، فى ارض المغرب الفرنسية ، على اعتبار ان اجدادنا الرومان استقروا ازيد من اربعة قرون بقانون خاص للمستعمرات ...

— يا صديقى الحكاية طويلة ، لندخل الى الموضوع ...

— الموضوع ؟ الموضوع هو اننا عزمنا على تحويل مياه « نهر ابى فكران » الى مزارعنا وضياعنا ومغارسنا والى صهاريجنا وخزاناتنا ... من الآن لن يبقى « بوفكران » من روافد اى نهر كبير ، لن تضيع منه قطرة ماء ، وبالتالى لن يضيع فيما يضيع فيه الان .

— ولكن مياه « وادى بوفكران » تشرب منها جموع من السكان ، ويسقى منه الفلاحون الموجودون على ضفتيه ..

— لقد ثبت لدينا ان الاوربيين لا يهتمون بالشرب من هذا النهر ، وهم العنصر الذى كنا نخشى ان يمسه الضرر من مشروعنا ، اما الاهالى فيمكنهم ان يشربوا من الآبار والسواقى والعيون ، كما جرت بهم العادة ... مسألة السقى تتوقف عند الفلاحين الاهالى — بعد ما ينعمون بالفيء والكسل والاشتغال بالتوافه — على نزول المطر ، منذ لم ينزل ، استمراره

بالدعاء والصلاة ، فاذا استجيب دعاؤهم وقبلت صلاتهم ونزلت الامطار — فان كل صعوبة تزول … اما نحن فليس عندنا صلاة ولا دعاء لهذا الغرض ، فمن حقنا ان نستفيد مما هو ميسر .. افكار وجيهة ؟

— انا لا اراها وجيهة ، ان الحكومة الفرنسية تحملت الكثير من التضحيات المالية والبشرية من اجل « التهدئة » والقضاء على المقاومات وحرب العصابات ، ان عمليات « الفتح » لم تتم الا منذ اعوام قليلة ، ويقال ان بعض الجيوب الجبلية والصحراوية لا تزال لم تخضع بعد .. وانتم بهذه الحركة تريدون تحريك ما هدا واثارة ما سكن ، ان سفوح الاطلس مثل جباله صعبة المراس ، ولا تخلو خباياها من مفاجآت … ان الرؤوس الاطلسية الحليقة التى تتوهمونها مطاطئة خاضعة ، والوجوه الشاحبة والعيون القلقة التى تتصورونها فزعة حائرة، هى فى الواقع ليست كذلك ، خصوصا وان القلوب اصلب من الحديد ، وان التحمل مثل تحمل الصخور الجبلية بل اشد … اراكم تسيرون الى فتنة لا تبقى ولا تذر ! على كل حال ، سابلغ رئيس الناحية اقتراحكم ، واتمنى ان تزودونا بالمقترح مكتوبا ، لنتمكن من دراسته بتفصيل .

— سيدى الكاتب العام ، انت كما انت دائما ، اغيب عنكم شهورا واعواما ، ثم اعود فاجدكم فى نفس المستوى من التفكير ، غير العميق ، عفوا ، ومن وضع الكثير من التوهمات والتقديرات والتخوفات التى لا مبرر لها . اننا ابناء لفرنسا ، وفرنسا هى الامة التى كانت تملك الحنب كلها ، باقوامها واجناسها، ودعاتها وصناديدها ، فكيف تهمنا اليوم جماعة من الرعاع يسكنون الجبال الموحشة ، او يهيمون فى الاراضى الجرداء ، ياكلون الردىء ، ويشربون الردىء ينتفعون بالردىء .

— هم كذلك من وجهة نظرك ، مسيو « بوجى » لكنهم فى حقيقتهم اخطر علينا ، من الاجناس التى اشرت اليها بدعاتها وصناديدها … مهما يكن من امر ، فلا بد من مشروع مكتوب للدراسة ، ولنعد الآن الى ثرثرتنا يا سيد « بوجى » … قل لى ، كيف حال الالزاسية معك ؟ اما تزال معادية لك ؟ اما تزال تامرك بين الحين والحين — من اجل مراضاتها — ان تخرج الى المسبح ، وتتركها وحيدة فى الدار ؟

— لا خير فيمن امها المانية ! نصف حبيبة ونصف عدوه ، نصف مواطنة ونصف مشبوهة مدسوسة !

— انك فى محنة ، من شانها ان تزعج النفس والبـال !

وهنا توقف « بوجى » عن كل حديث ، وفتر نشاطه ، وتزعزع كيانه ، اذ مس منه الكاتب العام وترا حساسا موجعا … مما جعله يستكين ، ويقل من التعليقات والكلام ، تاركا صاحبه اللبق « نيكور » يتولى الحوار :

— القضية — فى العمق يا سيدى — تثبيت لاقدام الدولة الفرنسية بهذه الارض ، الموروثة عن الاجداد الرومان . ومما لا جدل فيه انه يذهب ، ويقيم عام ممثل لفرنسا ويأتى آخر ، ويرحل مستشار ويحل آخر ، وينتقل حاكم ناحية ويعين حاكم جديد ، وقل مثل هذا فى جميع الموظفين من مدنيين وعسكريين، بل قل مثل هذا فى ارباب التجارة والصناعة ، ولا يبقى موجودا وحاضرا وصامدا ومتحديا سوى مستعمرى الارض ..

— كلام معقـول .

— انما ، لكى يوجدوا ويحضروا ويصمدوا ويتحدوا لا بد من اعانتهم ، ومن تعزيزهم ومن الاستجابة السريعة لمشاريعهم . ان الذين نمثلهم فى نظرتهم البعيدة ، وفى مخططاتهم الكبرى ، لم يعودوا يرون ان القمح والشعير والذرة ، ولو فى اجود انواعها تتناسب والتربة الجيدة …

علق « بوجي » بصوت ثائر :

— التربة الجيدة التي خدمناها بمعرفتنا وجهدنا وعرقنـا .

— ان التربة الجيدة والمياه المتوفرة والخبرة الواسعة .. كل ذلك قابل لانواع نادرة من المغروسات والمزروعات ، التي لا يتمكن المزارعون في أوربا — مع الاسف — من استنبتها لعدم توفر حرارة الشمس ، لو ان المياه متوفرة ، اما هنا فكل شيء متوفر الا الماء .. لقد قمنا بدراسة ميدانية ، فثبت ان المياه ، مياه « أبي تكران » تضيع في أكثرها ، ولا ينتفع الا بالقليل منها ، في الشرب كما ذكرتم ، وفي سقي بعض الخضروات القليلة ، وسقي اشجار الفواكه القليلة النخلة !

— ياسيد « فيكتور » انه ليكفي أن يمر الماء ، مجرد مرور على الجنينات التي يمتلكها الاهالـي وعلى بساتينهم ، او حتى في الارض الخلاء ، لتصير لهم معه الفة ، الفة كاملة عميقة وشبنة ، اذ بـه يغسلون وجوههم واطرافهم ، وبه يصبغون ملابسهم ، وبه يروون دوابهم .. ويسعدهم اتم السعـادة ان ينظروا ابناءهم ، وهم حول الماء يعبثون ويغنـون ويرقصون ، انها العادة التي لا تنقطع ولا تنفك ، ولا يقوم أي شيء مقامها ، حتى ولا القوانين .

— أعرف ان هذه الآراء نابعة من تجربة واسعة، وعن دراسة للظروف الزمانية والمكانية ، ولكـن اناسنا لهم ارادة حارة مثل عزائمهم ، فهم ما ارادوا شيئا الا نفذوه .آ. كل الرجاء أن تكونوا بجانبهم ، ان لم تسيروا معهم معززين لهم ..

— لم يحدث قط ان حكاما للمستعمرات تخلوا عن مواطنيهم في تلك المستعمرات ، مهما كانت الاحوال والظروف والمصاعب ..

— هل يمكن — تطوعا مني — أن أحرر بإيجاز المشروع المزمع تنفيذه ؟

— أرى ان التفاصيل والارقام وتعليقات الخبراء ضــروريــة .

— سنبلغ اصحابنا هذا الطلب . هيا مسيـو « بوجي » قم .

قام مسيو « بوجي » وغادر مقر رئاسة الناحية كسير الخاطر ، منزعج النفس ، متوعك الصحة ، لانه لم يجد الحماس والتأييد للمشروع الذي تزعمه ، ولانه استاء من لمزة الكاتب العام .. ان هذا الموظف

الداهية رد على وقاحته وتطاوله بلسعة موجعة ، هي التلميح الى علاقته لزوجته « سوزان » المتسمة بالنفور منه دائما ، وبالاستعلاء عليه ، واثرة وسواه عـن عمـد !

وفعلا ، لما وصل « الدارة » التـي تتوسط الضيعة ، والتي تنام وسط الخمائل والزهور ، وجد « سوزان » في أوج زينتها ، والملعونة تحرص على اظهار هذه الزينة الباهرة ، في الاوقات التي تريده ان يتركها ، ويكون ذلك انذارا ليغادر الدار !

ان لسان حالها يقول : أيها الاجلف ، الخشن ، العديم الذوق ، البهمي .. غادر الدارة !

يغدر الدار ترضية لخاطرها ، وابقاء علـى استقرار البيت ، ويذهب الى الصيد ، صحبة صاحبه الايطالي . وهو لا يدري أبدا ماذا يجري في غيبتـه. والواقع ان كل ما يجري هـو ان « سوزان » تود احيانا ان تخلو الى نفسها . من حيث تتزين وتتبرج كما ترى ، تتعطر بأفضل عطر لديها ، وتوقد مصابيح الدارة كلها ، فيغدو المكان باهر الاضواء ، وتضع المائدة وترتب فوقها صحون النقل وتنينة «الشاباي» وتضع الى جانبها . وهي جالسة علـى الارض ، مجموعة الاسطوانات ، التي تدور كلها حول معزوفات « الطانكو » اذ هي تستعذب من الحان الدنيا كلها لحن « الاوكرديون » ، فهذا المناخ الموسيقي الشجي يهز منها الاعماق ، وبذلك تروح تسمع وتشرب حتى

يغلبها النوم حيث هى ، وفى الغد تصبح منهوكة تلك الانهاك الذى تستلذه ، والذى ينسيها جانبا كبيرا من تعاستها .

احيانا يزورها الشاب « سليمان من حدو » . وهى تعرفه منذ كان يافعا ، يأتى الدارة لطيفا طيب مهذبا ، بقصد الاستفادة من الكتب والمجلات ، والتمتع بمياه المسبح المجاور للمسكن . وهذا التعارف تم من طريق الاب « امسى حدو » الذى كان يتعامل تجاريا مع صاحب الضيعة « بوجى » ، ومنذ سن اليفاعة وسليمان يلقى عطفا من « سوزان » وحسن معاملة ، ويطيب لنا الا نسبح لا معه ، وبعد الاستراحة تحت احدى الدوحات، يقومان معا بجولة فى أنحاء الضيعة تحدثه وهو يسمع ، ويحدثها وهى تصغى ، تعجبها فيه لغته الفرنسية المصقولة التى تعلمها بـ « كوليج ازرو » العربى ، ويستطيب منها لغتها الفرنسية التى تشوبها لكنة خفيفة من اللغة الالمانية ، التى تعلمتها من امها

وينتقلان بعد غروب الشمس الى داخل الدارة ، من حيث تطفىء الانوار ، ولا تبقى الا مصباحا مظللا فى الركن ، وتعود تدير الحاكى الاوماتيكى ، وتروح تتصنت ومعها سليمان الى معزوفات « الفلسكو ويأكلان ما لذ وطاب ، اذ هى قبل كل شىء طباخة ماهرة ، ويستأنسان معا بتصفح المجلات الفنية الفرنسية والالمانية ، ويتاملان طويلا منقولات اللوحات والنحوت الخالدة ، وتجود وهى الخبيرة ببعض التعليقات والملاحظات ولفتات النظر ، ويضيان يتمتعان بالمتع الفكرية ، يقرأ لها من الشعر الفرنسى ، وتترجم له من الشعر الالمانى ، وتغلبها عاطفتها فتدمع منها العيون ، وتهتز الجوانح ، وتلك احدى المتع التى تنشدها مع هذا الشاب ، ولا تتيسر لها مع غيره .. ويطول بهما السمر فتحس ان المقام يتطلب منها ارضاء لذوق الشاب المغربى ، فتقوم الى

— الحاكى — وتركب الاسطوانات التى هى من نوع آخر ، بحظى منها هى ايضا بالاعجاب .. ان انشاد بنات الاطلس المؤثر والمشجى ، والعزف — ولو انه ساذج — فهو متوافق مع رتابة اللحن : الذى يعتمد فيه اولا على ما يقال ، وما يقال كله اعجاب بالطبيعة، وجمال الحياة ، وما يخالج القلوب من اهتزازات وانفعالات من جراء لسعات الحب .

ويطلع الفجر ، فيقوم الشاب ويغادر الدارة ، بل يغادر الضيعة تحت انظار المستيقظين من الحراس، ولو كنت به حاجة الى القول ، لقال لكل المترصدين :

— اطمئنوا ، لقد دخلت وخرجت طاهرا ساميا، ليس من الضرورى ان تكون فى اللقاء شبهات !

من جهتها لم تحاول ان تبرر اسباب التقائها بسليمان الشاب على انفراد ، وطيلة الليل ، وتحت ضوء خافت ، ووراء ابواب مغلقة ، لا لزوجها « بوجى » ولا لمن تتصل بهم من اصدقاء العائلة ، فاحرى للحراس والخدم ، لكنها تتوهم انهم يستشعرون ما تشعر به من براءة ورقى واطمئنان،

غير ان « السى حدو » والد سليمان حذر ولده : فالرومى — ولو انه خفيض الجناح امام زوجه مهين ، ولو انه يصطنع البلاده وعدم الاهتمام — فان جانبه غير مأمون ..

فلما قام « بوجى » وانصاره بحركة الاستيلاء على المياه التى يجرى بها نهر « بوفكران » بادر الشاب وتعهد لوالده بالانقطاع عن التردد على الضيعة مطلقا ، ووضع نفسه رهن اشارة الوالد وباقى الغيورين لتنفيذ ما يأمرونه به .

وكان الذى بلغ تفاصيل المؤامرة الى « السى حدو » هو الشاوش لحميدة ، وبسط امامه تفاصيل ما سمعه فى مجلس الكاتب العام ، وما قاله المتزعم « بوجى » من اقوال بذيئة ، وما وصف به كل فرد من رفقائه فى ذلك المجلس .

بعد هذا قام حدو ، باشاعة خبر المؤامرة بين المتصلين به ، وهؤلاء حكوا التفاصيل الى معارفهم ، وبذلك سرى الخبر بأن رائحة الدخان في الفضاء .

اجتمع السكان المجاورون لضفاف النهر ، واقسموا ايمانا ليقاومون اعداء الوطن ، الروميين الخبثاء ، وليدافعن عن المياه الكريمة الى آخر قطرة من دمائهم ... وبادروا فارسلوا مع سائقي الحافلات وخدمتها الذاهبين الى مكناس وفاس والرباط ، والذاهبين الى القرى الاطلسية ، ومن كل اولئك طلبوا النجدة عند الاقتضاء ...

وما طلع نهار احد الايام حتى وصل الى علم السلطات الفرنسية ان السكان مجتمعون ومتسلحون بالمروات والفؤوس والشواقير والمناجل وقطع الحديد والمقاليع — انهم يعرفون ان كل هذه الاشياء لا تجدي امام طلقات الرصاص والبارود ولكن الاستسلام لا معنى له وغير لائق بالرجال ، ولا يمكن ان يسجل في تاريخ سفوح الاطلس ، خصوصا على سكان ضفاف « وادي بوفكران » .

واعرزت لملائك البعوني ، سلطه القريه بطلب النجدة من مكناس ، واصحاب الحركة الاوربيين وجدوا انفسهم ملزمين بالدفاع عن حركتهم بقوة الحديد والنار ... وهكذا اكتنف « بوجي » بندقيته المزدوجة ، وتمنطق بحزام الرصاص ، كما اخفى مسدسه في طيات بذلته الجلدية ، ونادى بالهاتف على صاحبه الايطالي « ايمانويل » ، طالبا منه ان يقوم بجولة بالسيارة على الضيعات ليجند الرفقاء ، وان يهيب بهم ليقوموا الى تحقيق المشروع بقوة الرصاص ، وسار هو من ضيعته شامخ الكتف ، عالي الصدر ، مفتول الشاربين الى مقر السلطة بالقرية . وهناك وقفا مع من جاءوا في موقف مناسب ، ينتظرون الفرصة لبدء الملحمة ، مع الرعاع العزل .

وعلى الفور وصلت الوحدة العسكرية الخفيفة، المكونة من جنود اللفيف الاجنبي ، ولم تتقدم من فورها للميدان ، انما الذي تقدم هو الضابط المتمغرب الذي يحذق اللهجة المغربية ، تقدم وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة وقال :

— نريد ان تعينوا لنا مفاوضين اثنين ، وابقوا انتم في مكانكم .

وتقدم « السي حدو » والد سليمان ، وكان جهير الصوت ، ثابت القلب ، ملما بتفاصيل المؤامرة وصاح :

— ان ماء بوفكران يجب الا يتحول عن استعماله العادي ، يجب ان يبقى في مجراه كما كان ، يستقى منه الناس ، وتشرب الدواب ، وتروى جنان الزيتون وغيره ، ويدخل الى البساتين حسب الحقوق المتفق عليها من قديم ، انه لا حق لاحد ان يستبد بالماء، حتى ولو كانت جماعة لها سلطتها ... الماء مغربي والارض مغربية ، فيجب ان تحافظوا على ما وجدتم ...

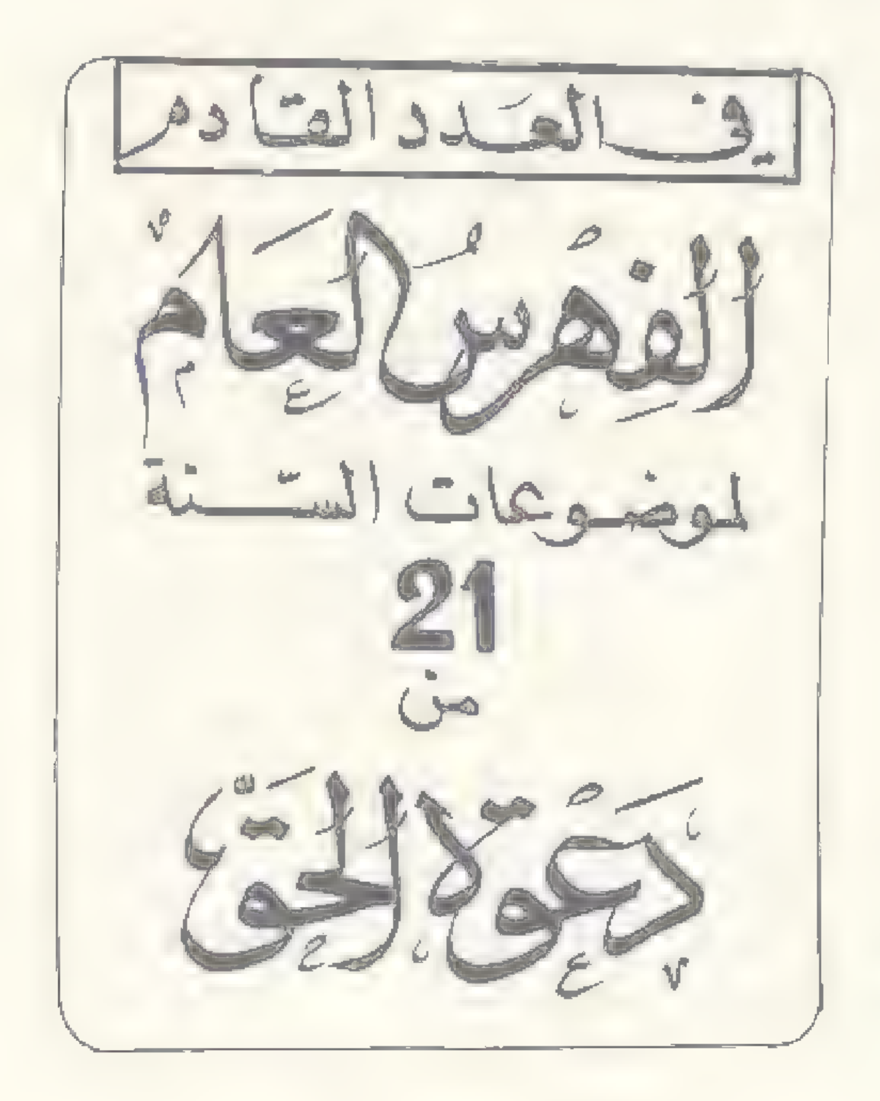
وهنا انبرى « بوجي » وتولى النقاش — فضولا منه — مع حدو ، متنكرا للصداقة التي كانت تجمعهما، واخذ يلطم بالعبارات القاسية ، فما كان من حدو الا ان اسمعه ما يجرح شعوره ويضعضع كرامته امام الجميع ... وتطور الامر الى سباب ، ولم يشعر « حدو » الاعزل الا و « بوجي » يصوب اليه بندقيته ويطلق عليه النار .

وتشعب الرش المشتعل في جسد الرجل فصرخ متالما ، ورغبة في التخفيف من تلك الآلام جرى نحو النهر ، ورمى بنفسه في الماء ، لعل برودته تخفف من اوجاع الحريق ، لكن البطن كان قد تمزق ، كما تمزقت حجب الاضلاع والرئة ففارت الدماء غزيرة ، وسرت مسرى المياه فعكرتها ، عكرتها باللون القاني، وتهاوى الرجل حيث هو واقف ، وفاضت الروح .

هناك انصب سيل الاحجار والقطع الحديدية على الجنود والعمرين الذين معهم ، وتدخل الجنود فاطلقوا بنادقهم ، ثم اخذوا يتعقبون الهاربين وهم يجرون ، غير ان « بوجى » لم يتعقب مع المتعقبين لانه ساقط على الارض مصابا فى رأسه ، من جراء شجة فى صلعته ، بسبب حجرة مسنونة ، وبذلك فار الدم على الوجه والملابس حتى وصل الى الارض.

واغتنمها « الشاويش احميدة » فرصة ، وقد خلا المكان ، اذ الجنود يتعقبون ، ورجال السلطة ذهبوا ليعطوا التفاصيل لرئيس الناحية ، اغتنمها فرصة ، فاستل المسدس الذى كان بارزا من تحت ملابس « بوجى » ووضعه فى فم « بوجى » ،واضعا فمه على ابطن المتفخ ، واطلق رصاصة واحدة خرقت سقف الحلق ، واجتاحت المخ ، لتخرج بالضبط من وسط الجرح الغائر من الراس ، وهى ضربة جندى محنك ، يحسن قتلته ، ومن فوره انطلق الى مكتب السلطة ليكون فى خدمة الرؤساء !

واهتزت الاسلاك فى جميع الانحاء بالخبر ، ووصل الى خارج المغرب ، الى فرنسا ، وسويسرة، وبلدان الشرق -- ولم يبق وسع المقيم العام « الجنرال نوكيس » ان يتجاهل الامر ، او ان يتستر على الاسرار ، ولم يسعه كرجل عسكرى الا ان يتخذ الاجراءات : عزل رئيس الناحية بمكناس ، وكاتبه العام ، ورجل السلطة بالقرية ، وارسال لجنة تحقيق صارمة .



المغرب في الندوتين العالميتين حول القدس والاسلام بباريس

اقامت منظمة المؤتمر الاسلامي بمقر اليونسكو بالعاصمة الفرنسية ، من فاتح دجنبر الى الثالث منه ، « الندوة العالمية حول القدس » ، شارك فيها طائفة مختارة من الاختصاصيين والمتعاطفين مع القضية الفلسطينية ، وغيرهم من مندوبي الهيئات العالميــــة .

وقد جاءت هذه الندوة بناء على قرار لجنة القدس التي يترأسها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، قصد توعية الراي العام الغربي بخطورة المشكلة وبالقرار الشنيع الذي اتخذت عليه اسرائيل ، بجعل القدس الشريف عاصمة أبدية لها والذي اثار موجات من ردود الفعل والسخط على المستويين العربي والدولي .

استهل افتتاح الندوة بخطاب عاهل المغرب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ، بوصفه رئيسا للجنة القدس ، القاه بالنيابة عن جلالته السيد الوزير الاول ووزير العدل الاستاذ المعطي بوعبيد وقد تناول الخطاب المشكلة من جميع جوانبها وأبعادها امام المشاركين .

وقد كان السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي ضمن الوفد المغربي الذي شارك في حوار هذه الندوة .

وكانت حصيلة دراسة الندوة صدور بيان ، وجملة قرارات ، حيث أطلق على الوثيقة الاولى « بيان باريس حول القدس » الذي امضاه المساهمون في الندوة وجاء فيه : « ان القدس الشريف يعتبر مدينة مقدسة بالنسبة لجميع الاديان ، فلا يمكن لاحد أن يتهاون في مصيرها ومستقبلها . وباعتبارها موضع تقديس للاسلام والمسيحية واليهودية على السواء فهي لا توجد الا بوجود المجموعات الساكنة فيها من الاديان الثلاثة كما نص البيان على ان القدس تاريخيا وثقافيا مدينة عربية لا يمكن فصلها عن فلسطين واي فصل يعتبر خيانة للتاريخ والجغرافية والحقوق الثابتة لسكانها وللشعب الفلسطيني قاطبـــة ... » .

واعلن بيان باريس ان تراث القدس ، تراث مقدس ومشترك بين جميع أديان التوحيد الثلاثة ، ولا يمكن ان تختص به واحدة دون غيرها ولهذا يندد موقعو البيان بتهويد القدس ، والانتهاكات الاسرائيلية التي تعكس طبيعة اسرائيل العنصرية .

ومن ضمن القرارات التي صدرت عن الندوة ، والتي اقترحها السيد الدكتور أحمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، انشاء جمعية تحت اسم « فرنسا ــ القدس » يكون مقرها بباريس وتعمل بتعاون وثيق مع لجنة القدس ، في سبيل قضية هذه المدينة المقدسة ، وتكون لها فروع في



العالم اجمع ، وذلك لاعلام الراي العام المغربي ، بما تتعرض له مدينة القدس من طرف الصهاينة . كما اكد سيادته على أن تبقى هذه الجمعية على اتصال وثيق بلجنة القدس واقترح اسماء الشخصيات التي سيتكون منها مكتب هذه الجمعية وهي : السيد جورج مائنارون ، والدكتور احمد صدقي الدجاني ، والسيد اريكانو ، والسيد موريس بوتان ، والسيد بيير روسي ، والسيد القطان .

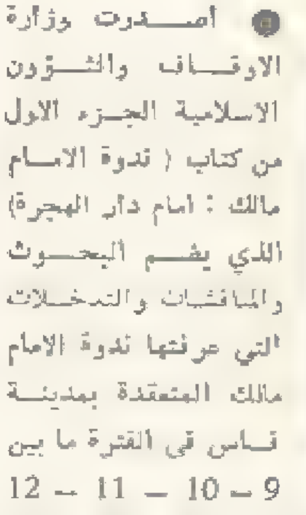
وطلبت الندوة في الاخير من منظمة المؤتمر الاسلامي أن تقوم بدراسات وابحاث عن القدس الشريف والتعريف بقضيتها وقضية فلسطين بواسطة الاعلام وأن تدعم الفئات والجمعيات المنتمية للديانات الثلاث التي تدافع عن القدس ، وعن الكفاح العادل للشعب الفلسطيني .

هذا وبالاضافة الى الندوة العالمية حول القدس فقد شاهدت نفس العاصمة وفي الشهر ذاته ، ندوة عالمية حول الاسلام ، شارك فيها نخبة من المفكرين ينتمون الى دول عربية واوربية ، وقد اصدرت بعد دراسة وحوار عدة قرارات وتوصيات منها تأسيس (جمعية الاسلام والغرب) .

وفي اعقاب هذه الندوة اقترح السيد الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، توجيه نداء يناشد فيه الضمير العالمي وخاصة الاوربي احترام حق المسلمين في القيام بشعائرهم في دول العالم الغربي واقترح سيادته كذلك ايفاد بعثات الى هذه الدول للوقوف على التربية الدينية لاسر المهاجرين لان الاسرة تعتبر الخلية الاساسية لكل تكوين ديني .

وبمناسبة انعقاد الندوتين العالميتين حول القدس ، وحول الاسلام ، استضافت الاذاعة الفرنسية السيد الدكتور أحمد رمزي ، وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، خلال برنامجها (فرنسا والعالم المعاصر) لتسليط المزيد من الاضواء على مفهوم الدين الاسلامي ، لمحاربة الصورة المشوهة التي يعطيها البعض عن الاسلام في الدول الغربية ، وقد أتاح الحوار مع الصحافيين والمستمعين للسيد الوزير التذكير بان « القدس » جزء لا يتجزء من الاماكن العربية المقدسة والتعريف بما قام به صاحب الجلالة الحسن الثاني دام له النصر ، خلال حواره مع الكنيسة الكاثوليكية ، أثناء لقائه بقداسة البابا جون بول الثاني في الربيع الماضي ، واعاد الى اذهان الصحافيين والمستمعين ، الموضوعات الهامة التي سبق له أن تدخل بشأنها خلال الندوتين المذكورتين .

المغـــــــــرب :



• اصـــدرت وزارة الاوقــاف والشـؤون الاسلامية الجزء الاول من كتاب (ندوة الامـام مالك : امام دار الهجرة) الذي يضـم البحـوث والمناقشات والتدخـلات التي عرفتها ندوة الامام مالك المنعقدة بمدينـة فـاس في الفترة ما بين 9 ــ 10 ــ 11 ــ 12 جمادي الثانية سنه 1400 الموافق 25 ــ 26 ــ 27ــ 28 ابريل عام 1980 تحت عناية صاحـب الجلالـة الملك الحسن الثاني نصره الله واشراف وتنظيـم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

ويتضمن هذا الجزء الرسالة الملكية الساميـة الى ندوة الامام مالك وكلمة تقديم بقلم الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وكلمات رؤساء الوفود المشاركة في الندوة . كما يحتـوي هذا الجزء على بحوث الاساتذة : الرحالي الفاروق ، محمد المكي الناصري ، الدكتور عبد الهادي التازي، عبد العزيز بنعبد الله ، ابراهيم صالح الحسيني من نيجيريا ، عبد السلام الصفيوي ، الدكتور عبـاس الجراري ، الحاج مالك سي من السنيغال ، احمـد شامري الريتوني ، محمد عبد الكبيـر العلـوي ، ابراهيم ابن الصديق ، الدكتور التهامي الراجـي ، محمد حماد الورياغلـي ، الدكتـور عبـد السلام الادغيري ، هذا الى جانب المناقشات والتعقيبـات والتدخلات والردود ، ويقع الكتاب في 375 صفحة من القطع الكبير .



• اصدر الاستـاذ محمد بن أحمد اشماعـو كتابا قيما في الحيـاة الاجتماعيـة المغربيـة والتطور بعنوان (المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنـة : 1350 ــ 1400 هـ) يقـع في 334 صفحة من الحجم المتوسط ، ويشتمل على ابحاث ودراسات تبـرز التغيرات المتعددة التي شهدها المجتمع المغربـي خلال نصف القرن الاخير الذي وصفه المؤلف بقوله: (ان اعتقادنا لجازم بان ما حصل في الخمسين سنة الاخيرة ليس له مثيل في اية فترة من فترات التاريخ المغربـي) .

ويحتوي الكتب على اربعين فصـلا يختمهـا المؤلف بمقارنة مركزية وشاملة بيـن العهديـن ثم يستشرف آفاق المستقبل وتوقعاته .

ويعرض الكتاب للطبقات الاجتماعية ، وتكويـن الاسرة ، وتربية البنت وزواجها ، والمـراة بيـن الاستقرار والاضطراب ، والاولاد والاحتفاء بهـم ، والحفلات والاعياد ، وطراز العمـارة ، والعقائـد والعادات ، والاطعمة ، والاشربـة ، والالبسـة ، والمقتنيات والتحف ، وعلاقات الصداقة والجوار ، والامثال الشعبية ، والاحاجي والحكايات والنكـات ، والالفاظ العامية ، والتهويمات والاغاني ، وسليات عامة الشعب ، والمشعوذين ، واهل الفنون ، واهل العلم والادب ، والمسلمين الصادقين ، وحماة الوطن، ، المنازعات والاحتكام الى السلطـة ، والعلاقـات

والشركات والتعاون ، واهل الحرف والصناعات ، والحرف الدقيقة الممتازة .

ويتخذ المؤلف مدينة (سلا) محورا لدراساته مؤكدا ان الاختلاف بينها وبين المدن المغربية الاخرى لا يكاد يؤثر في القاعدة العامة للتطور الشامل الذي شهده المغرب ابان النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري .

وتحليلات المؤلف موضوعية ومرتكزة على رؤية نقدية سليمة واتجاه وطني جعله يتناول كثيرا من الجوانب والموضوعات المتنوعة باسلوب الدارس النابه المطلع على احوال مجتمعه . وهي دراسة فريدة من نوعها باللغة العربية عن المغرب . اذ اعتدنا على قراءة كتب في مثل هذا الموضوع باقلام اجانب وغالبا ما تكون باللغتين الفرنسية والانجليزية . ولذلك فان كتاب الاستاذ اشماعو يملأ فراغا في الخزانة المغربية . هذا الى جانب ما اتسم به كتابه من صدق وموضوعية وشمولية وامانة في النقل ودقة في الوصف .

● صدر في باريس عمل موسوعي هام للدكتور رشدي فكار تحت عنوان (السوسيولوجيا والسيكولوجيا والانتربولوجيا الاجتماعية) عن دار النشر العالمية غوتنير .

وقد استغرق وضع هذا المعجم الموسوعي العالمي الصادر في اربعة أجزاء من الف صفحة من الحجم الكبير ، ما يزيد على عشرة اعوام ، ويحتوي على معاني المصطلحات ، ومشاهير اعلام السوسيولوجيا والسيكولوجيا والانتربولوجيا في العالم .

وقد خص الدكتور رشدي فكار الجزء الاول المصطلحات بالفرنسية والانجليزية والعربية مع شرح لمضامينها ومعانيها . وخص الجزء الثاني للمصطلحات بالانجليزية ثم الفرنسية والعربية .

وخص الجزء الثالث لمشاهير اعلام هذه العلوم في العالم بما فيه العالم الثالث .

اما الجزء الرابع فقد عرف فيه الدكتور رشدي فكار لاول مرة بحصيلة للانتاج في هذه العلوم بالمغرب والمشرق العربيين بالعربية والانجليزية والفرنسية ليربط الفكر العلمي العربي بالفكر العالمي .

وتكمن اصالة هذا العمل العلمي الاكاديمي الهام في انه كسر حاجز الاحتكار التقليدي الغربي بشقيه الليبرالي والماركسي في ميدان مضامين علوم الانسان واعلامها واثرى في نفس الوقت الاطار الإبستمولوجي للمعرفة .

● صدرت الطبعة الثانية من كتاب (مركز الاجانب في مراكش) لمؤلفه الشهيد امحمد أحمد بن عبود . وكانت الطبعة الاولى من هذا الكتاب قد صدرت بالقاهرة سنة 1950 . وقد كتب مقدمتها الاستاذ عبد الرزاق السنهوري .

ومن المعلوم ان المؤلف الذي كان يشغل منصب مدير مكتب المغرب العربي بالقاهرة استشهد في حادث الطائرة التي سقطت بباكستان والتي كانت تقل من بين ركابها وفد المغرب العربي في اول مؤتمر اقتصادي للدول الاسلامية المتكون من المؤلف امحمد احمد بن عبود والشهيد علي الحمامي من الجزائر والشهيد الحبيب ثامر من تونس .

● صدر في مدينة طنجة كتاب بعنوان (الانوار القدسية في شرح الوصية الصديقية) ، وهو من تاليف السيد جمال الدين ابي اليسر عبد العزيز بن محمد بن الصديق . وقد علق عليه السيد عبد اللطيف بن عبد الغني جسوس . ويقع الكتاب في 102 صفحة من القطع المتوسط ، وهو ذو نفس صوفي ينحو فيه مؤلفه منحى توجيهيا وارشاديا عميق التاثير قوي المفعول ، وذلك باسلوب سلس ولغة في متناول القارىء العادي ، حيث لا يدق

فهمه على الجمهور العريض من المثقفين . والكتاب شرح مختصر لوصية المرحوم ابي عبد الله بن الصديق الحسني التي كتبها لبعض المريدين الآخذين عنه ، وذكر فيها الآداب التي يجب على الصوفي التخلق بها والتمسك باهدابها . وهذا الشرح هو الثالث من نوعه .

● صدر للاستاذ عبد المالك الشرقاوي كتاب باللغة الفرنسية حول المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية للمغرب ، بمقدمة للدكتور المهدي المنجرة .

● ترجم الدكتور محمد برادة كتاب (الخط العربي) عن اللغة الفرنسية وهو من تأليف الدكتور عبد الكبير الخطيبي والدكتور السجلماسي .

● ترجم الاستاذ قاسم الزهيري كتاب « جمهورية في سبيل ملك » لمؤلفه الفرنسي بيير جولي . وسيقدم المترجم الكتاب للطبع قريبا . ويقص هذا الكتاب مراحل مهمة من ملحمة الملك والشعب مركزا على عودة بطل الحرية والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس من المنفى الى فرنسا ومنها الى ارض الوطن .

وكان الكتاب قد صدر في باريس منذ ست سنوات .

الجزائر :

● صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر كتاب (مبادىء الاصول) للامام عبد الحميد ابن باديس بتحقيق الدكتور عمار طالبي .

تونس :

● أصدر الباحث التونسي الاستاذ محمد ابو الاجفان ضمن سلسلة (فهارس من تراثنا) كتاب :

(رحلة القلصادي) لابي الحسن علي القلصادي الاندلسي . وقد درس الرحلة وحققها الاستاذ أبو الاجفان معتمدا اسلوبا علميا في الدراسة والتحقيق.

● صدر للاستاذ حسين الواد كتاب بعنوان : (في تاريخ الادب ، مفاهيم ومناهج) عن دار المعرفة للنشر ، 1980 ، ويقع في 224 صفحة .

● صدر للاستاذ محمد التومي كتاب بعنوان : (الجدال في القرءان الكريم : فعاليته في بناء العقلية الاسلامية) ، يقع في 302 صفحة .

مصر :

● في ستة اجزاء كبيرة يصدر قريبا في القاهرة، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (المنهل الوافي والمستوفي بعد الوافي) لابن تغرى بردي ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف الشغاوي الظاهري الحنفي القاهري ، صاحب النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة المتوفى سنة (874 هـ) .

حقق الكتاب وعلق عليه وقدم له وصنع فهارسه الفنية المتنوعة الدكتور نبيل عبد العزيز ، والدكتور محمد محمد أمين .

● في مائتين وست وستين صفحة من الحجم الكبير صدر حديثا في القاهرة عن دار الثقافة العربية وعالم الكتب ، كتاب جديد ، في الاسلام والثقافة العربية في أوروبا .. للاستاذ عبد الفتاح مقلد الغنيمي .

● (الخوف من الحياة) مجموعة قصص للكاتبة سعد حامد (259 صفحة) صدرت عن هيئة الكتاب.

● (قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها) للدكتور احمد شلبي (282 صفحة) صدرت عن النهضة المصرية .

● (الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936 حتى الحرب العالمية الثانية) للدكتور عادل حسين غانم (479 صفحة) صدر عن مكتبه الخانجي .

● (الدوران حول السور) مجموعة قصص لنبيل عبد الحميد (162 صفحة) صدرت عن دار الهلال .

● صدر للدكتور مصطفى الشكعة كتاب « الائمة الاربعة » وهو كتاب يقع بفهارسه فيما يربو على الالف صفحة بقليل . وهو عرض مفصل فى الكلام عن الائمة الربعة :

— الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت (80 — 150 هـ) وتحته فصول عشرة ، الفصل الاول منها عن نشاه وتربية ابي حنيفة . والفصل الثاني منها عن شيوخ ابي حنيفة ومناقبه . والفصل الخامس منها عن ابي حنيفة والسياسة . والفصل السادس منها عن ابي حنيفة وهدايا الخلفاء . والفصل السابع منها عن ابي حنيفة الامام . والفصل الثامن منها عن فقه ابي حنيفة . والفصل التاسع منها عن مؤلفات ابي حنيفة وفكره . والفصل العاشر منها عن تلاميذ ابي حنيفة .

ثم يعقب هذه الفصول العشرة نماذج من كتب الفقه الحنفي : كتاب الآثار وكتاب المبسوط وكتاب الخراج .

ثم يتلو هذا الكتاب الاول بفصوله العشرة الكتاب الثاني وهو خاص بالامام مالك بن انس (93 — 179 هـ) وتحته فصول ثمانية . ثم الكتاب الثالث خاص عن الامام الشافعي والرابع عن الامام احمد بن حنبل .

● صدر كتاب جديد للواء احمد عبد الوهاب بعنوان : (اعجاز النظام القرآني) ويقع في ثلاثة اصول تتحدث عن : وحدة السورة ، ووحدة المصحف، ووحدة النظام الكوني .

المملكة العربية السعودية :

● من منشورات نادي المدينة المنورة الادبي صدر حديثا ، كتاب جديد للاستاذ عبد العزيز الربيع ، موضوعه « رعاية الشباب فى الاسلام » يتضمن الكتاب مباحث فى :

— الرعاية والشباب فى اللغة .
— ماذا تقول كتب اللغة .
— اهتمام الاسلام بالفرد .
— رعاية الاسلام لطفولة .
— رعاية الاسلام للام .
— العناية بالطفل فى الاسلام .
— اهتمام الاسلام بعناصر الوراثة .
— بعض مظاهر الرعاية .
— اهتمام الاسلام بكافة جوانب الطفل .
— قصة يوسف ، كنموذج تطبيقي .
— اهتمام الاسلام بارواء حاجة الطفل للتشجيع .
— مسؤوليه رعاية الشباب فى الاسلام .
— القدوة الصالحة فى الاسلام .
— ركائز اخرى تستند عليها رعاية الشباب فى الاسلام .
— التربية العلمية الواعية للروح والجسد معا .
— مشكلات المراهقة .
— الجوانب الرياضية الخالصة .

● (الاسلام والضمان الاجتماعي) تاليف الدكتور محمد شوقي الفنجري ، صدر عن دار ثقيف للنشر

والتوزيع بالمملكة العربية السعودية ، وهو دراسة موجزه وشاملة لاصول الزكاة ومحاولة لبيان تطبيقاتها على ضوء متغيرات العصر . والمؤلف أستاذ الاقتصاد الاسلامي بجامعة الرياض .

● بتقدير (ممتاز) نالت الاستاذة نوال حمزة الصيرفي درجة (الماجستير) في التاريخ الاسلامي عن رسالتها العلمية العالية ـ التي تمت مناقشتها في مقر الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، في (النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري) .

ناقشت الرسالة لجنة مكونة من السادة الاساتذة :

1 ـ الدكتور حسنين محمد ربيع ، المشرف على الرسالة ـ رئيسا .

2 ـ الدكتور مصطفى محمد رمضان ـ عضوا .

3 ـ الدكتور حسام الدين السامرائي ـ عضوا .

● فرغ الدكتور محمود حسن زيني الاستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا العربية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة مؤخرا من تحقيق كتاب « شرح قصيدة البردة » لابي البركات ابن الانباري ، ودفع به للنشر .

الكتاب شرح طريف لقصيدة « البردة » التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم عندها لم يجز مكبول

وهي القصيدة المشهورة التي اعتذر بها كعب ابن زهير عن هجائه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلب الامان ، وانشده اياها في مجلس حافل بالصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ فلما فرغ من الانشاد ، اقبل عليه النبي ـ عليه السلام ـ وخلع عليه بردته الشريفة : التي بيعت فيما بعد ـ بالثمن الجزيل ـ .

وقد طبعت البردة ، وعدة أبياتها سبعة وخمسون بيتا ، في لندن ، ودهلي ، وباريس ، والجزائر ، ومصر ، والمغرب ، ولديوان الشاعر ، عدة طبعات ، وشرحها غير واحد من علماء العربية ، وادبائها ، ولغوييها قديما وحديثا .

ولعل ابرز هؤلاء ابو البركات عبد الرحمن بن ابي الوفا محمد بن عبيد الله بن ابي سعيد الانباري : النحوي ، الاديب ، الفقيه ، الزاهد ، صاحب « الانصاف في مسائل الخلاف » و « اسرار العربية » و « نزهة الالباء في طبقات الادباء » المتوفى سنة 577 هـ ، ببغداد .

● صدر للكاتب الاسلامي احمد محمد جمال كتاب بعنوان : (نحو تربية اسلامية) ضمن سلسلة (الكتاب العربي السعودي) .

● صدر للشيخ حمود عبد الله التويجري كتاب بعنوان : (الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور) . وقام بنشر الكتاب وقدم له الشيخ طاهر خير الله .

● صدر للدكتور (وليد قصاب) كتاب جديد بعنوان : (قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم : ظهورها وتطورها) عن دار العلوم بالرياض .

● توفي الى رحمة الله في المدينة المنورة الشيخ حسن الشاعر شيخ القراء في المملكة العربية السعودية عن 140 عاما ، وكان الشيخ حسن الشاعر قد قضى 100 سنة كاملة في تدريس القرآن الكريم وتجويده في الحرم المدني الشريف ، وقد تخرجت على يده اجيال من العلماء ومشاهير المقرئين .

وخلف رحمه الله عددا من المؤلفات في الدراسات القرآنية وخاصه علم التجويد .

● (قضية الثقافة في بلادنا) بحوث في الثقافة وتسويق الكتاب للكاتب السعودي حامد عباس صدرت عن دار الاندلس – بيروت . كتب مقدمة الكتاب الاستاذ هاشم عبده هاشم .

● اصدر النادي الادبي بالرياض باشراف دار اليمامة لبحث والترجمة والنشر كتابا جديدا من كتب التراث العربي ، حقق نصوصه وعلق عليها ووضع فهارسها الفنية المتنوعة وقدم لها بدراسة ضافية المحقق البحاثة ، الاستاذ حمد الجاسر . وعنوان الكتاب : (ادب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب واخبارها وانسابها وايامها) ، للحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (370 هـ – 418 هـ) وموضوعه (مختار اشعار القبائل ، وسير الجاهلية والاسلام ، وسياقة جماهير الانساب والغريب من المعارف والآثار) .

الامارات العربية المتحدة :

● صدر عن الادارة الثقافية بوزارة الاعلام والثقافة في دولة الامارات العربية المتحدة كتاب عن « الامام مالك » رضي الله عنه ، ومكانة كتابه « الموطأ » .. وهو من تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري .. خادم الحديث النبوي برئاسة القضاء الشرعي بابو ظبي .

وقد تضمن الكتاب بابين ، الاول مخصص لـ « الامام مالك » وتناول نسبه وولادته وصفحات عن نبوغه المبكر واجتهاده في طلب العلم وسعة حفظه وشيوخه وتلاميذه ، كما تناول الباب الاول ثناء الائمة عليه وقصيدة في الثناء الى غيره مما يتصل به .

الباب الثاني : وكان مخصصا لكتاب الامام « الموطأ » .. فتناول الموطأ ومكانته في الاسلام ، وسبب تأليفه وشهادة الامام الشافعي على منزلة الموطأ ، ومكانة الموطأ بين كتب الحديث .. الى جانب موضوعات اخرى تتعلق بالكتاب .

فلسطين :

● توفي الى رحمة الله الشاعر الفلسطيني الكبير عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) في واشنطن بعد عملية جراحية اجريت له هناك .

والشاعر ابو سلمى ولد عام 1907 في طولكرم بفلسطين المحتلة ، ودرس في مدارسها وواصل دراساته العليا في دمشق .

وانتخب الفقيد رئيسا للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين عام 1980 . وقد سجل في اشعاره الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني ، ولعب على النطاق العالمي دورا طلائعيا في التعريف بالقضية الفلسطينية ، وهو من طليعة المثقفين العرب الذين خدموا الضاد والتزموا بالدفاع عن اصالة الثقافة العربية الاسلامية .

لبنان :

● بتحقيق الاستاذ مصطفى ابراهيم الكومي صدر مؤخرا ، في بيروت عن دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، كتاب « تأويل الاحاديث الموهمة للتشبيه » لجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي ، المتوفى سنة 911 هـ .

يقع الكتاب في مائة وثمان وثمانين صفحة من الحجم الكبير موزعة بين مقدمة التحقيق ، والنص المحقق ، وفهارس الكتاب . تضمنت المقدمة الكلام من عصر السيوطي ، وحياته ، وآثاره ، وتضمن النص الكلام عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحاديث اهل البدع ، وتفنيدها ، وتمييزها من الصحاح .

● في بيروت أصدرت دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، مؤخرا ، للدكتور عبده الراجحي ، استاذ العلوم اللغوية بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية كتابا جديدا ، عنوانه : « النحو العربي والدرس الحديث : بحث في المنهج . »

يشتمل الكتاب على مقدمة ، وبابين ، وخاتمة .

عرض المؤلف في المقدمة للمناخ العام ، الذي تأسس فيه النحو العربي ، وعرض في الباب الاول للمنهج الوصفي ، من حيث موقفه من هذا النحو ، وعرض في الباب الثاني المنهج التحويلي الجديد ، اصوله النظرية ، وطريقته في التحليل ، والجوانب التحويلية في النحو العربي ، وعرض في الخاتمة للنتائج العامة التي خرج بها المؤلف من محاولته هذه في النظر الى اصول المنهج النحوي عند العرب ، على ضوء المناهج الحديثة ، بحث في المنهج ، وبحثا عن منهج .

● من تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي صدر ، في بيروت ، حديثا عن دار العلم للملايين للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد يتناول فيه « دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي » .

● من نصوص التراث الاسلامي الصادرة في بيروت حديثا كتاب « الادب في الدين » لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي ، وقد صدر عن دار الشروق للطباعة والنشر .

● في طبعة جديدة مزينة بعدد كبير من القصائد التي لم يسبق نشرها من قبل صدر ، في بيروت ، حديثا عن دار مارون عبود للطباعة والنشر والتوزيع (ديوان خليل مطران) في ثلاثة اجزاء ضخمة .

● صدر للاستاذ صالح ابو اصبع كتاب بعنوان : (الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة) 1948 — 1975 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت .

● اصدر الكاتب غالب طعمة فرمان رواية جديدة بعنوان : « ظلال على النافذة » ، وقد صدرت عن المنشورات الادبية ببيروت .

● صدر للكاتب ميخائيل نعيمة مجموعة قصصية بعنوان : (قصص) عن دار الفجر ببيروت .

● صدرت للقصاص (حيدر حيدر) مجموعتان قصصيتان ، الاولى بعنوان : « الومض » والثانية بعنوان : « حكاية النورس المهاجر » .

● صدرت للشاعر ادونيس مجموعة شعرية جديدة بعنوان : « القصائد الخمس تليها المطابقات والاوائل » عن دار العودة — بيروت لبنان .

● صدر في بيروت كتاب جديد بعنوان : (شعر الرمادي) من تاليف ماهر زهير جرار — عن الشاعر الاندلسي (الرمادي بن هارون) وهو من شعراء القرن الرابع الهجري .

والمعروف انه لم يصلنا للرمادي ديوان مجموع وانما جاءت بعض قصائده في روايات لابي بكر بن القرضي ، استطاع المؤلف ان يجمع نحو ستمائة بيت من الشعر للرمادي ، وقدم كل ذلك بدراسة وافية .

● عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، صدر حديثا في بيروت كتاب جديد للدكتور حسام الالوسي عنوانه : (دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي) .

● حقق الدكتور مصطفى غالب « كتاب الافتخار » لابي يعقوب السجستاني المتوفى بعد سنة 353 هـ .

● (محنة العرب في الاندلس) من تاليف اسعد حومد . يتناول الكتاب الحضارة الاسلامية في الاندلس : ابعادها ، وآثارها ، كما يتناول سقوط الخلافة الاموية في الاندلس ، وقيام حكم ملوك الطوائف ، ثم خضوعهم للممالك الاسبانية ، فمغادرة تلك الربوع .

● طيب تيزيني ، صدر له كتاب جديد بعنوان : (مشروع رؤية جديدة للفكر العربي من العصر الجاهلي حتى المرحلة المعاصرة) ويقع في 1100 صفحة من الحجم الكبير .

● صدر كتاب (التحفة الملوكية) المنسوب للامام ابي الحسن الماوردي بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم . ويشتمل الكتاب على عرض لمبادىء الحكم في الاسلام وما ينبغي ان يكون عليه المسلم الحق في حياته الخاصة والعامة وما يهم كل مسلم ومسلمة لاصلاح المجتمع الاسلامي الكبير .

العراق :

● صدر للكاتب العراقي الدكتور عبد الرحمن حجي كتاب بعنوان : (مع الاندلس : لقاء ودعاء) . يقول المؤلف في التعريف بالكتاب : « هو عبارة عن نوع جديد من المذكرات الادبية العلمية التي تمثل وقفة مسلم متخصص في تاريخ جزء من العالم الاسلامي وحضارته ، يستنطق المواقع الاسلامية .. » .

● صدر عن دار ثقيف للتاليف والنشر ديوان جديد للشاعر العراقي الاستاذ هادي الخفاجي بعنوان : (لحن الهوى) . ويشتمل على مجموعة كبيرة من شعره ، وقد قسم الشاعر موضوعات شعره الى عدة اغراض ، واهدى الشاعر ديوانه الى .. « عشاق الشعر الفصيح » .

● وصلنا الجزآن الرابع والخامس من كتاب : « الآثار الخطية في المكتبة القادرية » في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني » من مطبعة المعارف

ببغداد من تاليف الدكتور (عماد عبد السلام رؤوف) وكانت الاجزاء الثلاثة الاولى قد صدرت منذ مدة ، ويقع الجزء الرابع في 448 صفحة من الحجم الكبير ، بينما يقع الجزء الخامس في 496 صفحة .

الكويت :

● من نصوص التراث الاسلامي المخطوط صدر ، حديثا ، في الكويت عن الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع كتاب « رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة » للامام ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني الصنعاني ، صاحب « البدر الطالع » و « نيل الاوطار » المتوفى سنة 1250 هـ .

حقق الكتاب الاستاذ محمد بن ابراهيم الشيباني ، وهو يتناول موضوع الغيبة ، آياتها في الكتاب الكريم ، ونصوصها في السنة المطهرة ، واحاديثها في كلام السلف ، وتحريمها ، وجواز بعضها .

يقع الكتاب في نحو اربعين صفحة من الحجم المتوسط .

● عن وكالة المطبوعات ، صدر : حديثا ، في الكويت – كتاب جديد للاستاذين عبد الاله ابو عياش ، واسحاق القطب ، موضوعه : « الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية » ويقع في مائتين وثمان وثمانين صفحة من القطع الكبير .

الاردن :

● صدر في عمان حديثا عن دار الرسالة الاردنية للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد ، من تاليف

للدكتور محمد بركات ابو علي ، موضوعه ، « الاصول الادبية في كتاب البيان والتبيين » للجاحظ .

سوريـــــا :

● في سلسلة « المختار من التراث العربي » الدورية ، التي تنشرها لجنة احياء التراث العربي الاسلامي بوزارة الثقافة والارشاد القومي السورية صدر ، حديثا ، في دمشق كتاب « من احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » لابي عبد الله محمد بن احمد المقدسي الحنفي ، المعروف بالبشاري ، المتوفى بعد سنة 380 هـ .

اختيار النصوص والتعليق عليها ، وتحقيقها ، والتقديم لها بعناية الاستاذ غازي طليمات .

عمـــــان :

● عن وزارة التراث القومي والثقافة العمانية صدر ، مؤخرا ، في عمان الجزآن ، الاول والثاني من كتاب « المصنف » لابي بكر احمد بن عبد الله بن موسى الكندي النزوي « المتوفى في منتصف القرن السادس الهجري » بتحقيق الاستاذين عبد المنعم عامر ، وجاد الله احمد .

يقع الجزءان في مجلد واحد ؛ عدد صفحاته ثلاثمائة وست وثلاثون صفحة من الحجم الكبير .

تركيـــا :

● في استانبول صدر مؤخرا عن جامعة استانبول ــ الجزء الخامس من كتاب « البرق الشامي سيرة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب » ، للعماد الاصفهاني ، أبي عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس ، الوزير ، الكاتب ، المتوفى سنة 597 هـ .

يقع الكتاب في مائتين وست وثلاثين صفحة ، من الحجم الكبير ، وقد حققه الاستاذ الدكتور رمضان ششن ، وكتب مقدمته وحواشيه بالتركية .

النمســـا :

● قدمت جامعات (بون) و (توبنيجن) و (جوتنجن) الالمانية مؤخرا مجموعة من المخطوطات الاثرية العربية الى دار الكتب الوطنية النمساوية ، في فيينا ، بمناسبة اقامة معرض حضارة الاسلام فيها خلال ثلاثة الاشهر المقبلة ، وهي مجموعة كانت تحتفظ بها فروع الدراسات العربية والاسلامية في هذه الجامعات الالمانية العريقة التي تخرج منها عدد كبير من المستشرقين الالمان ، والاجانب ، وقامت برعاية حركة الاستشراق الالمانية سنوات طويلة .

وفي نفس الوقت عرض (متحف الفن الاسلامي) في مدينة برلين الغربية، في هذا المعرض، الذي يقام في العاصمة النمساوية ــ مختارات رائعة من الآثار الاسلامية الثقافية ، والفنية ، كالكتب والمخطوطات ، والنقوش ، والرسوم ، التي تعود الى القرون الاولى من العصر الاسلامي ، وبعض نماذج من الآيات القرآنية الكريمة ، التي جمعها هذا المتحف الالماني .

وقد شارك عدد من المستشرقين والاساتذة الالمان ، في القاء عدة محاضرات ثقافية قيمة في اطار هذا المعرض الثقافي الاسلامي ، بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على هجرة الرسول الكريم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، وبداية التاريخ الاسلامي اجتذبت عددا كبيرا من المواطنين المهتمين بتاريخ الحضارة العربية والاسلامية في أوروبا الغربية .

فهرس العدد 7 السنة 21

صفحة

وطن الأحباب

للشاعر السعودي الكبير
عثمان بن سيار

أحنُّ إلى مغناكَ طابتْ مرابعُه ... وغنَّت بأكنافِ الربيعِ سَواجعُهْ

وأهفو إلى يومٍ منَ الدَّجْنِ مونقٍ ... نسائمُهُ فتَّانةٌ وزوابعُهْ

بأفيائك الخضراء يا مَغرِبَ العُلى ... عرفتُ نعيماً طابَ الحُسْنِ طابعُهْ

وسرَّحتُ طَرْفِي في جَمالِكَ فانتشَى ... به خافقٌ طالَتْ دُهوراً مَواجِعُهْ

وفي وجهكَ المزدانِ بالطُّهرِ والشَّذى ... رأيتُ الهَوَى تُصْغي إليَّ مَسامِعُهْ

أعَدْتَ إلى قَلْبي الشبابَ الذي مَضَى ... وألْهمْتَني في الشِّعرِ ما قَلَّ صَانِعُهْ

وفيكَ بظلِّ الدَّوْحِ اشْبَعْتُ نَاظِري ... وعادَ لِقَلْبي في الرِّضَا منكَ ضَائِعُهْ

وَعُدْتُ إلى مغناكَ يامَوْطِنَ الهَوَى ... يُصارعُني فيكَ الجَوَى، وأُصارِعُهْ

وإنَّكَ في صَدْري حَنِينٌ مُخَلَّدٌ ... وفي العَيْنِ حُسنٌ ليس تفنَى رَوائِعُهْ

وَفِيكَ لِقَلْبي في الغَرامِ وَدِيعَةٌ ... وإنكَ مَنْ لا تُسْتَبَاحُ ودائِعُهْ

* * *

أيا وَطَنَ الأَحبابِ أَفديكَ مَوطِناً ... مَغارِبُهُ مَحْمُودَةٌ، وَمَطالِعُه

فمِنْ "أطلسٍ" عِزَّتُهُ شامِخُ الذُّرَى ... تُلامِسُ جَوْزاءَ السَّماءِ أصابِعُهْ

تَعَمَّمَ بالثَّلْجِ الطَّهورِ، كأنَّهُ ... مَليكٌ الذُّرَى عالي الجَبِينِ وناصِعُهْ

إلى السَّهْلِ ميَّاسِ الأفانِينِ مُونِقٍ ... فللهِ جَانِبِهِ، ولِلهِ زارِعُهْ !!

بِساطاً على طُولِ المَدَى لا تجُوسُهُ ... عَواصِفُ أو تشكُو الأُوامَ يوانِعُهْ

شَجَتْنِي رُباكَ الخُضْرُ حتَّى وَجَدْتَني ... أخَا صَبْوةٍ تهفو إليكَ نَوازِعُهْ

وَماضِيكَ في الماضِينَ مجدٌ مُؤثَّلٌ ... وحاضِرُكَ المِعْطاءُ جَلَّتْ صَنائِعُهْ

وعِشْتَ سِياجاً للعُروبةِ حامِياً ... وغِيلَ أُسودٍ لا تُداسُ مَرابِعُهْ

مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



